
كتاب الهلال
سلسلة
ثقافية
شهرية
من أسرار
الساسة والسياسة
محمد التابعي

كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيس مجلس الإدارة : أحمد بهاء الدين

رئيس التحرير : رجاء النقاش

العدد ٢٢٨ ـ ذو القعدة ١٣٨٩ ـ فبراير ١٩٧٠

No. 228 - Février 1970

مركز الادارة

دار الهلال ١٦ محمد عز العرب

التليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشـــتراكات

قيمة الاشتراك السنوى : (١٢ عددا) فى الجمهورية العربية المتحدة وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى ١٠٠ قرش صاغ ـ فى سائر أنحاء العالم ٥ر٥ دولارات أمريكية أو ٤٠ شلنا ـ والقيمة تسـدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى الجمهورية العربية المتحدة والسودان بحوالة بريدية . فى الخـارج بتحويل أو بشيك مصرفى قابل للصرف فى (ج.ع.م) ـ والاسعار الموضحة اعلاه بالبريد العادى ـ وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل عند الطلب على الاسعار المحددة ..

كتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

الغـلاف بريشة
الفنان جمال قطب

محمد التابعي

من أسرار الساسة والسياسة

مصر ما قبل الثورة

دار الهلال

مقدمة

الأمانة الصحفية
وسر المهنة

اقترح على كثيرون من الاصدقاء أن أكتب مذكراتى عن الساسة والزعماء والنساء والرجال الذين عرفتهم فى حياتى وعن الحوادث والازمات .. الى آخره ..

ورفضت .. وكانت حجتى اننى لم أدون مذكراتى الا فى فترات متقطعة .. متباعدة .. فالتسلسل مفقود والسياق مضطرب والدقة فى الرواية غير مأمونة أو مضمونة .

ثم شىء آخر وهو الأهم عندى .. من الذى يستطيع دائما أن يقول الحق .. كل الحق ولا شىء غير الحق .

واذا نشرت مذكراتى فهل أقول فيها كل ما أعرف ، وكل ما سمعت ، وكل ما رأيت .. وبين الذين سوف تتناولهم هذه المذكرات أشخاص قد انتقلوا الى رحمة الله ، ونحن اليوم نحيطهم بهالة من الاجلال والاكبار. وبينهم من لايزال على قيد الحياة ومن هو معدود من الأعلام والصفوة الممتازة فى هذا البلد .. هل أقول كل ما أعرف عن هؤلاء وهؤلاء ؟ ..

هل أروى مثلا حديث الزعيم فلان عن الزعيم فلان ؟ وهو حديث مملوء غيرة وحقدا .. ؟ وهل أروى مثلا وأصف صور الضعف والاستهتار .. صور الخنوع والذل والاستمساك بالحكم بأى ثمن ؟.. وصور الطمع

والجشع والنفاق وعدم الوفاء ؟.. وقصص الخلاعة والمجون وأبطالها زعماء وساسة مبرزون .. ؟

ثم مسألة أخرى.. ما هو الحد الفاصل بين ما يجوز نشره وما لايجوز نشره ؟.. والامانة الصحفية وسر المهنة ؟.. ما هى حدود هذه الامانة وهذه السرية..؟

لقد اشتغلت بالصحافة ثلاثين عاما ، وعرفت فيها عشرات وعشرات من الزعماء والساسة وربطتنى ببعضهم أواصر الصداقة والثقة ، وبوحى هذه الصداقة والثقة أفضى الى بعضهم بأسرار كثيرة .. وكشف أمامى بعضهم عن مكنون صدره بل وعن خفايا ضعفه .. فهل أروى اليوم كل ما سمعت أو بعض ما سمعت ..؟

ورواية الكل قد تنفع المجموع ، وتؤذى الفرد ، ورواية البعض قد لا تفيد المجموع ولا تؤذى الفرد أى الزعيم المروى عنه .. واذن ما الفائدة وما الغاية من نشر رواية ناقصة أو مبتورة ..؟

وفى نشر الرواية كلها فضيحة أو خيانة للأمانة .

وفى خلال هذه الثلاثين عاما التى اشتغلت فيها بالصحافة قابلت كثيرين من الساسة وقادة الرأى العام فى مصر وفى بلاد غير مصر ، بل وقابلت رؤساء دول ورؤساء حكومات ، وكثيرا ما تحدث الى الواحد منهم وأطال الحديث ثم قال :

ــ تستطيع أن تنشر كذا وكذا .. ولكن لا تنشر كيت وكيت .

وبعض هذه الاحاديث قد مر عليها عشر سنوات أو عشرون سنة .. وأتساءل اليوم : هل «حظر النشر» لايزال قائما ؟

هل «سرية المهنة» سرية مطلقة مؤبدة .. أو موقوتة بفترة من الزمن .. وما طول هذه الفترة ؟ هل تكفى

مثلا العشرة أعوام أو العشرون عاما لكى تحل الصحفى من وعده بعدم النشر ، أى هل أستطيع أن أنشر اليوم ما وعدت منذ عشرين عاما بعدم نشره ؟

هل أستطيع أن أنشره دون أن يتهمنى أحد بخيانة الامانة والخروج عن مبدأ سرية المهنة وهو المبدأ الذى تقدسه الصحافة ويحترمه الصحفيون ؟

***

ثم اعتراض رابع أوخامس.. هل يستطيع الصحفى أن يقدم دائما واجب المهنة على كل اعتبار ؟ هل يستطيع أن يذكر دائما انه صحفى .. وينسى دائما انه انسان ؟

لقد قابلت مثلا ملك الافغان الاسبق الملك أمان الله ، قابلته مرتين .. فى سويسرا فى مدينتى مونتريه وزيوريخ .. وكان أمان الله فى المقابلتين رجلا كسير الخاطر محطم الآمال .. كان يمشى تحت وابل المطر.. يتسكع ـ كما قال هو نفسه ـ ليقتل الوقت .

وكتبت عنه فى المرتين ورويت الحديث الذى دار بيننا .. الا جزءا منه .. الا جزءا خاصا بزوجته السابقة الملكة ثريا .. لقد أبقيته حتى اليوم فى صدرى . هذا الجزء من حديث الرجل الكسير الخاطر المحطم الآمال .. كتمته ولم أنشره لأننى لم أستطع أن أنسى اننى ـ قبل أن أكون صحفيا ـ اننى انسان .

***

وفاروق الطاغية .. فاروق هذا نفسه لا أستطيع أن اكتب وأروى عنه كل ما أعرف لأننى .. انسان .

لقد قاومت طغيانه وحاربته قدر ما استطعت .. وهو ملك وحاكم بأمره فكتبت مثلا مقالا عنوانه : « يحيا الظلم » فى مجلة « آخر ساعة » عدد ١١ اكتوبر سنة ١٩٥٠ ، قلت فيه بين ما قلت :

نعم .. « يحيا الظلم » .. ظلم كل جبار عاتية معتز بسلطانه وسطوته يدوس القوانين ولا يبالى ، وظلم كل كبير فاسق وكل عظيم فاجر يسرق ولا يبالى ويختلس ولا يبالى.. ويثلم الأعراض ولا يبالى.. ويهدر الكرامات ودم الوطن ويجعل من مصر أمثولة السوء وبصقة كريهة فى فم الزمن .

نعم .. « يحيا الظلم » .. ظلم كل مطالب باحترام القانون ولا يحترمه .. وكل قادر على حماية القانون ولا يحميه .. وظلم كل عابث ماجن اباحى مستهتر يضرب للناس أسوأ الأمثال .

نعم .. « يحيا الظلم » .. لأنه خير مرب للنفوس.. ونفوس المصريين تجيش اليوم بمعنى واحد : لقد صبرنا طويلا ولن نصبر بعد اليوم.. وتحملنا كثيرا ولن نتحمل بعد اليوم .

***

وقرأ فاروق المقال ، وأشر بالقلم على هذه العبارات ثم سأل بعض رجال ديوانه « الملكى » — ولا داعى لذكر أسمائهم — سألهم : « من العظيم الفاجر الذى يسرق ويعتدى على الأعراض ؟ »

وسكتوا عن الرد .. وعاد يسألهم : « من الذى يعنيه التابعي ؟ » ولم يجب احد منهم .. وابتسم فاروق ابتسامة صفراء لأنه عرف بكل تأكيد من سكوت رجال حاشيته .. انه هو المقصود .

***

وكتبت عن فاروق بعد خلعه وطرده .. كتبت ولم أرحمه ، وأسهبت فى سرد قصص مخازيه وفضائحه ، ومع ذلك فاننى لم أنس فى كل ما كتبت أننى انسان .. فلم أذكر مثلا لماذا بكى ذات يوم فى دار صغيرة فى حى

جناكليس برمل الاسكندرية فى صيف عام ١٩٣٧ ؟
وكان فاروق يومئذ لايزال الملك المأمول .. لم تفسده الدنيا ، ولم ينس ربه ودينه .. بكى كالطفل الصغير حتى بلل الدمع خديه .

لم أكتب ولم أذكر التفاصيل ، لأن فاروق بكى ساعتئذ كانسان .. لا كملك .. ولأننى لا أستطيع أن أنسى دائما اننى انسان .

***

الذكريات كثيرة .. وما أعرفه كثير .. وما وقع لى فى حياتى مختلف الألوان .. والصعوبة فى الاختيار .. أيها يصلح للنشر .. وأيها لا يصلح ؟

أيها يجوز نشره ؟ وأيها لا يجوز؟ وأيها يرضى أصحابه وأشخاصه وأبطاله .. أو يسكتون عن نشره .. وأيها الذى لايرضيهم نشره ؟ هل أروى مثلا ما سمعته من الدكتور محمد صلاح الدين أيام اشتداد الخلاف بين رئيس الوفد مصطفى النحاس وسكرتير الوفد مكرم عبيد ؟

ومن هم الذين سعوا مخلصين لتسوية أسباب الخلاف والابقاء على وحدة الوفد .. ومن هم الذين سعوا وعملوا على توسيع شقة الخلاف بين مصطفى النحاس ومكرم عبيد ؟..

وهؤلاء وهؤلاء من أعضاء الوفد أو من كبار الوفديين

وهل أستطيع مثلا أن أروى تفاصيل حديث دار فى مسكنى ذات مساء فى شهر مايو أو يونية عام ١٩٤٢ ، بين فؤاد سراج الدين وبينى عن مكرم عبيد ؟ وهل من الصواب فصله الآن من الوفد أو الانتظار .. والاسباب « الوجيهة » التى ابداها الاستاذ فؤاد سراج الدين للتعجيل بفصل الاستاذ مكرم عبيد ؟

وهل أذكر الحديث الذى دار بالتليفون بين مصطفى النحاس وكان فى فندق مينا هاوس - ومكرم عبيد وكان فى المنيا ذات مساء ابان الاستعداد للانتخابات التى جرت بعد قيام وزارة ٤ فبراير عام ١٩٤٢ ؟ .

وهل أروى ما سمعته من فم رئيس الوفد ورئيس الوزارة مصطفى النحاس عن « الملك فاروق » وموقف الوزارة منه ومن الانجليز ؟

وهل من الامانة الصحفية أن أروى حديثا أو كلاما لم يقله مصطفى النحاس أمامى الا وهو مطمئن الى وواثق منى ! ؟

وهل أستطيع أن أروى كل ما أعرف وكل ماسمعته من صديق راحل كريم هو أحمد محمد حسنين ، وللصداقة حقوق ، وعليها واجبات ؟

وهل مما يستقيم مع حقوق الصديق ولا يتنافى مع واجبات الصداقة أن أروى واذكر كل ما عرفت وكل ما سمعت ؟

***

هذه هى الصعوبة ، بل هذا هو الصراع بين الصحفى والامانة الصحفية .. وبينه وبين سرية المهنة .. ثم الصراع بين الصحفى والانسان .

الكتاب الاول

أحمد محمد حسنين

في الحياة الخاصة

هذا الرجل الغامض..
هل هو بطل؟.. هل هو خائن؟

قلت فى المقدمة اننى لا اكتب هنا « مذكرات » بالمعنى المعروف ، بل هى صور وقصص من حياتى وحياة الآخرين .. صور وقصص بلا تسلسل أو ترتيب .

وقد اخترت أن أبدأ بصورة للمرحوم احمد حسنين باشا ، لا لسبب الا لأن شخصيته كانت موضوع خلاف بين الذين عرفوه .

هل هو بطل ؟ ومصرى وطنى مخلص يقدم مصلحة بلاده على كل ما عداها ؟ أم هو خائن وصنيعة للانجليز؟ ولا بأس من أن يضحى بمصلحة مصر فى سبيل مصلحة ذاتية يحققها له الاستعمار ؟ هل هو السبب المباشر فى فساد الحكم وفساد فاروق ؟ وفساد الأسرة المالكة ؟ والفضائح التى وقعت فى السنوات القليلة السابقة على قيام الثورة ؟

تباينت الآراء واختلفت فى هذا الرجل .. احمد محمد حسنين .

واحمد محمد حسنين ابن الشيخ الازهرى محمد حسنين .. ومع ذلك ! ومع ذلك فهو خريج جامعة اكسفورد .. وصهر الأسرة المالكة !

ولقد عدوها أعجوبة من عجائب العصر يوم تزوج سعد زغلول الازهرى النشأة وابن الفلاح المصرى من ابنة مصطفى فهمى باشا التركى الأصل ، ورئيس

الوزارة المصرية .

وها هو ذا مصرى آخر وابن فلاح وشيخ أزهرى يتزوج من ابنة الأميرة شويكار مطلقة الملك فؤاد وحفيده محمد على مؤسس الأسرة المالكة !

انها اذن أعجوبة العجائب ! وكانت اعجوبة أخرى ان هذا المصرى ـ ابن الفلاح ـ يطلق فيما بعد طواعية واختيارا زوجته هذه لطفية ابنة الأميرة شويكار التى كان مقدرا لها أن ترث الملايين .. وهو الفقير المعدم الغارق فى الديون !

كيف كان هذا ؟ ولماذا ؟

هل طلق حسنين زوجته كرها فيها ؟ وحبا فى نازلى ملكة مصر ؟ أم انه طلقها وهو يبكى وقلبه يقطر دما ؟ ولماذا طلقها اذن ؟

***

أحمد محمد حسنين خريج جامعات انجلترا ، والمفتش بوزارة الداخلية ابان الحرب العالمية الاولى ، والسكرتير بسفارة مصر فى واشنجطون ، والامين الثانى للملك فؤاد .

ورائد صاحب السمو الملكى الأمير فاروق ولى العهد وأمير الصعيد .

والامين الاول لجلالة الملك ، ثم رئيس ديوان جلالة الملك فاروق .

والرجل الذى كان يمسك بخطوط السياسة المصرية فى فترة حرجة حالكة فى تاريخ مصر ما بين عام ١٩٤٠ ، وعام ١٩٤٦ .

الرجل الذى كان يقيم الوزارات ويسقط الوزارات ، وهو فى نفس الوقت حريص على أن يبدو فى تصرفاته وأقواله كرجل لا يعرف شيئا مما يقع فى البلد ! ولا

يد له فى اى أمر يقع . بل ويؤكد لمعارفه انه لا يفهم شيئا فى السياسة !

***

كان فى وقت ما بطل مصر فى « الشيش » أو المبارزة بالسيف ، ونازل أبطال هذه اللعبة فى أوروبا وانتصر على كثيرين منهم .

وحاول فى يوم ما أن يكون اول مصرى يقود طـائرته الخاصة بمفرده من أوروبا الى مصر .. وسقطت به الطائرة مرتين فى فرنسا ، وفى ايطاليـــا .. ونجا من الموت مرتين ، وأصلح عطب الطائرة واستأنف طيرانه .. لولا ان الملك فؤاد أرسل اليه برقية يأمره فيها بالعدول عن الطيران الى مصر والعودة بأول باخرة .

وجاب مجاهل الصحراء الغربية مع الرحالة الانجليزية السيدة روزيتافوربس ، وكان حسنين صاحب الفكرة ومنظم الرحلة وعقلها المدبر وقائدها .. وقد تستر على زميلته الانجليزية فزعم أنها مسلمة وأنها زوجتـــه ، وألبسها ثيابا عربية وأسدل على وجهها حجابا كثيفا .. والا لما سمح زعماء القبائل لهذه المسيحية الاجنبية بالتوغل فى مجال سلطانهم والتعرف على أسرار الصحراء .

وعاش أحمـــد حسنين مع روزيتافوربس أســابيع عديدة فى مجاهل الصحراء . وكانا ينامان فى خيـــمة واحدة .. ولكنه لم يحاول أن ينال منها .. أما هى فقد حاولت .. ولكنه أبى وأعرض .

وسألته مرة :

ــ وهل قدت قميصك من دبر !

وضحك رحمه الله وقال :

ــ كلا .. فان المسألة لم تصل الى هذا الحد .

قلت : لكننى لا أفهم !.. لقد كنت يومئذ فى عنفوان

شبابك .. وروزيتا امراة جميلة تشتهى .. وكنتما فى الصحراء أسابيع عديدة .. ووحدكما عشرات الليالى فى خيمة واحدة .. وكان مرافقوك من البدو يعتقدون أنها زوجتك .. وما أنت دائما بولى الله أو قديس .. ماذا اذن ؟

وضحك مرة أخرى وقال :

ـ لأن الازهر انتصر فى هذه المرة على اكسفورد ..!

وكان أبوه الشيخ محمد حسنين من علماء الازهر الأجلاء .. والمعنى الذى أراده حسنين هو أن النشأة الدينية فى دار أبيه وما ورثه فى دمه عن أبيه العالم الازهرى المتمسك بأحكام دينه الحنيف .. كل هذا انتصر على عوامل التحرر أو التحلل التى تركتها فى نفسه دراسته فى جامعة اكسفورد .

سألته :

ـ وهل انتصر الازهر دائما فى جميع المعارك الشبيهة التى نازلت فيها امرأة أو تحدتك فيها امرأة ؟

قال : كلا .. ولكننى فى هذه المرة كنت حريصا على رضاء ربى ورحمته ، فقد كنا فى صحراء مجهولة .. وأسباب الهلاك تحيط بنا من كل جانب .. وكنت أعد نفسى مسئولا عن سلامة القافلة ونجاة أفرادها .

وضحكت بدورى وقلت :

ـ اذن فقد تأبيت وأعرضت لا زهدا فى روزيتا .. وانما خوفا من أن يحل بك غضب الله وانت فى جوف الصحراء ؟

قال : نعم ..

قلت : ولولا هذا ؟

قال : لا تكن لحوحا !

وعادت روزيتا الي انجلترا ووضعت كتابا عن الرحلة ، وأشارت فيه اشارة عابرة — فى سطور — الى أحمد حسنين وكيف انه كان أجيرها ومترجما لها أثناء الرحلة المذكورة .. وانه لم يكن يعنى الا ببيجـــامات نومه الحريرية وزجاجات الكولونيا التى حملها معه فى رحلته عبر الصحراء !

وانها هى كانت كل شيء وصاحبة الفضل فى كل شيء وهو لا شيء ! وأخذت بروايتها صحف عديدة فى انجلترا وأوروبا وأمريكا .. وهكذا غلب كبرياء المرأة .. فضيلة الصدق !

والح بعض كبراء الانجليز من أصدقاء حسنين الذين كانوا يعرفون حقائق الرحلة وان حسنين هو صـــاحب الدور الرئيسى وصاحب الفضل الاول والاخير فيها .. ألحوا عليه أن يرد على روزيتافوربس ويفند مزاعمها ولـكنه رفض .

رفض أن ينازل امرأة .. أو«يقد قميصها من قبل!» سكت اذن ونفسه مملوءة ألما وحزنا ومرارة .

ولـكنه قام فى العام التالى — وبمفرده — برحلة ثانية فى جوف الصـــحراء واكتشف واحة الكفرة .. وكان لاكتشافه الخطير دوى كبير فى جميع أنحاء العالم .. واجتمعت الجمعية الجغرافية الملـكية فى لندن ومنحته ميداليتها الذهبية وهى أسمى وسام يمكن للجمعية أن تقدمه لـكبار المـكتشفين .

وانهالت عليه الأوسمة والنياشين من مختلف الدول تقديرا لهذا الاكتشاف . ومنها وسام سان لازار الذى أنعمت به عليه حكومة ايطاليا وهو من أرفع الأوســمة شأنا فى ايطاليا .

وفى حفلة ساهرة أقيمت فى روما التقى احمد محمد

حسنين مع روزيتافوربس .. وكان يعلق على صدر سترته وسام سان لازار الرفيع الشأن .
واقتربت منه روزيتا وحيته ثم سألته ساخرة :
ـ هذا وسام سان لازار؟.. ترى اى عمل استحققت عليه هذا الوسام ؟
وأجابها حسنين ، بالانجليزية طبعا :
For my Chastity Rosita
أى استحققته بفضل طهارتى يا روزيتا !
وامتقع لون روزيتافوربس .. وولته ظهرها ! فقد كانت الغمزة صريحة مكشوفة مفهومة !
وقال لى حسنين :
ـ نعم .. لقد ثأرت لنفسى ، ولكنه كان انتقاما خسيسا ندمت عليه فيما بعد .. بل ان العبارة لم تكد تخرج من بين شفتى حتى أدركت اننى تصرفت بخسة وفظاظة .. وندمت وفكرت فى أن أعتذر اليها ولكنى أشفقت من ان اعتذارى قد يزيد فى جروحها وألمها .

***

وسافرت الى واشنجطون ليتولى منصبه فى سفارة مصر وعرضت عليه احدى الهيئات أن يقوم برحلة يطوف فيها ببعض المدن الامريكية الكبيرة ويلقى فيها محاضرات عن رحلته فى الصحراء .
وعرضوا عليه مبلغ خمسة وعشرين ألف دولار وكانت تساوى وقتئذ خمسة آلاف جنيه مصرى ، وفى مقابل اثنتى عشرة محاضرة .
واشترطوا عليه أن يلقى هذه المحاضرات وهو يرتدى الثياب البدوية التى كان يرتديها فى الصحراء أثناء رحلة الاستكشاف .
ورفض أحمد حسنين هذا العرض .
وكان يومئذ ـ كما كان دائما ـ فقيرا ومدينا لأحد

زملائه فى السفارة بمبلغ خمسين دولارا !

ولكنه رفض أن يكون « أراجوز » كما قال لى .. لكى يرضى فضول الامريكان ويكسب خمسة آلاف جنيه .

وارتداء ثياب البدو فى الصحراء شىء .. والظهور بها على مسرح فى مدن أمريكا شىء آخر .

***

هذه لمحات خاطفة — وتافهة ربما — من حياة حسنين

واذا كنت قد وقفت عندها بعض الوقت فما ذلك الا لأنها — فى رأيى — تلقى شيئا من الضوء على خلق حسنين وعقليته ونفسيته ومذهبه فى الحياة .

يرفض امرأة ويتأبى عليها .. لأنه يخاف غضب الله فى وقت كان فيه أحوج ما يكون الى استرضاء الله ، واستجلاب عطفه ورحمته .. والا .. !

ويرفض أن ينازل امرأة أو يهاجمها أو يكذبها علنا .. ولـكنه — فيما بينها وبينه — يجرحها — كما يقول هو نفسه — بخسة وفظاظة لأنه ذكرها بأنها عرضت جسدها عليه ولـكنه رفض وظل طاهرا .

ويرفض — وهو الفقير المدين — يرفض خمسة آلاف جنيه لأنه يأبى أن يظهر على المسرح فى ثياب قد تثير ضحك الامريكان .

***

لمحات خاطفة ، وربما تافهة ، ولكنها تساعد على رسم صورة لأحمد حسـنين الذى اختلفت فيه آراء الناس وتعددت الصور التى يرسمونها له .

الذين عرفوه واحبوه .. رسموا له صورة بطل ! وبعض الذين لم يعرفوه رسموا له صورة كريهة قاتمة .. صورة صنيعة الانجليز .. الخائن الذى يخدم مصلحة خصوم بلاده من المستعمرين !

وبعض الذين عرفوه وكرهوه .. أو لم يحبوه جعلوا منه شيطانا رجيما .. ومنافقا لئيما .. ونفعيا وصوليا نهازا للفرص !

وغير هؤلاء وهؤلاء .. فريق من الساسة والصحفيين رسموا لأحمد محمد حسنين صورة الرجل المدين بكل شىء للصدفة .. الرجل العادى .. الكسول .. الذى يحب العيش الهنىء .. والذى لم يؤت من الذكاء والعلم الا قليلا ، ولا يفهم فى السياسة شيئا .. بل سار فى دروبها ليخبط خبط عشواء .

وهذه الصورة هى الصورة التى كان حسنين باشا نفسه يحرص على أن يطبعها فى نفوس جميع الذين كان يلقاهم من الساسة والزعماء !

كان رحمه الله يحب أن يعتقد الناس فيه الغباء بل « الهبل » !.. وانه رجل لا يخشى شره !.. أوطرطور! أو ساعى بريد ينقل اليهم « الأوامر السامية » من جلالة الملك .. أو « يرفع » آراءهم ونصائحهم الى « السدة العلية الكريمة » .. ومن غير أن يكون له هو رأى أو مشورة فى الموضوع .

وصدقه بعضهم فى أول الأمر . ثم اكتشفوا الحقيقة وعرفوه .. وكرهوه !

وآخرون عرفوا الحقيقة عندما عرفوه .. فأحبوه !

وغير هؤلاء فريق من الساسة الذين « كشفهم » حسنين باشا أمام فاروق .. وكشف عن ألاعيبهم ومناوراتهم واطماعهم وأكاذيبهم .

كشفهم وأضاع عليهم نفوذهم عند فاروق .. وفوت عليهم فرص الفوز بمقاعد الحكم وجاه السلطان .

ويبقى السؤال قائما .. هل كان احمد محمد حسنين بطلا ومصريا وطنيا وخادما أمينا لبلاده ؟

أم كان خائنا وصنيعة أو ذنبا من أذناب الاستعمار؟ الرأى عندى انه ــ رحمه الله ــ لم يكن هذا ولا ذاك .

لم يكن بطلا .. ولم يكن خائنا لبلاده .. وانما كان رجلا ذا مطامع واسعة كثيرا ما أفلح فى اخفائها وراء قناع من الزهد فى المناصب .. والجهل بالسياسة واسرارها .

كان يطمع فى أن يكون رئيس الوزارة والرجل الاول فى الدولة .

ولكنه لم يمض الى هذا الهدف مباشرة وفى خط مستقيم .. كلا .. فان هذه لم تكن سياسة أحمد محمد حسنين الذى كتب عنه مرة زميله فى الدراسة وصديقه حفنى محمود فقال : « انه فاجأه مرة وهو يقرأ كتابا ما .. »

وحاول حسنين أن يخفى الكتاب عن صديقه حفنى محمود . ولكن حفنى استطاع أن يقرأ عنوان الكتاب.

وكان الكتاب هو « الأمير » لمؤلفه السياسى الداهية «ماكيافيللى» ! الذى وضع كتابه على أساس ان الغاية تبرر اتخاذ كل وسيلة ! وهكذا فضح حفنى محمود سياسة صديقه حسنين « السياسة الماكيافيللية ! » سياسة الخبث واللف والدوران..وكل وسيلة مشروعة فى سبيل تحقيق الفرض والوصول الى الهدف !

وكل غرض شريف ما دام فى خدمة الأمير .. اى الحاكم .

وكان الأمير يومئذ هو الدولة .. والدولة هى الأمير.

قصة نازلي

ملكة مصر سابقا

وأحمد محمد حسنين

قلت ان حسنين باشا لم يكن بطلا معدودا من أبطال الوطنية المصرية .. ولم يكن خائنا لبلاده أو صنيعة للاستعمار كما اتهمه بعض خصومه ، وبعض الذين لم يعرفوه .. أو الذين عرفوه ولم يحبوه .

ولكنه كان رجلا ذا مطامع واسعة ، وكان كل نجاح يلقاه يغريه بالتماس نجاح آخر .. وكل منصب يرقى اليه يغريه بالسعى وراء منصب آخر يفوقه سلطة ونفوذا .

وكانت خطواته مطردة دائما الى الامام ، لم يتعثر مرة واحدة ، ولم يقف أو يتقهقر أو يرتد الى الوراء مرة واحدة . دائما الى الامام ، والى ما هو أعلى وأقوى وأوسع نفوذا .

كانت حياته سلسلة من الانتصارات .. ولم يعرف الهزيمة سوى مرة واحدة .. وكان ذلك فى حادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ ، ولكنه استطاع أن يثأر لنفسه بعد عامين يوم دبر اقالة وزارة مصطفى النحاس فى ٨ اكتوبر سنة ١٩٤٤ .

وهكذا رد اللطمة للسفير البريطانى سير مايلز لامبسون أو لورد اوف كيلرن .. كما ردها مضاعفة للسيد مصطفى النحاس .

وكان أحمد محمد حسنين يضع خططه بدقة واحكام

وينفذها بكياسة ومهارة وحذر ، ولا يضيق صدره ولا يخونه صبره مهما طال الأجل .. أو لاقى من صعوبات

وكانت الخطة الاولى أو الخطوة الاولى الواسعة فى طريق تحقيق مطامعه هى مصاهرة الأسرة المالكة ..

ولقد استطاع الشاب النحيل القامة الوسيم الطلعة الأنيق فى ملبسه .. الساحر فى حديثه .. الرشيق فى حركاته .. الرياضى البطل فى دنيا الرياضة والمغامرات والرحالة الذى جاب مجاهل الصحراء وواجه الموت مرارا فى رمالها المحرقة وفيافيها الجدباء والذى اغدقت عليه صحف العالم من الثناء والاعجاب ما لم تغدق مثله الا على قليلين من كبار المكتشفين .

***

استطاع هذا الشاب احمد محمد حسنين — ابن الشيخ محمد حسنين المدرس بصحن الازهر الشريف استطاع أن يفتن ويخلب لب الفتاة لطفية كريمة صاحبة السمو الأميرة شويكار مطلقة الملك أحمد فؤاد وأم ابنته صاحبة السمو الملكى الأميرة فوقية .

وتزوج حسنين من لطفية وأصبح من أصهار الأسرة المالكة وزوجا لأخت الأميرة فوقية كريمة الملك فؤاد.

وكان فؤاد قد تصالح قبل ذلك بسنوات مع مطلقته شويكار .

وهكذا عزز حسنين مركزه وثبت قدمه على أولى درجات السلطة فى دنيا المناصب والجاه والنفوذ .. والا فأى رئيس أو وزير ، بل وأمير كان يجسر يومئذ أن يتجاهل هذا الشاب — احمد محمد حسنين — صهر الأسرة المالكة وزوج كريمة الزوجة الاولى لصاحب العرش والتاج ؟

كانت هذه هى الخطة أو الخطوة الاولى .

وقد أسميتها خطة أو خطوة لأنها كانت مرسومة ، ولأن الزواج لم يكن مقصودا لذاته ، بل كان وسيلة للوصول الى غرض أو هدف مقصود فى طريق النجاح وتحقيق المطامع الواسعة .

والدليل الذى لا يحتاج معه أو بعده الى دليل آخر ان حسنين يوم تزوج من المغفور لها السيدة لطفية لم يكن يحبها .

لقد استطاع أن يفتنها ويخلب لبها ويوقعها فى حبه. أما قلبه هو فكان خاليا من أى حب لها .

***

صحيح انه لم يكن يكرهها .. كلا .. ولكنه لم يكن يحبها يوم خطبها ويوم تزوج منها .. وبعد الزواج ـ لا قبله ـ وبعد المعاشرة أو « العشرة » وبعد أن أنجبت له أولاده .. أحبها حسنين.. أو كما قال لى هو نفسه « ان لطفية كريمة رقيقة حنون تستحق كل حب وهى أم مثالية .. ولقد أحببتها بعد الزواج كما لم أحب امرأة أخرى » !

والآن وقد عرفنا كيف ولماذا تزوج حسنين من لطفية ابنة الأميرة شويكار .. يبقى أن نعرف لماذا طلقها مع انه ـ باعترافه ـ كان يحبها كما لم يحب امرأة سواها ؟

كان زواجه منها خطوة فى سبيل تحقيق مطامعه الواسعة وكان طلاقه لها خطوة أخرى فى نفس الطريق .. وسأذكر الطريق فيما بعد .

ونعود الآن الى يوم توفى الملك أحمد فؤاد فى ٢٦ ابريل عام ١٩٣٦ .

لم تمض أسابيع قليلة على وفاته حتى كثر الهمس بين موظفى القصر وفى الاوساط الخاصة المتصلة به ، ان « السجينة » قد حطمت قيودها وانطلقت ـ وهى

لا تزال بعد ترتدى ثيـــاب الحداد ـ انطلقت تمرح وتحـــاول أن تعوض ما فاتهـــا وتنهـــل من عيون الحيـــاة وينابيعها .

وكانت « السجينة » المذكورة هى الملـكة نازلى .. وهى نفسها التى كانت تقول لـكل من يقابلها وتأمن جانبه : « أنا سجينة الملك فؤاد » .

ولقد تعددت الروايات واختلفتعن زواج «السلطان» أحمد فؤاد من نازلى كريمة المرحوم عبد الرحيم صبرى باشا . ولكن الذى سمعته من رواة ثقات من أقاربها هو أنها أرغمت على هذا الزواج .. وانها كانت تحب شابا من أقربائها وأكتفى بذكر الحروف الاولى من اسمه « ش . ش » لأنه لايزال بيننا على قيد الحياة .

كانت نازلى تحب قريبها الشـــاب ، وكان أملها فى الزواج منه كبيرا الى أن خطبهـــا « عظمة السلطان » أحمد فؤاد من أبيها .

وفى اليوم المحدد لعقـــد القران هربت نازلى ـ فى الصباح الباكر ـ من قصر أبيها ، ولجأت الى حبيبها « ش . ش » .

وراح الفتى يتنقل ـ وهى معه ـ طول اليوم من دار صديق الى دار صديق .. خوفا من مطارديه فقـــد انطلق الأقارب وسلطات الدولة كلها تبحث فى كل مكان عن خطيبة « عظمة السلطان » .

وأخيرا أدرك الفتى الا فائدة ! ولعله كذلك خاف مما قد يصيبه من بطش « السلطان » فأركبها عربة حنطور وأعادها الى قصر أبيها .. فى المساء .

وعقد القران .. وأصبحت نازلى صاحبة « العظمة السلطانة » سلطانة .. ولـكنها حبيسة فى القصر .. عليها فى كل ردهة وكل رواق وغرفة عيون وأرصـــاد

ولا تغادر القصر الا باذن .. ولا تزور ولا تزار الا باذن .. فقد كان أحمد فؤاد شـــديد الغيرة على زوجته الشابة الجميلة .

ولقد أصاب نازلى من فؤاد عدة أمراض ليس أقلها شأنا تقيح اللثة أو « البيورى » .

قال لى الدكتور ستانكيفتش طبيب الاسنان ، وهو روسى الاصل ، وكان متزوجا من أميرة بولونية .. وكان طبيب الاسنان الخاص للملك فؤاد وأسرته .. قال لى مرة بعد وفاة الملك فؤاد أن فى فم الملكة نازلى تسع أسنان « عايمة » أو « ملخلخة » بسبب تقيح اللثة .. ولما كان يعرف أن الملك فؤاد عنده نفس الداء « تقيح اللثة » فقـــد سألها ذات يوم لـكى يتأكد من أصـل العدوى وسببها .. سألها :

ـ هل جلالة الملك يقبلك فى فمك ؟

وضاقت عيناها قليلا وقد بدا فيهما حقد وسخط ، وقالت :

ـ يقبلنى فى فمى ؟.. انه لا يكتفى بمجرد التقبيل !

وكانت عيناها وصـــوتها وقسمات وجههـــا تنطق بالاشمئزاز والكراهية .. هذه رواية دكتور ستانكيفتش وقد أيدتها مصادر أخرى وهى ان نازلى لم تكن تحب زوجها أحمد فؤاد .

***

وبقيت نازلى سجينة القصر أو فى «قفص من ذهب» سبعة عشر عاما هى الربيع وخير ما فى العمر وسنوات الصبا والشباب .

وأخيرا تحررت يوم مات «سجانها» الملك أحمد فؤاد . وكان ربيع عمرها ولى ومن بعده الصيف أوشك كذلك أو يكاد .

وانطلقت نازلى ــ بشراهة ونهم ــ تنهل من عيون الحياة وتطفىء نار الظمأ الذى احرق أحشاءها السنوات الطوال !

وكثر الهمس ، وذكرت أسماء بعض ضباط الحرس وموظفى القصر ، ثم تركزت الاشاعات حول اسمين اثنين ، وهما : احمد محمد حسنين ، والياور « البكباشى يومئذ » عمر فتحى .

***

وما من شك فى أن ملكة مصر يومئذ ــ نازلى ــ كانت تريد أن تلهو بالرجلين وأن تضرب أو تضارب أحدهما بالآخر وأن تثير الغيرة فى صدر هذا ضد ذاك وأن تتلذذ بمشاهدة الغيرة والمنافسة بين رجل الحاشية الوسيم وضابط الحرس الرشيق .. وأن تعبث وتلهو .

ولقد سمعت من حسنين هذه الحكاية : طلبت منه الملكة نازلى ذات يوم أن يمر عليها فى الساعة كذا لكى يصحبها الى حفلة ما فى المساء .

وذهب حسنين فى الموعد المحدد ووقف ينتظر .. وأخيرا سأل عن جلالة الملكة .. وطلب من احدى الوصيفات أن تذكر صاحبة الجلالة بموعد الحفلة وان حسنين فى الانتظار ! ..

وقالت الوصيفة : « ولكن جلالة الملكة غادرت القصر منذ ساعة وذهبت فعلا الى الحفلة » .

وسألها حسنين :

ــ ذهبت وحدها ؟

قالت الوصيفة :

ــ كلا .. فقد صحبها عمر فتحى بك !

روى لى حسنين هذه الواقعة وقال :

ــ ولقد سألت الوصيفة عما اذا كانت جلالة الملكة

خرجت وحدها وأنا أعرف مقدما ان الجواب سيكون : انها خرجت مع عمر فتحى .. فلم تكن تلك أول مرة تحاول فيها أن توقع بينى وبين صديقى عمر فتحى .

ومن ذلك أيضا انها دعت مرة عمر فتحى لكى يصحبها الى «المكس» لتتناول طعام العشاء فى مطعم هناك اشتهر بطهى أصناف السمك .

واعتــذر عمر فتحى من عدم تلبية طلبها لأن جلالة الملك متوعك المزاج وان عليه ــ على عمر فتحى ــ أن يلازمه هذا المساء .

وهزت نازلى كتفيها برشـــاقة ونظرت الى الياور عمر فتحى بطرف عينيها وقالت :

ــ على كيفك !.. اذا كنت مش فاضى .. حسنين دايما فاضى علشانى !

***

ولــكن لعبتها لم تطل لأن أحد الرجلين ــ عمر فتحى ــ لم تكن له مطامع ، ولأنه طول خدمته فى القصر كان حريصا دائما على أن يكون فى « حـــاله » وأن يؤدى واجبات منصبه فقط .. ومن ثم فقد انسحب باختياره وترك الميدان خاليا أمام حسنين .

هذا من جهة .. ومن جهة أخرى فان احمد محمد حسنين كان أدهى بكثير مما قدرت نازلى ملكة مصر .

لقد كان فى قصر « كنرى هاوس » بلندن فى معية صاحب السمو الملكى التلميذ الأمير فاروق ولى العهد وأمير الصعيد يوم جاءهم نبأ وفاة الملك فؤاد والمنـــاداة بفاروق ملــكا على مصر .

وعاد حسنين فى صحبة الملك الجديد الى مصر وفى رأسه خطة مدروسة مرسومة محكمة التفاصيل .

كان يعرف عن نازلى أكثر مما يعرف أى موظف آخر

من موظفى القصر .. كان يعرف الكثير عن «سجنها» وعذابها وغيرة زوجها الملك فؤاد وحسرتها وتلهفها على الحياة المرحة الطليقة .. ومن هنا عاد الى مصر ــ والى القصر ــ وقد قرر فى نفسه أمرا .. أن يتركها ــ يترك نازلى ــ تشده وتصده .. وتعرض وتقبل .. وتروح وتعود .. وأن تغازل هذا و « تستلطف » ذاك .. وهو دائما هادىء يبتسم .. لا يغار ولا يثور .

وأن يمد لها فى حبال الصبر كما يمد الصياد الماهر المجرب فى خيط الصنارة .. التى علقت بها سمكة عنيدة .

السمكة تشد وتجذب وتقفز .. وتغوص وتطفو .. وتقاوم .. والصياد يرخى من خيط الصنارة حينا .. ويشده حينا .. وهكذا الى أن تخور قوى السمكة وتستسلم .

وهكذا فعل حسنين ..

الى أن تعبت نازلى واستسلمت أو أسلمت قيادها لأحمد حسنين .. وبدأت هى التى تغار والتى تحاسب حسنين أين كان ! ومع من ؟ وماذا فعل ؟ وكيف أمضى سهرته !..

الى آخر ما تفعله المرأة التى تحب بعد أن تكون قد جاوزت سن الشباب .

وهو ؟.. هل كان يحب نازلى ؟

كلا .. ولكنه كان حريصا على استرضاء « ملكة مصر » .. وأم ملك مصر .. وصاحبة النفوذ الأعلى عند ابنها فاروق فقد كان فاروق يومئذ يحب أمه ويحترمها بل ويخشاها ويخشى غضبها ويعمل لها حسابا ولا يخالف لها أمرا .. وكان حسنين يعرف هذا كله ..

ويدرك ان الذى يسيطر على نازلى يستطيع — عن طريقها — أن يسيطر فى نفس الوقت على الملك فاروق.

***

عاد فاروق من انجلترا — حيث كان بدأ دراسته — عاد فى الاسبوع الاول من شهر مايو عام ١٩٣٦ .

وكان هناك مجلس وصاية على العرش مؤلفا من صاحب السمو الملكى الأميرمحمدعلى توفيق وصاحبى المقام الرفيع عبد العزيز عزت باشا ومحمد شريف صبرى باشا خال فاروق .

وكانت الوزارة يومئذ وفدية برئاسة « صاحب المقام الرفيع » مصطفى النحاس « باشا » .

واقترح الأمير محمد على — وهذه شهادة حق أقررها للتاريخ — اقترح رفع سن الرشد للملك الى سن ٢٥ سنة وأن يعود فاروق الى انجلترا ليكمل دراسته .

ولكن الوزارة رفضت هذا الاقتراح ، وأعلن السيد مصطفى النحاس ان وزارته تحترم وتستمسك بأحكام الشريعة والقانون والدستور .. وان هذه جميعها تقرر أن سن الثامنة عشرة هلالية هى سن الرشد والبلوغ . وان جلالة الملك يتولى ويمارس سلطاته الدستورية والحالة هذه فى يوم ٢٨ يولية عام ١٩٣٧ .

ولم يكن الاستمساك بأحكام الشريعة والقانون والدستور سوى ذريعة أو حجة . والحقيقة ان زعماء الوفد كانوا يعتقدون — بعد أن أراحهم الموت من خصمهم العنيد أحمد فؤاد — كانوا يعتقدون أن فى امكانهم أن يضعوا فاروق الملك الشاب فى « جيوبهم وأن يسيروه ويوجهوه كما يريدون » .

ما حاجتهم اذن بمجلس وصاية يمارس سلطات الملك سبع سنوات ؟ ما حاجتهم الى هذا المجلس الذى

براســـه أمير من الطراز التركى القديم ؟.. أمير كثير الطلبات .. كثير المعارضة .. يخرف حينا .. ويثرثر حينا .. ولا يمل الحديث عن أجداده العظام .. واذا ذكرت حقـــوق الشعب أمامه تململ أو هز كتفيـــه استخفافا !

كلا .. سن الرشد هى الثامنة عشرة .. وهلالية لا ميلادية .. ويتولى فاروق سلطاته كملك دستورى بعد عشرة شهور لا سبعة أعوام .

***

وهنا رؤى أن يقوم الملك الشـــاب نصف الأمى والذى لم يكمل دراسته ولم يحصل من العلم الا أقل القليل.. رؤى أن يقوم برحلة طويلة الى أوروبا لعل الرحلة تزيد فى تجاربه ومعلوماته ولو قليلا .

وتقرر أن يصحبه فى هذه الرحلة أمه الملـكة نازلى وشقيقاته الأميرات فوزية وفايزة وفايقة وفتحيـــة ، ومعهن المربيتان الانجليزيتان وأســـتاذهن للغة العربية الرجل الطيب الاستاذ أحمـــد يوسف ، ومستر فورد مدرس التاريخ والجغرافيا للملك الشاب .

والسيدة الجليلة زينب ذو الفقار بصفتها « السيدة المرافقة » للملـكة نازلى ، وكريمتها الآنسة صافيناز ذو الفقار .

وخال الملك فاروق حسين باشـــا صبرى والسيدة الكريمة زوجته شهيرة الدرمللى .

وعلى رأس الحاشية « رائد الملك » أحمـــد محمد حسنين ، ومعه ياور الملك الخاص عمر فتحى « وقد أنعم عليه برتبة القائمقام المحليـــة » وطبيب الخاصة الملكية دكتور عباس الكفراوى والأمين الثالث على رشيد « وهو اليوم كبير الامناء » ودكتور حســـين حسنى

مساعد السكرتير الخاص للملك .

وأوفدت وزارة الداخلية اثنين من ضباط البوليس ليكونا فى حراسة الملك .. وهما اليوزباشي أحمد الطاهر واليوزباشي أحمد كامل الذى أصبح فيما بعد الاميرالاى وقائد قوات بوليس السراى . وتحدد يوم ٢٧ فبراير عام ١٩٣٧ للسفر من بورسعيد على ظهر الباخرة « فايسروى اوف انديا » .

وكانت ثورة قد قامت فى بيت أحمد محمد حسنين

***

كان ترامى الى سمع زوجته الرقيقة الطيبة التي تحبه ، اشاعات وأخبار وروايات وحكايات عما بين ملكة مصر نازلى ، وبين زوجها احمد حسنين .

وطلبت لطفية من حسنين أن تسافر معه فى هذه الرحلة ، ووعدها حسنين بعرض الأمر على فاروق .

ولكنه لم يعرض الأمر على فاروق ، بل تحدث فيه مع نازلى .. ورفضت نازلى طبعا ، وعاد حسنين وأبلغ زوجته ان جلالة الملك لايوافق على سفرها لأن الرحلة شبه رسمية ولا مكان فيها لزوجات الموظفين من رجال الحاشية .

ولكن لطفية ـ رحمها الله ـ لم تقتنع ، وذهبت تسأل وتستقصى الى أن علمت وتأكدت أن زوجها لم يحدث فاروق فى أمرها وان فاروق خالى الذهن تماما من هذا الموضوع .

وهنا أدركت ان نازلى هى التى تعارض فى سفرها ! أو لعله هو ـ حسنين ـ الذى لايريد أن تسافر معه .. مراعاة لخاطر الملكة !

والاشاعات اذن صحيحة ، ونشبت الثورة .. وعلا الصراخ والبكاء فى بيت أحمد محمد حسنين وانفجرت

الزوجة الرقيقة الطيبة القلب .

وكان أحمد محمد حسنين - كما قلت فى فصل سابق - يحب زوجته لطفية حبا أكيدا .. ولكنه كان يحب السلطة والمجد أكثر مما يحب زوجته . ولقد عرفت حسنين اثنتى عشرة سنة واختلطت به عن قرب وكثيرا ما رفعنا « الكلفة » فى مناسبات عديدة وفتح كل منا قلبه لصاحبه .. وأستطيع اليوم أن أقول ان حسنين باشا رحمه الله لم يكن الرجل الذى يلبى نداء قلبه ويعرض عن حكم العقل ! كلا !

***

كان العقل عنده دائما مقدما على القلب .

والخطة التى درسها ورسم خيوطها لابد أن تنجح ولو كان الثمن على حساب حبه وحب زوجته .

ومن اجل أن تنجح هذه الخطة كان لابد أن تبقى زوجته لطفية فى مصر .. بل لو ان الملكة نازلى نفسها كانت طلبت من حسنين أن تصحبه زوجته فى هذه الرحلة ولو من باب التعمية وذر الرماد فى العيون لكان حسنين رفض طلب نازلى وأصر على أن تبقى زوجته فى مصر . ذلك لأنه كان يعرف زوجته حق المعرفة ويعرف مقدار حبها له وغيرتها عليه ، وانها - وهى ابنة الأميرة شويكار ومن أفراد البيت المالك - لن تبالى اذا اضطرمت نار غيرتها أن تقذف بالاتهام فى وجه نازلى ملكة مصر !.. وبعد .. من تكون نازلى هذه ؟ ابنة عبد الرحيم باشا صبرى المدير السابق لمديرية المنوفية ! أما هى - لطفية - فانها ابنة شويكار وحفيدة محمد على !..

وهذا كلام سبق أن سمعه حسنين من فم زوجته لطفية ! ماذا يحدث اذن لو انه سمح لها بالسفر معه الى أوروبا .. ولاحظت هى - باحساس الغيرة المرهف

وعيني الزوجة المفتوحتين ـ ماذا يحدث لو لاحظت ما هنالك أو بعض ما هنالك بين نازلي وحسنين ؟

سوف تكون فضيحة ومشهدا مثيرا ، وتفشل الخطة التي رسمها ليحقق مطامعه وهي أن يصبح الرجل الاول في الدولة .. بعد الملك ، وأن يسيطر على الملك فاروق عن طريق أمه نازلي !..

كلا ، لابد أن تبقى لطفية في مصر .

وهكذا كان .. وخرج حسنين من داره في يوم ٢٧ فبراير عام ١٩٣٧ ليرافق الملك في القطار الخاص الى بورسعيد .. والباخرة .. وأوروبا .. وترك وراءه زوجة ثائرة تسب وتشتم وتهدد وتتوعد بأنها لن تسكت على نازلي .. كلا .. ولا ألف مثل نازلي !

***

وكان الوزراء ورئيسهم « رفعة » مصطفى النحاس باشا قد رافقوا فاروق في القطار الخاص الى بورسعيد ثم صعدوا الى ظهر الباخرة وودعوه .

وفوجيء النحاس باشا ومكرم باشا برؤيتي على ظهر الباخرة مع أفراد الحاشية التي ترافق فاروق في رحلته الى أوروبا .

وصاح النحاس باشا بلهجته المعروفة :

ـ تسافر !.. ازاى الكلام ده .. ازاى.. ازاى..

وكررها نحو عشر مرات .

ـ وسايب الجرنال لمين ؟

قلت : البركة في محمود وكريم .

وقال « رفعته » : محمود وكريم ! محمود وكريم ! لا .. لا .. لا .. ياسى التابعي .. لا .. لا .. لا ياسى التابعي .

وكررها نحو عشر مرات .. وتدخل مكرم باشا وقال

وهو يهدىء من غضب رئيس الوفد :

ــ صحيح الاستاذ التابعي غلطان .. كان يجب يقول لنا ويستأذن من «رفعتك».. لكن انت تعرف يا باشا ان الاستاذ التابعي يحب السفر .. والتهييص .. هذا وهو يضحك ويربت على كتفى .

ولكن النحاس باشا انطلق مرة أخرى يقول :

ــ التهييص .. التهييص .. تهييص ايه .. تهييص ايه ؟

وكررها نحو عشر مرات .. ثم عاد وانطلق :

ــ والجرنال .. والجرنال يا مكرم ؟

ذلك لأن النحاس باشا لم تكن له يومئذ أقل ثقة فى صدق أو اخلاص وفدية شريكى الاثنين : محمود أبو الفتح ، وكريم ثابت ــ وخصوصا محمود ــ وكنا نحن الثلاثة قد أصدرنا فى شهر أكتوبر السابق أى منذ نحو خمسة أشهر جريدة «المصرى» على « مبادىء وسياسة الوفد المصرى » .

والتفت « رفعته » يسألنى مرة أخرى :

ــ ومسافر وسايب الجرنال لمحمود وكريم ؟ !.. وعاوزنى أقول لك ايه ؟ !.. أقول لك مع السلامة ياسى التابعي ؟ ! طيب مع السلامة ياسى التابعى !.. آه .. مع السلامة.. مع السلامة.. آه .. وادى كمان بوسة ياسى التابعى .

وعانقنى الرجل الطيب القلب وقبلنى .. وغادر « رفعته » والوزراء والمودعون السفينة .

وبعد منتصف الليل بقليل تحركت السفينة « فايسروى اوف انديا » وغادرت الميناء .

***

وكان على واجب يجب أن أؤديه .

كانت « المصرى » قد أوفدت ــ فيما أذكر ــ الاستاذ عبد الحليم الغمراوى ليوافيها بأنباء الرحلة الملكية من القاهرة الى ساعة قيام الباخرة من بورسعيد .

وكان على أن أوافى الجريدة بأنباء الرحلة بعد قيام الباخرة .. وماذا فعل الملك والملكة والأميرات وأين تناولوا العشاء وكيف أمضوا السهرة الاولى على ظهر الباخرة .. الى آخره .

ورحت أطوف بالباخرة وأجمع المعلومات والتفاصيل بعضها بالمشاهدة ، وبعضها الآخر من رجال الحاشية ثم كتبت البرقية التيكان على أن أرسلها فورا عن طريق اللاسلكى الى جريدة « المصرى » لتظهر فى عدد الصباح .

ولكن اين مكتب اللاسلكى فى هذه الباخرة الضخمة وهى من عابرات المحيط وكانت قادمة من استراليا وفى طريقها الى انجلترا ؟

وسألت .. وقيل لى انه فى أعلى سطح السفينة .. حيث توجد غرفة القيادة وغرفة نوم القبطان .. وبعض زوارق النجاة .. ولا شىء آخر .

وتسلقت عددا كبيرا من السلالم الضيقة ــ ذات الدرجات الحديدية بين سطح وسطح ــ الى أن وصلت الى السطح الأعلى .

وكان الظلام تاما وشاملا الا من نور خافت ينبعث من غرفة مكتب تلغراف اللاسلكى .

ودخلت وناولت البرقية الى عامل اللاسلكى وانتظرت حتى قرأها .. وخرجت .. ووقفت قليلا ريثما تعتاد عيناى الظلام .

وهنا تبينت ــ على مسافة غير بعيدة ــ شبحين مستندين الى حاجز الباخرة .. وكأنهما كانا يتفرجان

على أنوار بورسعيد وهى تومض من بعيد.. وكانا الملكة وأحمد حسنين ! ولم يكن فى وقفتهما معا شيء يريب .. الملكة تريد أن تتفرج على بورسعيد من على ظهر الباخرة او لعلها كانت تريد أن تلقى نظرة أخيرة على شاطىء الوطن ! ويصاحبها كبير الحاشية ورائد ابنها الملك .

لا شيء عجيب أو مريب فى هذا كله .. فقط !

فقط كانت الملكة تتكىء على حاجز السفينة.. وكانت يد حسنين تتكىء على كتفها !

وكانت هذه أول « علامة » أكدت عندي صدق الاشاعات !

وحدث ذات مساء ـ أثناء رحلتنا بالباخرة وكنا فى قاعة الرقص ـ أن تقدم انجليزى كان قد تناول من الخمر اكثر مما يحتمل رأسه ـ وكانت الباخرة مزدحمة بالانجليز العائدين من استراليا والهند وعدن ـ تقدم هذا الانجليزى المخمور من السيدة زينب ذو الفقار وانحنى أمامها باحترام وهو يكاد يفقد توازنه من فرط السكر والتمس من « جلالتها » أن تسمح له بهذه الرقصة !

وكانت اوركسترا الباخرة تعزف موسيقى رقص.. وتلفتت زينب هانم حولها .. كأنها تبحث عن منقذ أو منفذ للنجاة .. فلم تجد !

وكان الرجل مخمورا ـ كما قلت ـ ولحوحا ولو ان الحاحه كان فى أدب يليق بمن يقف أمام « صاحبة الجلالةملكة مصر » !

ورات زينب هانم انه من الافضل الا تثير ضجة أو تلفت الانظار فقامت وراقصت الرجل .. ثم غادرت القاعة فورا .

هذا والرجل يعتقد واصحابه يعتقدون أن السيدة

التى رقص معها هى ملكة مصر !
واتصل الخبر بفاروق فغضب غضبا شديدا وتساءل اين كان حسنين ؟ ولماذا لم يتدخل ويوقف الرجل عند حده أو يأمر ضباط السفينة بطرده من القاعة ؟ الى آخره .

ولكن حسنين كان كالعادة يلازم الملكة نازلى .. أو يتنزه معها فى مكان ما أو ركن ما على ظهر الباخرة الضخمة !

وفى الصباح ذهب حسنين الى الانجليزى المذكور .. وكان قد فاق من سكره وقال له أمام أصحابه انه أخطأ مرتين :

اولا ـ أخطأ لأنه ألح على سيدة ما بأن ترقص معه
وثانيا ـ أخطأ لأن هذه السيدة ليست ملكة مصر ـ كما يعتقد ـ بل هى السيدة المرافقة لجلالة ملكة مصر !

واعتذر الرجل .. وعرض أن يقدم اعتذاره لملكة مصر ، وللسيدة التى رقص معها ، ولكن حسنين اكتفى بقبول الاعتذار بالنيابة عنهما .

وعاد حسنين وأبلغ فاروق النتيجة .. وغضب فاروق وصاح فى حسنين :
ـ كان لازم تضربه قلمين !
وأجاب حسنين :
ـ وهل كان يسكت على القلمين ؟.. أبدا .. كان ضربنى بوكس ! وكنت ضربته بوكس ووقعنا فى خناقة وفضيحة على ظهر الباخرة ! وكان الخبر طار باللاسلكى الى صحف أوربا وأمريكا .. والحكاية كبرت .. والاشاعات كثرت عن سبب الخناقة .. وكانت ألف حكاية وحكاية خرجت تتحدث وتروى ما حدث وما لم

يحدث عن الرجل السكران الذى رقص مع ملكة مصر !

***

وكانت اول مرحلة فى الرحلة الملكية سويسرا .. وسان موريتز التى كانت تغطيها الثلوج فقد كنا لا نزال فى موسم الشتاء .

وحاول فاروق فى أول الأمر أن يتعلم « السكى » Ski أى الزحلقة على الجليد ولكنه وجدها رياضة شاقة وخطرة فانصرف عنها الى اللهو ومغازلة من فى الفندق ـ فندق سوفريتا ـ من فتيات .. ولكنه كان غزل أطفال واشهد أن وجه فاروق كان يومئذ يعرف الحياء والاحمرار .. وكان يرتبك اذا ابتسمت له فتاة أو وقفت تتحدث اليه .. وكان لا يعرف ماذا يفعل بيديه ! فكان يشبك أصابعهما حينا .. ثم يضع احداهما فى جيب البنطلون .. ثم يخرجها ويمسك بأصبعين منها طرف جيب الصديرى .. هذا وهو يضع ثقله حينا على قدمه اليمنى .. رحينا آخر على قدمه اليسرى .. وهكذا !

وكانت أول غزوة له مع شقيقتين من نبيلات السويد فكان يخرج معهما للنزهة على ظهور الجياد .

وبعد أن سافرت الشقيقتان السويديتان .. أخذ « يلتفت » الى فتاة مجرية ولكنه لم يلبث أن سئمها وتضايق منها لأنها كانت تلاحقه فى كل مكان يذهب اليه

وكان حسنين باشا يرى ويسمع ويراقب ولكن فى حذر شديد ، بل كان يتظاهر ـ وأمام فاروق ـ بأنه لايرى ولا يسمع ولا يعرف شيئا عن مغازلات ومغامرات صاحب الجلالة .

وقال لى مرة :

ـ ان الملك لايزال ينظر الى ـ ومنذ أيامنا فى لندن ـ

نظرة التلميذ الى الاستاذ .. وبيننا الآن ما يكون بين الاثنين من كلفة وتحفظ.. وهذا كما أعتقد من مصلحته ومصلحتي .. ويوم يشعر فاروق انني أعرف كل شيء عن مغازلاته ومغامراته هو يوم تزول الكلفة ويخرج على المكشوف ويفقد كل احترامه لى ولا يبالى بعدها بشيء .

وفى مرة أخرى قال لى وعلى فمه ابتسامة ساخرة :

ـ عقب وفاة الملك فؤاد وعودتنا من لندن اتصلت بى سيدات كثيرات من هوانم مصر وبنات أعرق الأسر فيها .. اتصلن بى وتحدثن الى فى لباقة ودبلوماسية رفيعة عن الملك .. الشاب الممتلئة عروقه بدم الشباب الحار.. وعن صحته وما تتطلبه هذه الصحة الغالية.. وتحدثن كذلك عن السن الحرجة ـ سن الخامسة عشرة والسادسة عشرة ـ وعن المتعة الصحية التى لابد منها لشاب موفور الصحة مثل « مولانا الملك » .. وعرضن ـ بكل لباقة ورقة وكياسة ـ وبكل أمانة وحرص وحذر عرضن خدماتهن على جلالة الملك .. وأبدين استعدادهن لأن يقدمن « البضاعة الصحية » اما فى قصورهن .. أو الى القصر الملكى مباشرة .. كما يشاء !

وروى لى حسنين رحمه الله تفاصيل كثيرة وأسماء كثيرة .. الى آخر ما لايمكن ولا يجوز أن يشار اليه ولو تلميحا أو من بعيد .

وقال :

ـ وكنت اقول لهؤلاء الهوانم ان « مولانا الملك » لن يرضى ولن يوافق اذا عرف ان لى دخلا فى هذا الموضوع أو انني مطلع على اسراره « الصحية » وان الافضل والحالة هذه أن يحاولن الاتصال بجلالة الملك وعرض

خدماتهن عليه من طريق آخر غير طريقى .

***

ولعل رجولة أحمد حسنين ـ وما من أحد حتى من خصومه أنكر عليه رجولته ـ أقول لعل رجولته نفرت وأبت عليه أن ينزل الى القيام بمثل هذا الدور أو هذه الوساطة .

وبعد .. لقد كانت خطة حسنين تفرض عليه ـ اذا قدر لها النجاح ـ أن يكون قائد الملك .. لا قواده !.. ان يكون الرجل القوى الذى يوجه الملك ويرشده ويسيطر عليه ـ عن طريق أمه الملكة نازلى ـ لا الرجل الذليل الرخيص الذى يشترك فى « توريد البضاعة أو المتعة الصحية » للملك الشاب !

وهل كانت نازلى كامرأة لها كبرياؤها .. هل كانت ترضى عن حسنين وتخضع له وتأتمر بأوامره ، لو انه قام لابنها بدور القواد .. لا دور القائد ؟

كل شيء اذن .. وكل مصلحة .. وكل سبب .. فضلا عن دواعى الرجولة والخلق القوى .. كل شيء اذن كان يفرض على أحمد حسنين أن يبتعد عن هذا الجانب من حياة فاروق .

ولعل فى هذه الصفحة الموجزة ردا على الذين زعموا ان حسنين هو الذى علم فاروق الفسق والفجور !

***

وكان حسنين طول هذه الرحلة حريصا على مقامه واحترامه فى نفس فاروق .. وحريصا فى نفس الوقت على تقوية قبضته على نازلى الملكة وأم فاروق .

وكانت الأميرات الشقيقات قد بدأن يتعلمن فى ساحة الفندق المغطاة بالجليد .. الزحلقة بالقبقاب

وكانت أكثرهن حماسة ورغبة فى التعليم فتحية التى

كانت لا تزال يومئذ فى السابعة من عمرها .. ولم تكن تبالى أن تقع عشر مرات أو عشرين مرة فى كل صباح .

وذات يوم نزلت الملكة نازلى نفسها تريد أن تتعلم هى أيضا .. وأمسك المدرب بذراعها .. وأحاط خصرها بيده .. وراح يعلمها كيف تنقل قدميها والقبقاب فوق الجليد .

وصاحبة الجلالة تتثنى وتتمايل ، والمصورون يلتقطون لها الصور فى هذه الاوضاع !

***

ووقف حسنين على درج السلم الخشبى الموصل بين الشرفة وساحة الزحلقة .. ومضت دقائق والملكة نازلى تحاول أن تتعلم وتمشي بالقبقاب.. وتحفظ توازنها.. وتضحك .. وأخيرا عادت أدراجها وخلعت قبقابها .

هذا وحسنين واقف ينتظر وعلى عينيه نظارة تحمى البصر من وهج الثلوج .

وأقبلت نازلى ..

وانفجر حسنين .. ولكن صوته لم يعل عن طبقته العادية : لا .. لا .. مش كده ياست !.. مش كده أبدا .. بكره راح نسمع كلام فارغ كتير بسببك !

ولم تزد هى ـ صاحبة الجلالة ـ عن أن تبتسم فى وجهه .. وهى تصعد اليه درجات السلم الخشبى .. حتى اذا وصلت أخذت بذراعه وهى تقول :

ـ طيب خلاص .. مرة وفاتت !

وعجبت لهذه اللهجة التى يخاطب بها موظف القصر صاحبة الجلالة الملكة وأم ملك مصر ! ؟

وعجبت أكثر وأكثر لخضوع صاحبة الجلالة ! فهى لم تغضب .. بل اعتذرت .. وتابت !

وكان ما خاف حسنين أن يكون .. ونشرت صحف

مصر بعض هذه الصور التى ظهرت فيها الملكة نازلى وهى تتزحلق على الجليد .

وقامت مظاهرة من طلبة الازهر الشريف وتعالت فيها أصوات الاحتجاج والمناداة بالحياة والسقوط .

وبادر رئيس مجلس الوصاية وولى العهد الأمير محمد على توفيق وأرسل الى حسنين باشا خطابا شديد اللهجة يوبخه فيه بقسوة على سماحه للمصورين بالتقاط هذه الصور .. وعلى سماحه لملكة مصر بالزحلقة على الجليد .. وعلى .. وعلى .. الخ .

وهز فاروق كتفيه .. وقهقه ضاحكا .. اما نازلى فقد غضبت وثارت وعلا صوتها وهى تصيح :

ـ كفايه بقى .. كفايه سبعتاشر سنة وأنا محبوسة ! خدوا الكورونا من على راسى .. مش عاوزاها .. « والكورونا معناها التاج » !

غضبت الملكة نازلى من خطاب الأمير محمد على توفيق وأعلنت انها وقد أمضت فى سجن الملك فؤاد سبعة عشر عاما تريد اليوم أن تكون حرة .. والا فانها لا تريد هذا التاج على رأسها ثم انطلقت تسب الازهر والازهريين وتدعو الله أن يصيب « البرنس » محمد على بكذا وكذا وكيت .

ولزمت صاحبة الجلالة جناحها الخاص بالفندق يومين غاضبة .. وانقطعت عن تلقى دروسها فى الزحلقة على الجليد .

وفى نفس الوقت تلقيت « أمرا ملكيا » من فاروق ان أكتب الى زملائى الصحفيين فى مصر وأطلب منهم أن يكفوا عن نشر أية صور لجلالة الملكة نازلى .. اللهم الا الصور التى تظهر فيها مع جلالة الملك فاروق .

أما صورها وحدها ، أو مع الأميرات فممنوع النشر

وصدعت بالأمر الملكى وكتبت فى هذا المعنى خطابات خاصة الى « الاهرام والمقطم والمصرى ودار الهلال واللطائف المصورة » الى آخره .

واستجاب الزملاء لرجائى ولم يشر احد منهم الى خطابى الخاص .. ما عدا المرحوم اسكندر مكاريوس صاحب مجلة « اللطائف المصورة » فقد نشر على صفحة كاملة من مجلته خلاصة لخطابى الخاص وتعليقا له قال فيه : ان الصحافة حرة ، فى حدود القانون ، واننا فى القرن العشرين وعصر الديمقراطية وحقوق الانسان ، وان « صاحبة الجلالة » الصحافة حرة فى نشر ما يحلو لها من صور أصحاب وصاحبات الجلالة .. ولتفعل بنا القوة ما تشاء !..

وكلاما فخما كثيرا فى هذا المعنى ! ومن يومها حرمت « اللطائف المصورة » وصاحبها من العطف الملكى السامى ! فلم تدع أو يدع صاحبها الى أية حفلة من الحفلات التى كانت تدعى اليها الصحف واصحابها ورؤساء تحريرها فى قصر عابدين .

***

غضبت الملكة نازلى ، ولزمت جناحها الخاص .. وشكا جميع من كانوا معها من « عصبيتها » وحدة لسانها .

وذات صباح تلقى فاروق من مصر برقية تقول أن صاحب السمو الملكى الأمير محمد على قد أصيب بذبحة صدرية وان حالته خطرة .

وهنا عادت الابتسامة الى شفتى الملكة نازلى وقالت لمن حولها : « أبواب السما كانت مفتوحة لما دعيت عليه ! دنا دعايا ما ينزلش الارض ! » .

وغادرنا سان موريتز فى مساء ٢٥ مارس الى جنيف

فوصلنا اليها صباح اليوم التالى ٢٦ مارس .

وجنيف مدينة تتوافر فيها أسباب اللهو لمن يريد أن يلهو .. وفيها أركان منعزلة ، ومحلات أنيقة لتناول الشاى ، وصالونات خاصة ، ونزهات بالسيارة خارج المدينة ، أو بزورق بخارى فى بحيرة ليمان الشهيرة .

وفى جنيف بدأنا نلاحظ كثرة خروج احمد حسنين مع الملكة نازلى وحدهما .. وأحيانا معهما السيدة الجليلة زينب ذو الفقار .

ثم فوجئنا بخبر سفر حسين صبرى باشا خال فاروق مع السيدة الكريمة زوجته عائدين الى مصر مع انه كان مقررا انهما سيلازمان الملك والملكة طول الرحلة فى أوروبا .

ودار همس خفى بأنهما سافرا لأنهما غير راضيين عن سلوك الملكة نازلى معهما ! فقط ؟ أم هناك شىء آخر ؟

لا أعرف . ولقد بقى السر معهما حتى اليوم !

***

وهكذا .. اقمنا أياما فى مدينة جنيف .. وكان احمد حسنين يخرج مع الملكة !

والقائمقام عمر فتحى يخرج مع الملك !

ولم يخرج الاربعة معا الا فيما ندر !

وذات صباح ـ وكنا وقوفا فى بهو الفندق ننتظر نزول صاحب الجلالة من جناحه الخاص ـ أقبل علينا فاروق وعلى وجهه مسحة من الحزن والجد والقى علينا تحية الصباح ثم قال :

ـ البقية فى حياتكم .. الأمير محمد على مات !

وأسدل كل منا على وجهه نقابا من الحزن واطرقنا برءوسنا كما كان ينبغى أن نفعل .. وتمتم بعضنا بعبارات العزاء والدعاء لله أن يطيل فى عمر مولانا .

وتسللت أنا على أطراف أصابعى الى غرفة مجاورة فيها مكتب وأدوات للكتابة وجلست أكتب صيغة برقية الى جريدة « المصرى » وأصف فيها كيف وقع الخبر الأليم فى نفس جلالة الملك وماذا فعل وماذا قال وكيف قدم اليه أفراد الحاشية عزاءهم ضارعين الى الله أن .. الى آخره .

وبينما أنا كذلك دخل على حسنين باشا وسألنى ماذا أفعل ؟ وعلى وجهه ابتسامة .. وقلت اننى أكتب برقية لجريدة « المصرى » بما حدث !

قال رحمه الله :

ـ برقية ايه يامدب ! مولانا ضحك عليكم والنهارده أول ابريل !..

***

وفى نفس اليوم ـ على ما أذكر ـ استأذنت من فاروق فى السفر الى « مونتريه » لكى أوافى جريدة «المصرى» بأخبار مؤتمر الغاء الامتيازات الاجنبية ريثما يصل الاستاذ محمود أبو الفتح الذى كان أرسل لى برقية يقول فيها انه مضطر للبقاء فى مدينة ميلانو بضعة أيام بسبب اصابته بعرق النسا !

وأذن لى فاروق بالسفر وطلب منى أن أبلغ تحياته الى « رفعة » النحاس باشا وزملائه وتمنيات جلالته لهم بالتوفيق .

وسافرت الى « مونتريه » وبقيت فيها عشرة أيام ، وكان عجيبا حقا أن أسمع هناك ـ لأول مرة ـ ومن الدكتور احمد ماهر ـ رحمه الله ـ أول اشاعة تربط بين اسم فاروق واسم صافيناز .. فقد خرجنا ذات مساء ـ انا والدكتور احمد ماهر وجورج دومانى بك ـ وكلاهما عضو فى وفد مصر لدى مؤتمر الغاء الامتيازات

الاجنبية .
خرجنا نتمشى على ضفة بحيرة ليمان فى الطريق الى « فيفيه » .
وسألنى أحمد ماهر :
ـ صحيح جلالة الملك راح يتجوز الآنسة صافيناز؟
ودهشت ، وعجبت من أين جاءت هذه الاشاعة ؟ فقد كان مضى على شهر كامل أرى فى كل يوم فيه الملك فاروق والآنسة صافيناز ذو الفقار دون أن الاحظ شيئا ..

كان فاروق يعاملها كما يعامل شقيقاته الصغيرات.. وكان أفراد الحاشية ـ وأنا معهم ـ يعاملونها بأدب جم ولكن بدون كلفة .
كنا مثلا نبتسم اذا لقيناها ونحييها .
ـ بونجور مدموازيل ، أو بونجور « فافيت » !
و « فافيت » تدليع صافيناز .. وكانت هى ترد التحية بأدب واحتشام وتقول :
ـ بونجور اكسلانس .. أو بونجور يا أستاذ !
ولم يخطر ببال أحدنا ـ أو بالى أنا على الأقل ـ ان هناك شيئا ما بين فاروق وصافيناز .. أو ان « فافيت » هى ملكة مصر القادمة !

دهشت اذن وعجبت ، سألت الدكتور أحمد ماهر من أين سمع هذا الخبر ؟
وضحك رحمه الله وقد ظن اننى قد وقفت على هذا السر بحكم ملازمتى لحاشية الملك ، ولكننى أرى من واجبى أن أكتم سر الملك وصافيناز .
وضحك وقال :
ـ طيب ما تعملش عبيط ! الحكاية سمعناها فى مصر .

أي أن الخبر طار الى مصر من قبل أن نلاحظ شيئا نحن الذين كنا مع فاروق وصافيناز ؟

والتفسير الوحيد عندى هو أن حسين صبرى خال الملك والسيدة زوجته هما اللذان أذاعا السر فى مصر .

***

وكان فاروق ومن معه قد غادروا جنيف الى مدينة برن .

وفى برن ـ كما علمت فيما بعد من أصدقائي رجال الحاشية ـ بدت من فاروق أول اشارة تدل على حقيقة عواطفه نحو الآنسة صافيناز .

كانت صافيناز تتناول طعامها دائما مع الأميرات : فوزية وفايزة وفايقة وفتحية .. ثم تنسحب معهن بعد تناول العشاء مباشرة لتأوى كل منهن الى غرفتها .

وكان غير مسموح لهن بالسهر .

ولكن حدث فى برن ـ ولأول مرة ـ ان نزلت الآنسة صافيناز وهى ترتدى ثوبا من ثياب السهرة .

ولم تنسحب بعد تناول العشاء مع الأميرات كما كانت تفعل ، بل بقيت فى قاعة الفندق الكبرى .

ثم دعاها فاروق للرقص معه .. ورقص الاثنان معا أكثر من مرة فى تلك السهرة .. وكانت تلك أول مرة ـ كما قلت ـ وكانت هذه أول اشارة أو أول خطوة خطاها فاروق الى صافيناز .

ولم تحدث هذه الاشارة أو هذه الخطوة الا فى « برن » .. ولكن اشاعة الزواج كانت فى مصر قبل ان يصل فاروق وصافيناز الى «برن» وقبل أن يرقصا معا !..

وأنهيت مأموريتى فى مونتريه ولحقت بفاروق

وحاشيته فى مدينة زيوريخ ، وبعد أيام سافرنا الى باريس ! باريس التى كانت نازلى ـ كما قالت مرارا ـ تشتهى أن تزورها قبل أن تموت !

وكنا جميعا قد انتهينا الى تقرير امرين او حقيقتين وهما :

فاروق يحب صافيناز ..

ونازلى تحب حسنين ..

وحسنين ؟ هل كان يحب نازلى ؟

لا أعتقد ولا أحد غيرى كان يعتقد هذا ، والحقيقة ان الاثر الذى انطبع يومئذ فى نفوسنا هو أن نازلى هى التى تجرى وراء حسنين .. وأن حسنين « تقيل » ! ثم لعله كان يتعمد أن يثير غيرتها عليه فى بعض الظروف فقد لاحظت أن حسنين كان يحرص على التودد والتظرف والتحدث مع كل سيدة أو آنسة جميلة يلقاها فى قاعة الفندق .. اذا كانت الملكة نازلى موجودة !

بل كان يطلب منا اذا رأى مع أحدنا فتاة جميلة من المقيمات بالفندق .. كان يطلب منا أن نقدمه اليها .. ثم يدعوها للرقص .. أو لتناول شراب ما ..

كل هذا اذا كانت الملكة نازلى موجودة .. ترى وتسجل وتنقر بأصابعها على المائدة الصغيرة أو على ذراعى المقعد بغضب وعصبية !

أما اذا لم تكن موجودة فان حسنين كان قليل الاكتراث بالسيدات والآنسات .. وكان لا يتحرك لدخول أية جميلة مهما كان جمالها يبهر الأبصار أو يلفت الأنظار !

وحدث مرة ـ وكنا لا نزال فى سان موريتز ـ أن قام حسنين يراقص فتاة المانية كنت أعرفها واسمها « جوى جيبجل » وكانت معدودة يومئذ من ابطال

التنس فى المانيا وحسنين راقص رشيق بارع .
والفتاة الالمانية طويلة القامة هيفاء العود .
وطال رقص الاثنين ..
وانتفضت الملكة نازلى واقفة .. ونادت بصوت ينم عن الغضب :
ـ حسنين !
وأرخى حسنين على الفور ذراعه التى كانت تطوق خصر الفتاة وأسرع الى الملكة نازلى .
ـ أفندم ما جستيه ..
أى أفندم يا صاحبة الجلالة ؟
وخرجت « ماجستيه » من قاعة الرقص ، ووراءها أحمد حسنين ! ..
وتبادل بعضنا النظرات ..
***
أما فاروق فكان يرقص ساعتئذ مع شهيرة هانم زوجة خاله حسين صبرى باشا ولعله لم يلاحظ شيئا وأكبر ظنى أن فاروق لم يكن يومئذ يخامره أى شك فى سلوك أمه أو فى حقيقة علاقتها بأحمد حسنين .
كان فاروق يومئذ لايزال يحسن الظن بأمه .. ويحسن الظن برائده أحمد حسنين .
قلت ان أحدا منا لم يكن يعتقد أن حسنين باشا ممثل بارع ، وان كل اشارة منه بحساب وكل خطوة بحساب وكل نظرة وكل عبارة موزونة بالدرهم والمثقال وانه ـ فى كلمة واحدة ـ لا يفعل شيئا اعتباطا أو « لوجه الله » .
انه لم يكن يحب نازلى ، وهذا أمر كان مفروغا منه عند الذين يعرفون أحمد حسنين .
ولكنه كان حريصا على أن تحبه هى .. ومن هنا كان

يتعمد ـ كما ذكرت ـ أن يثير غيرتها .
لماذا ؟ لماذا يحملها على أن تحبه ، بينما هو لايحبها ؟ لكي يخضعها لارادته ، ويسيطر عليهـــا .. وقديما قالوا : « ان الأقوى بين كل محبين اثنين هو الذى يحب أقل من صاحبه » . والذى يسيطر على نازلى يسهل عليه أن يسيطر ـ من ورائها ـ على فاروق .
وكان الأمر واضحا لكل ذى عينين ومنـــذ كنا فى أوروبا فى صيف عام ١٩٣٧ .

***

وكان حســـنين يعامل نازلى أمامنا معاملة الموظف المرءوس لصاحبة الجلالة .. أى بكل الاحترام والطاعة والأدب .
رغم ذلك كانت تبـــدو منه ـ ربما عفوا ـ بعض الاشارات أو العبارات التى وان كانت لا تتنافى مـــع الاحترام والأدب الا أنها كانت تنم بكل تأكيد عن القوة ، أو السيطرة ، وانه هو الأقوى ، وان كلمته هى التى يجب أن تنفذ !
دخلت عليه مرة ذات صبـــاح فى غرفته بفنـــدق « بلاتزا اتنيه » حيث كان ينزل الملك والملكة والأميرات والحاشية ـ وكان حسنين مسترخيا فى فراشه يتناول قهوة الصباح . وجلست فى مقعد الى جانب الفراش .
وكنا فى أوائل شهر يونية ، وهو من أجمل شـــهور السنة فى باريس .
وكان اليوم يوم « أحد » .. وراح حسنين يحدثنى عن أيام شبابه وذكرياته فى باريس يوم أقام فيها وعدل عن الدراســـة فى اكسفورد .. وقرر أن يدرس فن الرسم فى الحى اللاتينى .
وحسنين ـ حين يريد ـ كان يستطيع أن يتحدث

كشاعر وأن يحلق بسامعه فى سماوات الأحلام .
ودق جرس التليفون الموضوع بجانب السرير ..
وتناول حسنين السماعة .. وسمعت صوتا نسائيا..
واعتدل حسنين فى فراشه وقال :
ــ صباح الخير ماجستيه .

وأدركت أن التى تكلمه هى الملكة نازلى .. ووقفت أريد الانسحاب ولكنه أشار الى بيده أن أجلس .. فجلست .

وكان صوت الملكة نازلى مسموعا وواضحا تماما كما يحدث أحيانا فى بعض آلات التليفون .

وكانت جلالتها تريد أن تذهب مع « البنات » ــ كما كانت تسمى الأميرات ــ الى ملهى « لونابارك » .

وقال حسنين :
ــ مستحيل ماجستيه !..

ومضى يقول ان اليوم « الاحــــد » وان لونابارك سيكون مزدحما بمختلف طبقات الشعب وكل من هب ودب .. فكيف تذهب ملكة مصر وصاحبات السمو الملكى شقيقات ملك مصر الى ملهى شعبى كهذا فى يوم الاحد ؟

وسمعت الملكة تضحك وهى تقول :
ــ يظهر انك عجزت خلاص ياحسنين ؟
والحت فى الذهاب ..
واصر هو على الرفض ؟
وكان له ما أراد .. وعدلت نازلى عن الذهاب الى لونابارك !

ولكن هل كان اعتراض حسنين على ذهاب نازلى الى ملهى لونابارك يوحى من اخلاصه وواجبه كرائد لابنها الملك ورئيس الحاشية الحريص على سلامتها

وسلامة الأميرات .. وحريص على مكانها كملكة مصر .
ام ان اعتراضه كان لمجرد الاعتراض .. ومجرد الرفض .. ومجرد خلق فرصة أو مناسبة يقول فيها : « لا » .. ويرغمها ـ ملكة مصر ـ على أن تخضع وتقول له : « نعم » ؟ !

كان هذا هو الواقع .. واعتراض حسنين كان من باب « الترويض » .

كانت نازلى ـ كما قلت ـ تتحرق شوقا الى باريس ، ومشاهدة كل ما فى باريس .. ومن هنا كانت تضيق أحيانا بمعارضة حسنين وتغضب وتثور .

وكان هو اذا رأى أن ثورتها توشك أن تنفجر .. فتح قبضة يده وأرخى لها الزمام .. حتى اذا تعبت من العدو عاد وجمع الزمام فى قبضة يده القوية .

وهكذا رأيت حسنين الذى عارض فى ذهاب الملكة الى لونابارك ، رأيته يصحبها بنفسه الى ما هو شر بكثير من لونابارك .. رأيته يصحبها الى سهرات فى حانات و « صناديق الليل » فى أحياء مونمارتر ومونبارناس .

وكان يوجد وقتئذ فى حى مونبارناس ملهى أو على الاصح « ماخورة » إسمها « سفنكس » .. ترقص فيها فتيات وهن عاريات الجسد تماما حتى من ورقة شجرة التوت !

وذهبت ذات مساء مع صديقين من رجال الحاشية الى «سفنكس» المذكور .. واشهد ان نفوسنا اشمأزت مما رأيناه فغادرنا الملهى أو « الماخورة » مسرعين .

ولكنى سمعت بعد ذلك ان « سفنكس » كان من بين ملاهى مونبارناس التى زارتها صاحبة الجلالة ملكة مصر وفى معيتها أحمد حسنين !

والذى يستطيع أن يفهم .. يستطيع ان يعذر !
كانت نازلى بطبعها وطبيعتها ميالة للمرح والاستمتاع بكل ما فى الدنيا وكل ما فى سنوات الصبا والشباب .

ولقد حرمت من الشاب الذى أحبته وحرمت كذلك من حق شبابها وصباها .

وأمضت أحلى سنوات العمر سجينة فى قفص ، أو فى قصر فخم منيف سجانه الملك فؤاد .

ومات السجان .. وتحررت السجينة .. وانطلقت ـ كما سبق أن قلت ـ انطلقت تنهل ملء راحتيها من عيون الحياة .. وهى تشعر انه لم يبق لها من سنوات « ما بعد الصبا » الا القليل .. ولم يبق بينها وبين الكهولة المرة الباردة الا القليل .

وكان حسنين الخبير بطباع النفوس يعرف هذا ويقدره .. ويعمل له حسابا .. ولو انه كان وقف دائما فى وجهها يعترض ويقول : « لا » .. لانتهى الأمر بثورة عاصفة جامحة .. ومن هنا كان يشد حينا ، ويرخى حينا .. وهكذا استطاع أن يحفظ المظاهر ـ ولو الى حد ما ـ وأن ينقذ ملكة مصر من انهيار خلقى نفسانى فظيع .

ولسوف يقول التاريخ الحق ان نازلى ملكة مصر لم تنفجر و « تفجر » الا بعد موت مروضها احمد محمد حسنين .

وذات مساء ذهب فاروق ـ ومعه بعض رجال الحاشية ـ الى ملهى « بال تابران » فى مونمارتر ولم يجدوا مقصورة خالية أو مقاعد من مقاعد الدرجة الاولى أو الثانية .

فقد كان الملهى المذكور كعادته مكتظا بالمئات .

وأخيرا وقف فاروق وأصحابه فى المحل المخصص

للدرجة الثالثة .

وفى صباح اليوم التالى صدرت جريدة باريسية — وهى « انتراسيجان » وفيها « ريبورتاج » او وصف مسهب التفاصيل لزيارة ملك مصر للهى بال تاباران .

وعنوان المقـــال مقتبس من قصـــة فيكتور هيجو المشهورة « الملك يلهو » Le roi s'amuse وكنت جالسا — فى نفس الصباح — فى بهو فندق «بلاتزا اتنيه» مع اليوزباشى احمد الطاهر ونزل المصعد الكهربائى .. وفتح بابه .. وخرجت منه الملكة نازلى ووراءها وصيفتها الفرنسية وفى يدها عدد جريدة « الانتراسيجان » .

اذن فقد قرات صـــاحبة الجلالة مقـــال الصحيفة الباريسية عن ابنها .. الملك يلهو !

واذا كان فاروق .. الشـــاب الذى لا تزال الحياة أمامه فسيحة ممتدة .. اذا كان ينتهز فرصة وجوده بباريس ليلهو ويلعب فأولى بها هى — بل ومن حقها — أن تلهو وتلعب ولم يبق بينهـــا وبين الـكهولة وسن اليأس الا القليل .

لعل شيئا من هذا كان يدور برأسها حين تقدم منها أحمد الطاهر وانحنى .. ومدت اليه يدها فقبلها .

وسمعته يقول :

— كل عام ومولاتنا بخير .

وابتسمت هى وقالت :

— خلاص يا كابتن عجزنا .. ولا بقاش الا القليل !

وكنت قد وقفت بدورى .. ولـكننى بقيت واقفا حيث كنت « زى اللوح » ولم أتحرك .. ولم أقدم لجلالتها التهانى لسبب بسيط ، وهو اننى لم أكن أعرف مناسبة التهنئة !

وقال يوزباشى أحمد الطاهر :

ـ النهارده عيد ميلاد الملكة نازلى .

***

وقد دار الطاهي يومئذ على سيدات ورجال الحاشية يسأل كلا منهم وكلا منهن عن عدد الشموع التى يضعها فى « تورتة » عيد مولد صاحبة الجلالة .. وكل شمعة بسنة من سنى حياتها المديدة .

وتهربوا جميعا من الرجل .. ومن السؤال .

واخيرا قيل له : « ضع نفس عدد الشموع التى وضعتها فى العام الماضى » .

وكان عددها أربعا وأربعين ! أى ان الملكة نازلى كان عمرها فى صيف ١٩٣٧ خمسة وأربعين عاما !

لا عجب !

وحدث أثناء اقامتنا فى باريس أن وصل وفد مصر لدى مؤتمر الغاء الامتيازات فى مونتريه بعد توفيقه فى مهمته وهى موافقة الدول الأجنبية ذات الشأن على الغاء الامتيازات والتنازل عن جميع حقوقها لسلطات القضاء المصرى .

وكان الوفد المذكور ـ كما ذكرت فى الفصل السابق ـ برئاسة رئيس الوزارة يومئذ مصطفى النحاس باشا وكان من بين أعضاء الوفد الاستاذان مكرم عبيد باشا والدكتور أحمد ماهر .

ونزل النحاس باشا والسيدة قرينته فى جناح كبير بفندق جورج الخامس .

ونزل معه فى نفس الفندق الاستاذ مكرم عبيد والسيدة قرينته . أما الدكتور احمد ماهر فقد اختار رحمه الله فندقا من فنادق الدرجة الثانية بميدان « بيراميد » ـ أى الاهرام ـ المقام فيه تمثال لجان دارك ، بشارع ريفولى ، وهو فندق ريجينا ونزل به

مع صديقه المرحوم السيد عبد الحميد البنان .

وطلب منى حسنين باشا أن ادبر له اجتماعا مع مكرم عبيد باشا .. وكلمت الاستاذ مكرم فوافق ورحب بالاجتماع بحسنين ، ولكنه سألنى :

ـ ما تعرفش عايز يقابلنى ليه ؟

قلت : لا أعرف .. ولكن لعله يريد أن يقول لك ما سبق أن قاله لى مرارا وهو ان الملك فؤاد مات .. وان من حسن السياسة أن يدفن الوفد خصومته القديمة للملك فؤاد وأن ينسى مخاوفه وشكوكه من القصر ورجال القصر .. لأن العهد قد تغير .

واجتمع الرجلان بعد ظهر أحد الايام فى مطعم ـ مقهى « البافيون ده روز » بشارع الشانزلزيه .

وصح ما توقعته وبدأ حسنين الحديث عن فاروق ، وكيف أنه وطنى ومؤمن بحقوق بلاده وحقوق شعبه.. ومتحمس لمصر وكل ما هو « مصرى » الى آخره .. ورجا من الوفد ـ فى شخص مكرم عبيد ـ أن ينسى الماضى وما كان فيه من خصومات .. وأن يبدأ مع الملك والقصر ،ورجال القصر ، عهدا جديدا يقوم على التعاون فى خدمة مصر واحترام ما للشعب من حقوق وما للملك من حقوق .

ثم قال حسنين : انه يعتقد ان لا شىء أعظم وأجدى من الصراحة .. وانه شخصيا ليس من رجال السياسة ولا يفهم فى السياسة ، بل ولا يريد أن يفهم فيها أو يشتغل بها ، ولكنه مع ذلك يقول : انه اذا قدر عليه ـ لا قدر الله ـ أن يشتغل فى يوم ما بالسياسة فانه سوف يجعل الصراحة مبداه الذى لا يحيد عنه .. ولهذا فانه يرجو من رجال الوفد ـ ومن مكرم باشا بالذات ـ أن يصارحوا القصر ورجال الملك دائما بما

يريدون ويقترحون وبأية ملاحظات لهم . وانه ــ أى حسنين ــ يعد بأنه من جانبه سوف يكون دائما معهم فى منتهى الصراحة .. وسوف يعمل من جانبه على تحاشى كل سبب من أسباب الخلاف ويحرص علي تسوية كل مشكلة وكل نزاع على أساس احترام حقوق الشعب ، وحقوق الملك كما حددها الدستور .

هــذا ــ وحسـنين ــ يفرد يديه أمامه تواضعا ، واستصغارا لشأن نفسه وشأن منصبه .

ثم يقول :

ــ ولو انني كما قلت لا أشتغل بالسياسة ولا أفهم فيهـا كما ان منصبي فى القصر ليس من المنـاصب السياسية والحمد لله !

ورد مكرم باشا فقال ما خلاصته ان الوفد قد دفن الماضي ونسى خصوماته حتى ومن قبـل وفاة المرحوم الملك فؤاد .. وان النحاس باشا فى آخر مقابلة له مع الملك فؤاد وهو على فراش الموت أكد له اخلاص الوفد للعرش وان الملك فؤاد قال يومئذ للنحاس باشـا انه تأكد الآن من ان مصطفى النحاس هو أخلص رجل له فى مصر .. الى آخره .

وان النحاس باشا وجميع أعضاء الوفد يحبون الملك فاروق ويستبشرون خيرا على يديه ، وانهم يخلصون له كل الاخلاص وليس أدل على اخلاصـهم لشخصه الكريم من ان الوزارة ــ « وزارة الوفد » ــ رفضت الاقتراح الذى تقدم به البرنس محمد على رئيس مجلس الوصاية برفع سن الرشد للملك من ١٨ الى ٢٥ عاما ، وعودة الملك فاروق الى انجلترا ليستأنف دراسته الى أن يبلغ سن الخامسة والعشرين .

وقال مكرم انه يعد حسنين بأنه هو أيضا من جانبه

سيعمل دائما بصراحة واخلاص من اجل تسوية كل مشكلة وكل نزاع قد يقوم فى المستقبل بين القصر والحكومة الدستورية النيابية.. الى آخره.. الى آخره

وافترق الرجلان وهما يبتسمان ويؤكدان — كل منهما لصاحبه — ان كل شىء سوف يسير باذن الله على ما يرام !

وانصرف حسنين وتركنى مع مكرم عبيد ، وقال مكرم وهو يطلق ضحكته التهكمية القصيرة :

— ايه ؟ حسنين عايز يفهمنى انه عبيط خالص ولا يعرفش حاجه أبدا فى السياسة ؟

قلت : جايز ..

قال : لكن غرضه ايه ؟

قلت : الذى فهمته من حديثه انه خايف منكم على الملك فاروق ويريد أن يطمئن على حسن نواياكم .

وقال مكرم : طيب وايه حكاية التعاون دى بيننا وبينه ؟

قلت : ولم لا ؟ انه الآن رائد الملك واقرب رجال القصر اليه .. بل هو صاحب النفوذ الاول فى القصر .

وعاد مكرم وأطلق مرة أخرى ضحكته القصيرة وقال وهو يضغط على ذراعى بيده :

— والملكة نازلى .. هيه ؟

قلت : نعم .. والحكاية معروفة .. وحسنين باشا كما قلت معاليك — صاحب النفوذ الاول عند الملكة نازلى .

***

وأعترف اننى لم أفهم تماما غرض حسنين باشا من مقابلة مكرم باشا الا فى ضوء الحوادث التالية ، وسوف اعرض لها فى الوقت المناسب ، ولكننى لا أرى بأسا

فى أن أكشف السر منذ الآن وأقول ان حسنين باشا رحمه الله كان يمهد السبيل للحصول على منصب رئيس الديوان .. وهو المنصب الذى كان قد بقى شاغرا منذ استقالة احمد زيور باشا فى حياة الملك فؤاد .

كان يمهد السبيل عن طريق اقناع مكرم عبيد ـ سكرتير الوفد والرجل الاول فى الوفد وصاحب الكلمة التى لا ترد عند رئيس الوفد مصطفى النحاس كما كان يعرف الجميع .. عن طريق اقناع مكرم عبيد بأنه ـ أى حسنين ـ رجل لا يفهم فى السياسة .. هذا أولا ، وثانيا ، انه رجل مسالم حريص على حسن العلاقات بين حكومة الاغلبية الوفدية والقصر .. وثالثا ، ان عهد الملك فؤاد قد مضى وراح بخصوماته ومؤامراته ودسائسه .. وان العهد الجديد شىء آخر ورجاله ـ الذين فى القصر ـ رجال آخرون لا يتمنون شيئا أكثر من احترام حقوق الشعب ، والمحافظة على حقوق الملك التى كفلها الدستور ولا شىء آخر .

وهذا ما كان يتمناه الوفديون ويطالبون به من زمن طويل .. وها هو ذا حسنين يعرض عليهم خدماته !.. حسنين « العبيط » الذى لا يفهم فى السياسة فهو اذن رجل مأمون لا يخشى شره ويمكن الوثوق به والاطمئنان اليه .

ولكنه ـ كما حرص على أن يقول لمكرم ـ فى منصب ليس من المناصب السياسية التى تجيز له الاشتغال بالسياسة أو التدخل فى الشئون أو المشاكل السياسية !

وأفهم اذن يامكرم باشا !.. ضعوا حسنين فى منصب سياسى بالقصر وهو كفيل بالعمل على احترام الدستور واحترام حقوق الشعب والبرلمان والحكومة الدستورية واحترام حقوق الملك فى الحدود التى رسمها الدستور !

وفى كلمة واحدة .. سوف يضمن لكم احمد محمد حسنين سياسة التعاون المخلص الصريح التى كنتم تتمنونها من زمن طويل !

وحسنين قادر على الوفاء بوعده لأنه ـ كما لابد أن سمعتم يا زعماء الوفد ـ صاحب النفوذ الاول عند فاروق ، وعند الملكة نازلى وهى بدورها صاحبة النفوذ الاول يومئذ عند ابنها الملك فاروق .

كان هذا هو تقدير حسنين باشا . ولاشك انه تقدير سليم أو تقدير مقبول عند الساسة المسالمين أو الزعماء الذين لا يعتدون كثيرا بقوتهم أو بحقوقهم التى ينص عليها الدستور .

ولكن ـ كما اننى لم افهم يومئذ غرض حسنين من هذه المقابلة ومن حديثه الطويل ، كذلك مكرم لم يفهم قصد حسنين .

ويوم فهم الوفد ـ ومكرم باشا بالذات ـ غرض حسنين وهو انه يرشح نفسه لمنصب رئيس ديوان جلالة الملك .

رفض الوفد أن يزكى هذا الترشيح بحجة ان حسنين لم يدرس القانون ، ورئيس الديوان يجب أن يكون من رجال القانون !

وحجة أخرى وهى ان حسنين ليس من رجال السياسة وهو باعترافه لا يفهم فى السياسة ، ورئيس الديوان يجب أن يكون من رجال السياسة !

ومع ذلك .. فانه اذا كانت مصر قد أنجبت سياسيا واحدا من الطراز الاول بعد عبد الخالق ثروت واسماعيل صدقى .. فان هذا السياسى هو أحمد محمد حسنين. ولكنه ـ كما قلت ـ كان دائما حريصا على أن يقول لكل من يلقاه انه لا يفهم فى السياسة ولا يريد أن يفهم

فيها أو يشتغل بها من باب التمويه والتضليل ولكى يحمل الساسة والزعماء على أن يطمئنوا اليه ولا يحسبوا له حسابا !

وكان حسنين رحمه الله يسر كثيرا ويفرك يديه فرحا عندما يسمع أن فلانا من الزعماء أو الساسة يقول عنه انه « عبيط »

***

وقرر فاروق ان يسافر الى لندن .

وفى نفس الوقت تقرر ان يعود وفد مصر برئاسة النحاس « باشا » الى سويسرا لكى يشهد اجتماع « المرحومة » عصبة الأمم فى جنيف ويقدم طلبا بانضمام مصر الى الهيئة المذكورة .

وتحدد موعد « يتشرف » فيه النحاس « باشا » واصحابه أعضاء وفد مصر بمقابلة جلالة الملك بمناسبة سفرهم الى جنيف .

وفى الموعد المحدد اقبل فاروق على « الصالون » الخاص الملحق بجناحه فى الفندق ووقف حوله كبار رجال حاشيته فى انتظار وصول رئيس الوزراء .

ولكن النحاس باشا ـ كعادته ـ تأخر نحو ربع ساعة وكان فاروق يتأفف ويظهر غضبه ويقول انه قرأ مرة ان دقة المواعيد من آداب الملوك ، ولكنه يريد أن يقرأ ان اخلاف المواعيد يعد قلة أدب من رؤساء الوزارات !

وفى هذا المعنى بالذات ـ وبعد شهرين اثنين أوثلاثة شهور ـ كتبت جريدة « البلاغ » أكثر من مقال واحد بامضاء صاحبها المغفور له عبد القادر حمزة باشا .. وكان رحمه الله يومئذ لسان حال القصر بعد أن بدأت أسباب الخصومة والخلاف تتعدد وتشتد بين القصر ورجاله من جانب وعلى رأسهم رئيس الديوان على ماهر

باشا ، وبين حكومة الاغلبية الوفدية ورئيسها مصطفى النحاس · ولكننى أسرع الخطى واستبق التاريخ

***

أقبل النحاس باشا متـــأخرا عن الموعد المحدد نحو ربع ساعة واستقبله فاروق .

ولم أشهد بطبيعة الحال هذه المقابلة لأننى كنت واقفا انتظر فى غرفة أخرى ملحقة بالصالون مع بعض أفراد الحاشية .

ولم تطل المقابلة أكثر من دقائق .

وفتح باب « الصالون » وخرج منه النحاس ومكرم ومن معهما .

وكان النحاس « باشــا » متجهم الوجـــه مقطب الحاجبين .. ولم يكد يرانى حتى أشار الى أن أتبعه .

ونزلت معهم الى بهو الفندق وأخذ النحاس «باشا» بذراعى وقال :

ــ اللعب بدا من دلوقت ..

قلت : خيرا يا رفعة الباشا ؟

قال : لا .. مش خير أبدا .. أبدا .. الملك كلمنى عن حفلات التولية التى ستقام بعد عودته الى مصر ، وعاوز حفلة تقام فى القلعة .. آه فى القلعة .. وشيخ الازهر .. سامع ياسى التـــابعى ! شيخ الازهر يقلده فيها .. فى الحفلة دى سيف جده محمد على .. آه .. محمد على .. والأمراء .. يكونوا حاضرين الحفلة ولابســـين الهدوم اللى كان جدودهم بيلبســـوها أيام محمد على .. وفى الحفــلة دى مش عارف مين ومين رايحين يقســـموا له يمين الولاء والاخـــلاص !.. أيوه ياسيدى .. حفلة فى القلعة .. انت عارف ياسى التابعى الدستور بيقول ايه ؟

ولم تسعفنى ذاكرتى بأحكام الدستور ونصوصه فى هذا الموضوع وقلت :

ـ لا .. ما اعرفش يا رفعة الباشا ..

وقال رفعته :

ـ ما تعرفش ؟.. طيب انا أقول لك .. الدستور بيقول ان الملك قبل ان يتولى سلطاته ويباشرها يقسم اليمين الدستورية أمام الهيئة المشتركة من أعضاء مجلس الشيوخ والنواب .. آه .. أهو ده اللى بيقوله الدستور .. ولا فيش حاجه فيه عن سيف جده محمد على .. ولا عن الأمراء وهدوم الأمراء .. ولا عن شيخ الازهر .. وانا مش فاهم شيخ الازهر ماله ومال مباشرة الملك لسلطاته الدستورية !

وكان شيخ الازهر يومئذ المغفور له الشيخ المراغى ولم تكن العلاقات بينه وبين الوفديين فى اى يوم .. على ما يرام .. فقد كانوا يخشونه .. وكان هو من جانبه لا يحسن الظن بهم .

وتدخل مكرم باشا فى الحديث ، وقال :

ـ البركة فى الاستاذ التابعى .. يحل لنا الاشكال ده

وقال النحاس باشا وهو يتجه الى السيارة الفخمة التى كانت تنتظره أمام الفندق :

ـ ايوه خلص لنا الحكاية دى .. وزى ما قلت : ما فيش غير اداء اليمين الدستورية ، تحت قبة البرلمان ولا قلعة ولا سيف محمد على ، ولا أمراء ، ولا حاجه من دى ابدا .. آه .. اللى فى الدستور وبس .

وأخذت مكرم باشا الى جانب وقلت له :

ـ ولكن الملك يسافر اليوم الى لندن .. وانا قاعد فى باريس .. لأن لنا مراسلا فى لندن يمكنه ان يوافى « المصرى » بأخبار الملك والرحلة الملكية فى انجلترا .

وقال مكرم :

ـ معلهش علشان خاطرنا تسافر لندن وتسوى لنا هذه المشكلة .. واحنـــا عارفين ان جلالة الملك يحبك ويثق فيك .

***

وكانت حكاية القلعة وسيف محمد على الذى يقدمه شيخ الازهر الى فاروق .. ووقوف أمراء أسرة محمد على فى صفين وهم مرتدون ثياب الامـارة فى القـــرن التاسع عشر الى آخره .. كانت هذه كلها « تقليعة » من تقاليع الأمير محمد على رئيس مجلس الوصاية وقد افضى بها الى صحفى يعمل فى جريدة الاهرام فنشرها ، وغذاها ، وقوى الدعاية لها .. وكبرت الفكرة فى رأس الأمير محمد على وبقية الأمراء .

ولا اعرف هل كان الأمير محمد على كتب الى فاروق فى هذا الموضوع أم ان فاروق قرأ الموضوع فى جريدة الاهرام فطابت له الفكرة ، وكانت الصحف والمجلات ترســـل من مصر بالطائرة وبانتظـــام الى فاروق وكان ســكرتيره الخاص دكتور حسنى يقرأها ويعرض عليه ما يرى وجوب عرضه .

أما أنا فقد كان ذهنى خاليا تماما من الموضوع لأننى لم اكن أطلع على صحف مصر ! حتى جريدة «المصرى» التى كنت يومئذ أحد أصحابها ومجلة « آخر ساعة » التى كنت صاحبها ، لم تكونا ترسلان الى فى أوروبا ، لأننى لم أطلبهما !..

***

وسافر فاروق الى لندن هو وأمه وشقيقاته وجميع افراد الحاشية .. ونزل فاروق وافراد الحاشية من الرجال ـ ما عدا الأستاذ أحمد يوسف مدرس اللغة

العربية للأميرات ـ نزلوا فى قصر « كنرى هاوس » فى كنجستون ، وهو القصر الذى كان يقيم فيه فاروق أيام دراسته القصيرة فى انجلترا .

أما الملكة نازلى وبناتها الأميرات وسيدات الحاشية ومنهن السيدة زينب ذوالفقار وكريمتها الآنسة صافيناز، فقد نزلن فى قصر استؤجر خصيصا لهن واسمه قصر « بالاردكوم » ويبعد عن قصر « كنرى هاوس » نحو كيلومترين .

وأقام معهن فى القصر المذكور الاستاذ أحمد يوسف وسافرت الى لندن بعد أيام قليلة ، ونزلت فى فندق « اثانيوم كورت » فى حى بيكاديللى .

واتصلت بالتليفون فور وصولى بحسنين باشا .

وذهبت الى « كنرى هاوس » وعرضت عليه المسألة ووجهة نظر مصطفى النحاس باشا .

وقال حسنين ان هذه مسألة سياسية ولا شأن له بالسياسة واقترح على أن اتحدث فى الموضوع مع دكتور حسنى بك سكرتير الملك .

وكان هـذا شأن حسنين دائما !.. كان يتحاشى المسائل الشائكة التى لا مصلحة له فيها . وقد كان الموضوع ولا شك شائكا .. فهو اقتراح من الامير محمد على أكبر الامراء سنا ومقاما .. والملك فاروق متحمس للفكرة وللموضوع ، ورئيس الوزراء وزعيم الاغلبية البرلمانية يعارض ويرفض العمل بالاقتراح .. هو اذن موضوع شائك . ولا مصلحة فيه لحسنين .

اذا هو لم يستطع اقناع الملك بالتخلى عن حفلة القلعة اغضب الوفديين وزعيمهم مصطفى النحاس .

واذا هو نجح فى تسوية المسألة واقناع فاروق ، فانه يغضب الامير محمد على ..

وتحدثت مع دكتور حسنى فى الموضوع ، وكان مما قلته ان هذه الحفلة ومراسيمها ليست من مصلحة جلالة الملك لأنها شبيهة بتتويج ملوك المسيحية ، وخصوصا حفلة تتويج ملك انجلترا .. « وكان تتويج ملك انجلترا الراحل جورج السادس فى نفس الشهر وتفاصيل الحفلات التى أقيمت عالقة بالاذهان » . وقلت :

ــ ومن ذلك القلعة ويقابلها فى حفلة جورج السادس كنيسة «وستمنستر آبى».. ورئيس أساقفة كنتربرى ويقابله عندنا شيخ الازهر .

كلا .. ياحسنى .. هذه الحفلة ليست فى مصلحة « مولانا » .. هذا من جهة .. ومن جهة أخرى فان الوزارة الوفدية متمسكة بأحكام الدستور ، وهذه الحفلة مخالفة سافرة لأحكام الدستور .. الخ .

***

وفى اليوم التالى عدت الى « كنرى هاوس » .

ونزلت من التاكسى عند « البوابة » الخارجية للقصر وكان يحرسها جندى من رجال بوليس لندن . واستوقفنى كالعادة ليتحقق من شخصيتى قبل أن يأذن لى بالدخول .

وفى هذه اللحظة رأيت فاروق راكبا دراجة « بسكليت » وصافيناز فوق دراجة أخرى والاثنان ينطلقان فى الطريق الى المروج الخضراء الممتدة بين « كنرى هاوس » وقصر « بالاردكوم » .

اذن فقصة الحب التى بدأت فى برن « سويسرا » تسير سيرا طبيعيا . ولقد سررت كثيرا . فقد كنا جميعا نحترم ونكبر الصفات الممتازة التى تتحلى بها الآنسة صافيناز ذو الفقار .

وتناولت الغداء مع رجال الحاشية . وبعد أن انتهينا

خرجت مع حسنى نتمشى فى حدائق القصر الواسعة .

وقال حسنى انه نجح ، والحمد لله ، وان «مولانا» قد تنازل عن فكرة حفلة القلعة وان برنامج حفلات التولية سوف تقتصر على حفلة أداء اليمين الدستورية امام أعضاء البرلمان .

وفى مساء نفس اليوم تقام حفلة عشاء تعقبها حفلة ساهرة فى قصر عابدين .

واليوم التالى حفلة استعراض الجيش .

ثم يستقبل الملك فى اليوم الثالث الامراء ورجال السلك السياسى والوزراء الحاليين والسابقين والشيوخ والنواب وكبار الموظفين وطوائف وهيئات من أعيان البلاد وأطبائها ومحاميها وصحفييها .. الى آخره .. الى آخره ..

وفى أول يوم جمعة يؤدى جلالة الملك صلاة الجمعة فى مسجد الازهر الشريف ..

هذا هو البرنامج .

وقلت أنا : عال .. ولا اظن ان لأى احد اقل اعتراض عليه ؟ ..

ولكننى كنت أستبق الحوادث ، ومتفائلا أكثر مما ينبغى .. وكان حسنى بك لم ينته بعد من كلامه .. فقد قال : ان « مولانا » سوف يسره جدا أن يقدم له الشعب تاجا ، وأن تقام حفلة تتويج كبرى يدعى لحضورها ملوك ورؤساء دول العالم .

ومضى حسنى فى شرح الفكرة أو المشروع ، فقال :

ـ ولما كان جلالة الملك ديمقراطيا بطبعه ، وحريصا على أحكام الدستور التى تقول ان الأمة مصدر السلطات فانه يرى أن تكتتب جميع طبقات الأمة بثمن هذا التاج ، وان الذى يضع التاج على رأسه هو رئيس

مجلس الشيوخ .. ويضعه باسم الأمة .. وهكذا يكون التاج من الأمة ، ويوضع على رأس جلالة الملك باسم الأمة .. واعترف انني تحمست يومئذ لهذا المشروع ، ووعدت دكتور حسنى بتأييده .

***

وأسرعت عائدا الى الفندق وطلبت بالتليفون مكرم عبيد باشا فى فندق « ده برج » فى جنيف وأبلغته تنازل الملك فاروق عن فكرة الحفلة الدينيـــة فى القلعة التى يقلده فيها شيخ الازهر سيف جده محمد علي .. وقلت أن صاحب الجلالة يقترح أن تقتصر حفلات التولية على اداء اليمين الدستورية أمام شيوخ ونواب الأمة واقامة مأدبة عشاء تعقبها حفـــلة ساهرة فى قصر عابدين .. الى آخر البرنامج الذى ذكرته .

وانطلق مكرم باشا ـ وفى صوته رنين الفرح ـ انطلق يهنئنى على توفيقى فى مهمتى ويقول :

ـ عظيم .. عظيم خالص .. ده توفيق من الله .. وكلنا نشكرك يا أستاذ تابعى ..

قلت :

ـ ولـكن حســنى بك كلمنى فى مشروع آخر وانا وافقت عليه ووعدته بتأييد المشروع عندكم ..

وسألنى الاستاذ مكرم : وما هو المشروع ؟

ورويت له حديث الدكتور حسنى عن التاج الذى تكتتب بثمنه جميع طبقات الأمة .. ثم يضعه رئيس مجلس الشيوخ باسم الأمة على رأس فاروق فى حفلة يدعى اليها ملوك ورؤساء الدول .. الى آخره ..

وقلت انني أعتقد ان جلالة الملك نفسه هو صاحب فكرة التاج وانه فرح جدا بفكرته هذه وخصوصا بعد

ان عرضها على رجال حاشيته فتحمسوا لها ووافقوه عليها .

وروبت لمكرم ما سمعته فى معرض التأييد وهو ان مصر الفرعونيـــة القديمة كان لها « تاج » .. لا تزال آثارها وجدران هياكلها ومسلاتها تحمل رســومه .. وقد فقدت مصر « تاجها » بعد أن فقدت استقلالها .. أما اليوم وقد استردت مصر اســتقلالها بعد عشرات القرون فقد وجب أن تسترد مصر تاجهــا القديم .. الى آخره ..

وكانت الاشارة الى « استقلال » مصر الذى استردته بعد عشرات القرون اشارة الى معاهدة سنة ١٩٣٦ ، أو معاهدة الشرف والاستقلال كما قيل عنها يومئذ !

واصغى مكرم باشا الى حديثى ، ثم قال :

ـ وهو كذلك ..

وهنا سألته :

ـ يعنى أقول لهم ان معاليك موافق ؟

قال : ما فيش مانع !

قلت : ومسألة أخرى .. ان الضجة لا تزال قائمة فى الصحف الوفدية حول الحفلة الدينيـــة فى القلعة وانا أخشى ان هى استمرت أن تفســـد الجو فأرجوكم أن تعملوا على ايقافها .

قال : طبعا .. طبعا ..

ثم اتفقنا على أن أرسل الى جريدة « المصرى » برقية تضع حدا لهذه الضجة وللجدل القائم حول هذه الحفلة الدينية بين الصحف التى تؤيد اقامة هــذه الحفلة ــ وهى الصحف التىكانت متصلة بالاميرمحمد على توفيق وكانت تعمل وتكتب بوحى منه ــ وبين الصحف الوفدية التى كانت تعارض فى اقامة الحفلة فى القلعة .

وان أقول فى برقيتى الى جريدة « المصرى » اننى اتصلت برفعة الرئيس وبمعالى مكرم باشا فى جنيف ، وسألتهما عن رأيهما فى جدل الصحف المصرية حول هذه الحفلة الدينية ففوضا الى أن أذيع ان هـــذا الجدل أصبح لا معنى له ولا سبب ، وان الوزارة حريصة على تحقيق رغبات جلالة الملك وان الثقة والتفاهم الــكامل متبادلان لحسن الحظ بين جلالة الملك « المحبـــوب » ووزرائه المخلصين !

وارسلت فعلا هذه البرقية الى جريدة « المصرى » .

ولــكن الحملة استمرت مع ذلك .. كما سترى فيما بعد .. واعود الى أصل الحديث :

انتهى حديثى بالتليفون مع مكرم باشا وبادرت وأبلغت حسنى بك فى قصر « كنرى هاوس » خبر موافقة مكرم باشا على مشروع التاج ، ودعوته هو وزميله من رجال الحاشية على رشيد بك « وهو كبير الامناء فى القصر الجمهورى » لتمضية السهرة معى فى لندن .

واجتمعنا فى المساء ، وعلمت من حسنى بك انه ذهب مباشرة عقب محادثتى التليفونية وأبلغ «مولانا» موافقة مكرم باشا على مشروع التاج ، وان فاروق سر جدا بهذا الخبر .

وسمعت بين ما سمعته أثنــاء السهرة ، ان جلالة الملــكة نازلى قد كرهت لنــدن وانها ضيقة الصــدر وعصبية المزاج فى هذه الايام .. وانها تشكو من وحدتها فى قصر « بالاردكوم » مع « البنات » ـ اى الاميرات ـ وان أحدا لا يعنى بها أو يهتم بالسؤال عنها أو الخروج معها .. وان جلالة الملك ابنها يكتفى بالســؤال عنها بالتليفون ، لأنه مشغول بصـــافيناز ، أو بنزهاته فى سيارته .. والقائمقام عمر فتحى مريض طريح الفراش

فى أحد المستشفيات .. وأما حسنين باشا ؟ ..

وهنا تقول الملكة نازلى :

ـ حسنين مش فاضى لنا دلوقت .. لأنه مشغول مع حبايبه فى لندن وعلى رأى المثل : « من يلقى احبابه ينسى أصحابه » .. وحبايب حسنين فى لندن كتير !..

ولم يكن عجيبا أن يجد حسنين باشا فى لندن ونواديها ومنتدياتها ودور كبرائها .. أو فى الريف الانجليزى الجميل القريب من لندن .. لم يكن عجيبا أن يجد حسنين فى هذا كله ما يشغله ويملأ وقته ويصرفه عن الاهتمام بالملكة نازلى وارضاء نزواتها .. ذلك ان حسنين كان ـ كما ذكرت فى الفصول السابقة ـ قد أمضى أحلى سنى الشباب فى لندن أيام كان يتلقى دراسته فى جامعة اكسفورد .. ولقد كانت له صداقات كثيرة ومعارف اكثر فى لندن وفى الأسر الانجليزية الكبيرة التى تعيش فى الريف القريب من لندن .

ومن هنا انصرف حسنين عن الملكة نازلى .. لكى يعيش فى ذكريات أيام الدراسة والشباب الخالية ..

***

أما القائمقام عمر فتحى بك ، فقد كان أصيب ذات مساء ـ أثناء السهرة مع بعض رجال الحاشية فى أحد نوادى لندن الليلية ـ أصيب لأول مرة بالذبحة الصدرية وحملوه الى أحد المستشفيات .. ولما سمع فاروق بالخبر أسرع الى المستشفى وأمضى الليل الى جانب فراش ياوره الخاص الأمين وهو يبكى !

وكان فاروق لايزال وقتئذ رقيق الاحساس والشعور

***

وتناولت طعام الفداء فى اليوم التالى فى قصر «[illegible]ى هاوس » .. وبعد الفداء صحبنى الدكتور عباس

الـكفراوى ـ طبيب الملك الخاص .. وكانت له مكانة خاصة عند فاروق ـ صحبنى الى حديقة القصر لـكى يتحدث الى عن منصب رئيس الديوان الذى كان شاغرا منذ استقالة صاحب الدولة احمد زيور باشا .

وقال الدكتور الكفراوى كلاما كثيرا لا أذكره بحروفه وكلماته ولـكنه فى هذا المعنى .. قال :

ـ ان جلالة الملك ـ كما تعلم ـ لايزال صغير السن قليل الخبرة وهو فى حالته هذه فى حاجة الى رئيس ديوان يكون له بمثابة المرشد والمعلم .. رئيس ديوان واسـع الخبرة متعدد الـكفاءات .. تقلب بين مناصب الحكومة المختلفة من ادارية وقضائية ومالية وسياسية.. ولست اعرف رجلا تتوافر فيه جميع هـذه الصفات خيرا من نجيب الهلالى بك .. فما رأيك ؟

قلت : أنا لا أعرف الهلالى بك شخصيا ، ولكننى سمعت عنه كل خير ..

قال : اذن هل تكلم مكرم باشا فى هذا الموضوع ؟

قلت : وهو كذلك ..

وكان المعروف يومئذ ان الاستاذ مكرم باشا سكرتير الوفد والذراع اليمنى لرئيس الوفد ورئيس الحكومة.. هو كل شيء فى الوفد وفى الحكومة وانه صاحب الكلمة العليا فى الوفد وفى الحكومة !

***

وعدت الى الفندق .. ومرة أخرى طلبت بالتليفون مكرم باشا بفندق « ده برج » فى جنيف .. ولـكنه لم يكد يسمع صوتى حتى قال :

ـ عملت طيب يا أستاذ تابعى اللى كلمتنى بالتليفون أنا كنت رايح أطلبك حالا دلوقت بالتليفون ..

قلت : خيرا يا باشا ؟..

قال : حكاية التـاج دى اصرف نظر عنها .. رفعة الرئيس « يقصد النحاس باشا » زعل منها جدا وهاج ! واخواننا كلهم هنا مش موافقين عليها .. حتى على باشا الشمسى حضر لزيارتنا اليوم ولما سمع بها قال : « ده كلام فارغ ! » .. وأنا اضطررت أن أدافع عنك عنـد النحاس باشا .. فقلت له ان الاستاذ التابعى أحرجوه ووسطوه .. فمن فضلك شوف لك طريقة تقفل بها حكاية التاج دى ؟ !

وأسقط فى يدى .. ماذا أفعل ؟

وقلت لمكرم باشا وبصوت كان فيه شيء كثير من الغيظ والحرج :

ـ طريقة ايه يا باشا !.. يعنى عايزنى أروح «كنرى هاوس » أقول لهم ايه !.. أقول لهم أنا كذبت عليكم عندما قلت لـكم أن مكرم باشا موافق ! ؟

وضحك مكرم باشا ضحكته القصيرة اياها ، وقال :

ـ لا .. لا .. لاسمح الله .. ولكن قل لهم ان مكرم مش كل حاجة !.. وان موافقة مكرم ليست كل شيء فهناك رئيس الوفد والحكومة .. وهناك زملاؤنا الوزراء واخواننا أعضاء الوفد .. وحكاية التاج دى ليست من المسائل السهلة التى يجوز لى أن أقطع فيها برأى .. وأنا قلت لك ان اخواننا هنا كلهم ضدها .. ومصطفى باشا زعلان جدا منها ..

وقلت أنا :

ـ ومن الذى يصدقنى هنا اذا قلت ان مكرم باشا ليس كل شيء وان موافقته ليست كل شيء ؟ ولا أحد من رجال الملك سوف يصدق هذا الـكلام !.. وأنت تعرف يا باشا انهم جميعا يعتقدون انك تستطيع دائما أن تقنع النحاس باشا بكل رأى تراه .. فاذا ذهبت

اليوم وقلت لهم ان النحاس باشــا لا يوافق ، فانهم سوف يفهمون من هذا ، اما انك عدت وعدلت عن موافقتك لسبب مجهول .. أو انك لم تحاول اقنــاع رفعة الرئيس برأيك لأنك لا تهتم بتلبية رغبة جلالة الملك مع انني قلت لمعاليك ان فكرة التاج فكرته وانه مهتم جدا بها ..

وقال مكرم :

ــ ما اعرفش ! أنا قلت الموقف ايه هنا .. وانت تتصرف ..

وقلت أنا :

ــ لن أقول شيئا.. ولن افعل شيئا.. ولقد ابلغتهم بالامس خبر موافقتك ، فاذا شئت معاليك أن تتصل بهم فى « كنرى هاوس » مباشرة وتبلغهم ما قلته لى الآن .. فافعل !.. أما أنا فلن أقول شيئا !

وانتهى حديثنا بالتليفون ..

وكان موضوع الاســتاذ نجيب الهلالى وترشيحه لمنصب رئيس الديوان قد طار من رأسى تماما !

وعدت الى باريس ..

وبعد أيام عاد فاروق ومن معه الى باريس لكى يرأس حفلة افتتاح القسم المصرى فى معرض باريس الدولى وبحضور رئيس جمهورية فرنسا مسيو لوبران .

وتنفست الملكة نازلى الصعداء بعد أن عادت الى باريس التى تحبها .. واستأنفت حياة المرح والسهر فى ملاهى باريس .. مع حسنين باشا اذا أمكن !

ومع غير حسنين باشا اذا لزم الأمر !

وهنا بدت على « جلالتها » أعراض مرض التصابى ! فقد انطلقت تزور « صالونات » التجميل وصبغ الشعر تجرب فى كل يومين تقريبا صبغة جديدة ولونا جديدا

لشـــعرها الذى كانت قد بدات تظهر فيه شـــعرات بيضاء ! !

ولاحظنا نحن ان حسـنين بدأ يقتصد ـ الى حد ما ـ فى « اخلاصه وتفانيه » فى خدمة الملـكة نازلى والسير فى ركابها حيث تريد فى كل ساعة من ساعات الليـل والنهار .

وهكذا أصبحنا نراه بيننا ـ ومعنا ـ اكثر من اى وقت مضي فى هذه الرحلة .

لماذا ؟ هل كان يخشي افتضـــاح علاقتـــه بالملـكة الوالدة ؟ وان يسمع ابنها الملك أو يلاحظ شيئا مريبا على أمه ورائده الأمين ؟

أم ترى حسنين قد راى ان الوقت قد حان لـكى ينتقل من الفصل الاول الى الفصل الثانى .. اى من اظهار الحب والتفانى .. الى اظهار « التقل » والتحفظ والبرود ؟.. وهى السياسة التى كان حسنين ـ رحمه الله ـ يجيد تطبيقها كل الاجادة مع هـــذا الصنف من النساء ؟ النساء اللاتى جاوزن مرحلة الشباب وأخذن فى استقبال شمس المغيب !

وهذا الفصل الثانى ـ فصل « التقل » والتحفظ والبرود ـ يزيد الوجد والشوق ويشعل فى صدر المرأة نارا فوق نار !.. نارا تأكل ما بقى للمـــرأة من عزة وكبرياء .. حتى اذا عاد اليها الرجل.. أسلمته قيادها فى خضوع واستسلام !

هذا هو الرأى الأرجح ..

***

وعرفنـــا ونحن فى باريس ان عصبة الأمم قد قبلت مصر عضوا فى هيئتهـــا .. وان وفد مصر برئاســـة « النحاس » قد عاد الى القاهرة

وذات صباح قال لى الدكتور حسنى بك ان جلالة الملك متألم من استمرار الصحف الوفديه فى الكتابة عن الحفلة الدينية فى القلعة مع ان هذه الكتابة أصبحت غير ذات موضوع بعد تنازل جلالته عن اقامة هذه الحفلة.. وأضاف حسنى بك ، ان مكرم باشا لم يف بوعده لى بالتليفون وهو وقف هذه الحملات الصحفية وخصوصا فى جريدة « المصرى » كبرى صحف الوفد وقتئذ .

ثم قال بلهجة ذات معنى :

ــ وأنا شخصيا أعرف انك لا شأن لك بما يكتب الآن وينشر فى جريدة « المصرى » لأنك معنا هنا وغائب عن مصر .. ولكن من الصعب أن يقتنع جلالة الملك بأنك وأنت أحد أصحاب الجريدة لا تستطيع وقف هذه الحملات فى جريدتك ..

وارسلت يومئذ برقية الى محمود أبو الفتح أطلب فيها الكف تماما عن الكتابة فى أمر هذه الحفلة الدينية وأقول اننى فى حرج شديد وان جريدة « المصرى » لم تراع الوضع الذى أنا فيه ، بوصفى الصحفى الوحيد المرافق للملك فاروق فى رحلته .

ومع ذلك استمرت الحملة فى جريدة « المصرى » وغيرها من صحف الوفد ..

وتلقيت خطابا من محمود أبو الفتح يعتذر فيه عن استمرار هذه الحملة ويقول : أن لا شأن له بها وانه عاجز عن وقفها ، وان القائم بهذه الحملة فى جريدة «المصرى» والذى يكتب المقالات الخاصة بالحفلة الدينية هو شريكنا الثالث الاستاذ كريم ثابت .. وان كريم يتلقى تعليماته وتوجيهاته مباشرة من الاستاذ يوسف الجندى الوكيل البرلمانى لوزارة الداخلية .. وانه ــ أى محمود أبو الفتح ــ لايمكنه أن يرفض نشر مقالات

موعز بنشرها من وفدى كبير مثل يوسف الجندى الذى هو فى نفس الوقت وكيل وزارة ومفروض فيه انه ينفذ تعليمات سياسة الوزارة العليا !

وسكت .. ولم أطلع أحدا على هـــذا الخطاب .. واستمرت الحملة ! واليوم أعجب ــ وتعجبون معى ــ لسخرية القدر !

كريم ثابت الذى اغضبت مقالاته فاروق فى عام ١٩٣٧ يختاره فاروق صديقا له فى عام ١٩٤٣ ، ثم يعينـــه مستشارا صحفيا له فى عام ١٩٤٦

***

وحل يوم الســـفر ــ ٢٧ يونية ــ من باريس الى « فيشى » مدينة المياه المعدنية المشهورة . وقيل يومئذ اننا نذهب الى فيشى لأن جلالة الملـكة نازلى تريد أن تعالج كليتها المريضة .

وركبنا قطارا خاصا .. وذهبت الى عربة «البولمان» الخالية وجلست الى احدى الموائد .. ثم حضر حسنين باشا وجلس فى المقعد المقابل .. وبعد قليل انضم الينا محمود فخرى باشا وزير مصر المفوض يومئذ فى فرنسا وسويسرا .

ودار بيننا الحديث عن مصر وسير الأمور فيها وقال حسنين باشا : ان الحملة على الحفلة الدينية فى القلعة لا تزال مستمرة وانها قد امتـــدت وتنـــاولت تأدية « مولانا » لصلاة الجمعة فى مسجد الازهر الشريف .. الى آخره .

وبينما نحن كذلك دخـــل فاروق عربة « البولمان » ووراءه « اليوزباشى » أحمد الطاهر .

واقبـــل فاروق علينا ووقف أمام مائدتنا فوقفنـــا احتراما .. وكان بيده رزمة من صحف مصر ، كانت

قد وصلت فى صباح نفس اليوم .

ورمى بها أمامى على المائدة ، وهو يقول :

ــ الاستاذ التابعى قرأ الكلام المكتوب فى جريدة « المصرى » ؟

وكان من علامات « الرضا السامى » أن ينادينى فاروق باسمى مجردا من لقب أستاذ .

ومن علامات « الغضب الملكى» أن ينادينى يا أستاذ تابعى !

وسكت . . ولكننى القيت نظرة علىجريدة «المصرى» وقرات على صفحتها الاولى ــ وبالبنط الكبير ــ عبارة فحواها ان مصدرا رسميا كبيرا صرح لمندوبها بأن الوزارة قررت عدم اقامة حفلة دينية . .

واتجه فاروق الى المائدة المحاذية لمائدتنا فى الجانب الآخر من العربة وجلس اليها وهو يقول :

ــ الحالة فى مصر بقت « صلطة » . .

وقال فخرى باشا :

ــ « صلطة » خالص يا افندم . .

وقال فاروق :

ــ ايوه . . « صلطة » وعليها « سكر » . .

وهنا قال حسنين :

ــ ان شاء الله يا «مولانا» تصبح الحالة كلها «سكر»

والتفت الى فاروق من مقعده . . وسألنى بسخرية :

ــ هيه . . والاستاذ التابعى جاى معانا برضه فيشى ؟

وأحسست أن الدم صعد الى راسى . . فقد كان المعنى واضحا سافرا ، وهو ان الملك غاضب على ولا يريد أن أسافر معهم الى فيشى . .

ومع ذلك فاننى لم اكلفه ولم اكلف حكومته أوخاصته

الملكية مليما واحدا من نفقاتي طوال الرحلة لأنني كنت أدفع جميع نفقاتي في الفنادق وغيرها .. بل وثمن تذكرتي في القطار الخاص كنت أدفعه الى مندوب شركة « كوك » التي كانت تتولى شئون الرحلة وتنقلاتنا في اوروبا .. وجميع أفراد الحاشية كانوا يعرفون هذا .. وكدت أسأل « جلالته » : هل هو يظن انني أسافر معهم على حسابه أو على حساب الحكومة ؟

ولكنني سكت تأدبا واحتراما .

والواقع ان جميع نفقاتي في تلك الرحلة التي دامت نحو خمسة اشهر كانت من جيبي الخاص.. حتى جريدة « المصري » التي سافرت من أجلها لم تدفع لي قرشا واحدا .. لأن ميزانيتها لم تكن تسمح يومئذ ، وفي أول عام من حياتها بدفع نفقاتي في رحلة كهذه .. سكت اذن ولكن الجالسين لاحظوا ولا شك امتقاع لون وجهي واحمرار اذني ..

ووقف حسنين باشا ، واستأذن من « مولانا » وانسحب من عربة « البولمان » ولعله ذهب الى صالون جلالة الملكة والأميرات .

ومن بعده .. انسحب فخري باشا بعد أن انحنى ومشى خطوات بظهره الى الوراء ..

وبقيت وحدي في مقعدي .. وفاروق جالس الى مائدته .. ومن خلفه أحمد الطاهر جالس الى مائدة أخرى ..

وساد الصمت بضع دقائق .. وكان فاروق يتسلى بعد حفنة من أوراق « البنكنوت » الفرنسية .. كان يعدها ويضعها في جيب سترته .. ثم يخرجها ويعدها مرة أخرى .. وهكذا ..

وأخيرا وقف .. ووقفنا ..

والتفت الى .. وقال :
ـ أظن نروح بقى عربة الاكل علشان الغدا ..
ولما لم أرد ، قال :
ـ مش جاى تتغدى ؟..
قلت : ان شاء الله يا افندم ..

وغادر العربة ، ووراءه يوزباشى احمد الطاهر ..

وادركت انا ان فاروق قد أحس بأنه جرحنى ، وانه اراد بدعوتى لتناول الغداء أن « يطيب خاطرى » .

ولكننى كنت نويت أمرا ، وهو أن أؤدى واجبى الصحفى فى « فيشى » فأرسل برقيتى الى جريدة « المصرى » بوصف استقبال الملك والملكة ، ثم أغادر فيشى على الفور ..

وتناولت طعام الغداء بمفردى فى عربة « البولمان » .

***

وصلنا « فيشى » فى الساعة الرابعة بعد الظهر .. وأرسلت برقيتى الى جريدة « المصرى » بوصف الاستقبال .

ثم ذهبت الى مكتب « كوك » واشتريت تذاكر السفر اللازمة الى « فيينا » فى النمسا .. وأبدلت مبلغا من المال بالعملة النمسوية .. الى آخره ..

وعرف حسنين باشا ورجال الحاشية بالخبر فأقبلوا يطيبون خاطرى ويؤكدون لى ان « مولانا » لم يقصد اهانتى .. الخ ..

ولكننى صممت على السفر ..

وفى ساعة مبكرة من صباح اليوم التالى ركبت القطار الى زيوريخ ومنها الى فيينا .

وغادرت مدينة « فيشى » بقطار الصباح وصحبنى الى المحطة الاستاذان على رشيد ، واحمد يوسف ..

وعاود الاثنان الكرة لكى يحملانى على العدول عن السفر .. وأخيرا قلت لهما اننى فى الحقيقة أريد أن أتحرى فى « فيينا » حكاية توفيق نسيم باشا والفتاة النمساوية مارى هوبنر ، لكى أوافى جريدة «المصرى» بالتفاصيل .

وكانت الاخبار قد جاءتنا أن توفيق نسيم باشا ، رئيس الوزراء الاسبق ــ رحمه الله ــ قد أحب فتاة نمسوية من عامة الشعب وهى ابنة صاحب فندق صغير وانه ينوى الاقتران بها .

وتمنى لى الصديقان سفرا سعيدا موفقا .

***

ووصلت « فيينا » بعد ظهر اليوم التالى ، وكانت « فيينا » يومئذ عاصمة بلا دولة ، أو كانت هناك دويلة صغيرة .. فقد كانت النمسا خرجت من الحرب العالمية الاولى فقيرة مفلسة ، فقدت امبراطوريتها الواسعة ، وفقدت معها كل شىء .. وبعد أن كانت « فيينا » عاصمة لأمبراطورية تضم نحو سبعين مليونا من السكان أمست عاصمة لدولة مقصوصة الاطراف يسكنها نحو ستة ملايين .

وكان يسكن « فيينا » ثلاثة من هذه الملايين الستة . وكان الزائر الاجنبى يشهد مظاهر الفقر والبؤس والجوع فى كل ركن من أركان المدينة الجميلة الانيقة المشرقة .. مدينة الموسيقى والهوى والجمال .

وبالمال .. قليل من المال كان الزائر يستطيع أن يشترى كل شىء ، وأى شىء بثمن رخيص ، أو ثمن معقول مقبول .

حتى الجمال والشباب كانت « أسعارهما » فى العاصمة الجميلة الفقيرة رخيصة اذا قيست بأسعار

لندن وباريس !

وكنا لا نزال فى شهر يولية عام ١٩٣٧ ، أى قبل ان يزحف هتلر على النمسا ويعلن ضمها الى الرايخ الثالث أو ألمانيا الكبرى ، وهو الأمر الذى وقع بعد ذلك بثمانية شهور ، أى فى شهر مارس عام ١٩٣٨ .

***

ولم تطل اقامتى فى « فيينا » أكثر من بضعة أيام .. كذلك لم أحاول أن أتحرى أو أستقصى شيئا عن حكاية توفيق نسيم باشا ، والفتاة مارى هوبنر .. ولكنى تذكرت حديث الدكتور عباس الكفراوى وترشيحه للأستاذ نجيب الهلالى ليكون رئيسا لديوان الملك فكتبت خطابا لمكرم عبيد باشا رويت فيه تفاصيل الحديث ، وأرسلت الخطاب الى عنوانه فى رمل الاسكندرية لأننى كنت أعرف انه والنحاس باشا وزملاءهما قد عادوا الى مصر .. ولابد أنهم يقضون الصيف فى بولكلى برمل الاسكندرية .

وغادرت « فيينا » وذهبت الى الريف بالقرب من مدينة « لنز » مسقط رأس هتلر وأقمت فى فندق بسيط بقرية صغيرة نحو أسبوع .. ثم ركبت القطار عائدا الى « فيشي » فقد كان على أن أؤدى واجبى الصحفي حتى النهاية وأن أصحب الملك فاروق فى عودته من رحلته الى مصر .

ووصلت « فيشى » ونزلت فى فندق «ماجستيك» الذى كان يقيم فيه فاروق وأمه وحاشيته .

وفى المساء نزلت الى بهو الفندق وجلست فى مقعد .. وكان يجلس فى مواجهتى السيد عبد الحميد الشواربى والسيدة الكريمة زوجته .. وكان يوجد يومئذ فى « فيشى » عدد كبير من المصريين الذين يزورون مدينة

المياه المعدنية للاستشفاء .

وأقبل فاروق من باب فى صدر البهو ، ووراءه يوزباشي أحمد كامل ..

ورآنى « صاحب الجلالة » فابتسم ولوح بيده ، وأقبل نحوى .. ووقفت ..

وتقدم منى ووضع يده على كتفى ، وقال :

ــ حمد الله على السلامة ..

قلت : الله يسلمك يا افندم ..

قال : لسه زعلان ؟

قلت : استغفر الله يا افندم .. !

قال : وايه حكاية توفيق نسيم .. صحيحة الحكاية ؟

قلت : ايوه .. صحيحة ..

ولم ازد ، لأننى ــ كما قلت ــ لم أحاول أن أتحرى عن التفاصيل .

قال ، وهو ينظر من طرف عينيه الى فتاة شقراء جميلة كانت ترتدى ثوب السهرة ، وكانت جالسة فى مقعد قريب منى ولعله ظن أنها جالسة معى :

ــ طيب .. بعد العشا نبقى نشوفك .. يوجد هنا محل لطيف اسمه « لوازيه » ــ أى الواحة ــ فيه مزيكة ورقص ، قريب من اللوكاندة .. نشوفك فيه بعد العشا ..

قلت : ان شاء الله يا افندم ..

ولكنى لم أذهب ..

***

وكان « القائمقام » عمر فتحى بك الذى كنا تركناه مريضا فى أحد مستشفيات لندن قد شفى ولحق بالركب الملكى فى « فيشى » ومعه السيدة زوجته التى كانت طارت الى لندن عندما سمعت بخبر مرضه وأقامت

بجانبه ..

واجتمعت بعمر فتحى وبأصدقائى من أفراد الحاشية وجلسنا نتحدث عن مصر ، واخبار مصر .. وعـــرفت منهم ان مراد محسن باشا حضر الى «فيشي» ـ أثناء غيابى فى النمسا ـ وقابل فاروق .. ثم عاد الى مصر..

لماذا حضر .. ؟

ها هى ذى التفاصيل :

***

قلت : ان فاروق رمى برزمة من صحف مصر على المائدة أمامى ونحن فى القطار فى طريقنا الى « فيشى » وسألنى ما اذا كنت قرأت الكلام المكتوب فى جريدة « المصرى » ؟ ..

واننى ألقيت نظرة على جريدة « المصرى » فقرأت على صفحتها الاولى ـ وبالبنط الكبير ـ عبارة فحواها ان مصدرا رسميا كبيرا صرح لمندوبها بأن الوزارة قررت عدم اقامة حفلة دينية ..

وقد عد فاروق هـــذا الالحاح فى النشر تحرشا به وتحديا لسلطاته .. فانه ـ أولا ـ لم يطلب بصـفة رسمية اقامة حفلة دينية ، ثم هو ـ ثانيا ـ قد تنازل عن فكرة اقامة هذه الحفلة وأبلغ رئيس الحكومة خبر هذا التنازل ، وأبلغـه فى نفس الوقت برنامج الحفلات التى تقام بمناسبة توليه سلطاته الدستورية ، وليس فى هذا البرنامج ذكر لاقامة حفلة دينية .. فعلى من اذن كان المصدر الكبير الرسمى الذى أشـارت اليه جريدة « المصرى » لسان حال الوفد والحكومة .. على من كان يرد بتصريحه المذكور .. ؟

وما هى الجهة الرســمية التى كانت تقدمت بطلب رسمى لاقامة حفلة دينية حتى تتخذ الوزارة قرارها

هذا وتنشره فى صدر صحيفتها ـ بالبنط الكبير ـ ..
أم ترى كانت الوزارة النحاســية الوفدية تريد أن تعلن عن قوتها وشدة بأسها بهذا القرار فتوهم الناس أن هناك اصرارا من احدى الجهات على اقامة الحفلة الدينية ، ولـكن لما كانت الوزارة هى وحدها التى تقر ماتريد وترفض مالا تريد ـ بدون مراجعة او تعقيب ـ فانها رأت أن تتخذ هذا القرار .. ؟

هذا هو الذى فهمه فاروق ورجال حاشيته ..
وقامت الأزمة.. وطار خبرها الى مصر.. واضطربت الوزارة .
اضـــطربت ـ لان النحاس باشا كان قد لاحظ هو واصحابه بعــد عودتهم من أوروبا ان الأمور لا تسير ـ بالنسبة لهم ـ على ما يرام .. فالازهر هائج مضطرب ، واحزاب المعارضة ـ الاحرار الدستوريون ، والحزب الوطنى ، وحزب الاتحاد ، اذ لم يكن هناك يومئذ شىء اسمه الحزب السعدى ـ أحزاب المعارضــة وخصوم الوفد يحركون خيوط الفتنة هنا وهناك ..
وصـــاحب السمو الامير محمد على توفيق رئيس مجلس الوصاية يصر على اقامة حفلة دينيـــة وحفلة مبايعة يقلد فيها الملك فاروق سيف جده الاكبر محمد على ، وتتبع فى هذه الحفلة طقوس وتقاليد جديدة لم تعرف من قبل ..
وقد تبين بعدئذ انه لايوجد سيف لمحمد على الكبير باقيا حتى اليوم ! ..

واخيرا ذهب النحاس باشا وقابل الامير محمد على توفيق وقال له انه لم يبق موجب لاستمرار الحديث فى هذه الحفلة الدينية لأن جلالة الملك لم يطلبهـــا ولا يتمسك بها ، وانجلالته قد أبلغ الوزارة برنامج الاحتفال

وليس فى هذا البرنامج شىء عن اقامة حفلة دينية ..

ولـكن الامير محمد على أصر مع ذلك على طلبه وأعلن انه حتى ولو كان الملك فاروق قد تنازل عن اقامة هذه الحفلة فان هذه المسألة تهم الأسرة المالـكة كلها وان سموه بصفته الشخصية وبصفته نائبا عن افراد الأسرة يرى أن يسن هذا التقليد الجديد وأن تقام حفلة دينية وحفلة مبايعة يتقلد فيهـــا فاروق سيف جده الاكبر محمد على .

***

وكان موقف محمد على توفيق ــ رحمه الله ــ وعناده واصراره على برنامج معين يخالف البرنامج الذى وافق عليه فاروق وأبلغته أنا للوزارة .. هـــذا الموقف من جانب الامير رئيس مجلس الوصاية زاد فى سوء الحالة وتفاقم الازمة ..

وكانت هناك صحف ــ غير وفدية ــ على اتصـــال بالامير ورجال دائرته .. وكانت الصحف المذكورة تؤكد للجمهور فى كل يوم ان هناك حفلة دينية سوف تقـام شاءت الوزارة او لم تشأ ! ..

وتجمعت السحب فى الافق السياسى ، وطال الاخذ والرد بين الصحف الوفدية .. والصحف غير الوفدية.

وفى هـــذا الجو ــ جو التوتر والشكوك ــ راحت السلطات تحسب أيام حفلات التولية وتحدد لكل حفلة تاريخها ويومها ، وهنا فقط عرفوا ان أيام الاحتفـــال الثلاثة اى ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ يولية تقع فى أيام الخميس والجمعة والسبت .

وأبدى الامير محمـــد على توفيق رغبته فى أن يؤدى فاروق صلاة الجمعة فى ثانى يوم من أيام الحفلات فى جامع الازهر الشريف وأن يتلو شيخ الازهر دعاء خاصا

.. وأبلغ فاروق هذا فوافق عليه .

ولكن النحاس باشا رأى فى هذه الصلاة وفى هذا الدعاء الخاص رجوعا الى الحفلة الدينية عن طريق ملتو ملفوفه !.. واعترض النحاس ورفض .. رفض ان يوافق على أن يؤدى فاروق صلاة الجمعة فى الازهر الشريف ..!

وقال فاروق ، وكان فى فيشى :

ـ لم أكن وأنا تحت الوصاية أستشير احدا فى أمر المسجد الذى أؤدى فيه صلاة الجمعة ، فهل يراد منى الآن وبعد أن أتولى سلطاتى كملك أن استأذن رئيس حكومتى فى اختيار المسجد الذى أؤدى فيه هذه الصلاة ؟

ولكن الوزارة كانت ترى من جهتها أن تأدية فاروق صلاة الجمعة فى الازهر واستقبال شيخ الازهر وعلماء وشيوخ الازهر الشريف لفاروق ووقوفهم بعد انتهاء الصلاة ـ كما قيل يومئذ ـ لكى يتلوا دعاء خاصا .. كانت الوزارة ترى فى هذا كله عودة الى الحفلة الدينية بشكل آخر وان فيه أيضا تشجيعا لحركة الصاخبين الثائرين على الحكومة وضربة تذل الوزارة وتنال منها وتضعفها أمام المعارضة .

***

تفاقمت الازمة .. ودارت المخابرات بالتلغراف والتليفون والبريد بين الملك وحاشيته فى باريس وفيشى وبين مجلس الوصاية والوزارة فى مصر ..

وتمسكت كل جهة برايها ورفضت كل رأى سواه ..

وأخيرا عرض مراد محسن باشا على مصطفى النحاس باشا أن يسافر الى فيشى لكى يعرض بنفسه على فاروق وجهة نظر الوزارة .. وأكد للنحاس « باشا » انه مقتنع بوجهة نظر الحكومة وانه سوف يؤيدها عند فاروق ..

ووافق النحاس « باشا » ، وسافر مراد محسن باشا فعلا الى فيشي وقابل فاروق ..

وكان « المرحوم » مراد محسن باشا جارا لمصطفى النحاس فى مصر الجديدة .. وكانت هناك علاقة مودة بين الجارين ..

هذا أولا .. وثانيا : كان مراد محسن باشا ينافس حسنين باشا على السلطة وعلى مركز «الرجل الاول» فى القصر .. ولقد رأى فى هذه المهمة فرصة طيبة لأن يكسب صداقة الوفد والحكومة واعترافهما بجميله .. ويكسب فى نفس الوقت ثقة فاروق ، وأن يظهر حسنين أمام الحكومة الوفدية بمظهر الرجل الذى يعجز عن أداء خدمة لها أو تسوية أزمة تقوم بينها وبين الملك .. ويظهره أمام فاروق بمظهر الرجل الذى لا « يسد » ولا ينفع فى الملمات ..

***

واستقبل فاروق مراد محسن باشا .. ورفض فى أول الأمر أن تكون مسألة صلاته فى الازهر الشريف أو فى أى مسجد آخر يختاره موضع حديث أو أخذ ورد لأنه يعد صلاته والمسجد الذى يؤديها فيه مسألة تخصه هو وحده دون ان يكون للوزارة او غير الوزارة أية كلمة فى الموضوع ..

وكان المرحوم مراد محسن باشا لا تعوزه الكياسة واللباقة فقد قال على الفور انه يوافق صاحب الجلالة على هذا الراى ، وان النحاس باشا نفسه يسلم تماما بوجهة نظر جلالة الملك المعظم .. بل ان حق « مولانا » فى اختيار المسجد الذى يؤدى فيه الصلاة لم يكن موضع بحث على الاطلاق وان النحاس « باشا » أول من يقول بحق جلالته فى هذا ، وأول من يحترم ويحافظ على

حقوق « مولانا » .. الى آخره .

ولكن النحاس باشا يلتمس من جلالة الملك ان يقدر الظروف القائمة ودسائس خصومه وحملات صحف المعارضة وأن يتفضل ويظهر عطفه السامى الكريم على رئيس وزرائه فلا يشمت فيه خصومه ، وهذه الشماتة لا محالة واقعة اذا تحقق صدق ما قالته صحف المعارضة وهو ان هذه الحفلة الدينية سوف تقام ولو رغم انف الوزارة ..!

وعاد مراد محسن باشا وأكد لفاروق ان النحاس باشا يلتمس هذه المكرمة من جلالة الملك ..!

وقال فاروق :

ـ النحاس باشا قال كده ؟.. اذن أطلبه بالتليفون امامى وقل له هذا الراى الذى قلته لى الآن ..

وفعلا اتصل مراد محسن باشا بالتليفون من فندق الماجستيك فى فيشى بالنحاس باشا فى مصر ..

وكان فاروق حاضرا ..

وأعاد مراد محسن بالتليفون على مصطفى النحاس حرفا بحرف كل حديثه الى فاروق ..

وأمن النحاس « باشا » على أقوال مراد محسن باشا ودعا لصاحب الجلالة بالعز والتأييد ..

وقال فاروق لمراد محسن :

ـ وهو كذلك .. ولكن قل للنحاس « باشا » انني قبلت علشان خاطره هوه بس ..!

وخرج مراد محسن فرحا مسرورا وعاد الى مصر .. عاد الى مصر ليبشر النحاس « باشا » ووزراءه بأنه نجح فى مهمته عند فاروق ..

ثم يروى فى داره وبين أقاربه وأصهاره ـ وجميعهم من أصدقاء السيدة لطفية زوجة حسنين باشا ـ يروى

لهم ما رآه وما سمعه فى فيشى ..
وكان بين ما رآه وسمعه شيء كثير وكلام أكثر عن الملكة نازلى واحمد حسنين وكيف توثقت العلاقة بينهما .. وكيف .. وكيف .. الى آخر ما هناك ..
وكان طبيعيا أن تسمع زوجة حسنين بهذه الحكايات والتفاصيل ..
واشتعلت نيران الغيرة فى صدر الزوجة «المهجورة» المتروكة فى مصر .. خصوصا وكانت ــ رحمها الله ــ قد سمعت ان زوجة القائمقام عمر فتحى قد لحقت بزوجها فى لندن ..
وان زوجة يوزباشى أحمد كامل قد لحقت بزوجها فى فرنسا ..
وان زوجة عبد المنعم رأفت ، والذى كان يتولى حسابات الرحلة قد لحقت بزوجها فى فيشى ..
وهكذا .. كل من أراد من أفراد الحاشية أن يستدعى زوجته .. قد استدعاها دون أن يعترض أحد ..
ما عدا « هى » .. ومع ذلك فانها أكبر مقاما من زوجات رجال الحاشية .. وزوجها ــ أحمد حسنين ــ اكبر مقاما ونفوذا من جميع أفراد الحاشية ..
اذن لابد أن يكون الاعتراض على سفرها اما من زوجها نفسه .. أو من الملكة نازلى .. وعلى كل حال فان نازلى صبرى هى السبب ..
وانطلقت السيدة لطفية يسرى كريمة الاميرة شويكار تسب وتشتم وتطلق لسانها فى كل مجلس وكل منتدى ضد صاحبة الجلالة نازلى ملكة مصر ، وضد ابنها فاروق ! وتروى عن نازلى أو « العجوز المتصابية » ــ كما اسمتها ــ تروى عنها القصص والحكايات ..
وهكذا تطور الموقف وتحول الى « الوضع الصعب أو

الوضع المستحيل » كما وصفه حسنين باشا بعد ذلك بنحو شهرين .

***

وبعد عودتى من النمسا الى فيشى بيومين اثنين تحدد موعد سفرنا فى اليوم التالى الى مارسيليا .. ومنهـا بالباخرة « النيل » عائدين الى مصر ..

وأراد فاروق ، الذى كان يتضايق من حراسة البوليس الفرنسى له وتتبعه لكل خطواته وتنقلاته .. أراد أن ينتقم من رجال البوليس هؤلاء وأن يسخر منهم ويشهر بهم ، فذهب الى مطبخ فنـدق الماجستيك واستعار من الطهاة عددا من الاوانى النحاسية مثل « الكسارولات » وما أشبه .. وربطها جميعا بطرف حبل ثم طلب من خادميه الايطاليين بترو ، وجارو ، أن يتسللا الى السيارة الصغيرة التى كان يركبها البوليس الفرنسى ويتبع فيها فاروق.. وأن يربطا الطرف الثانى للحبل فى مؤخرة السيارة من غير أن يشعر بهم البوليس وكانت سيارة البوليس واقفة على مقربة من الفندق بينما كان رجال البوليس واقفين بباب الفندق .. حتى اذا خرج فاروق أسرعوا الى سيارتهم الصغيرة وتبعوه !

ونجح بترو ، وجارو فى مهمتهما .. وعادا الى الفندق وأبلغا فاروق ..

وأسرع فاروق بالخروج .. وقفز فى سيارته وأطلق لها العنان ، وهرول رجال البوليس الى سـيارتهم ووثبوا الى مقاعدها .. وأطلقوا لها العنان وراء سيارة فاروق ..

ومضى فاروق بسيارته يلف ويدورحول الميدان الكبير القائمة حوله متاجر فيشى وحاناتها ودور السينما .. والمزدحم دائما بالسائرين ..

مضى يدور ويلف .. ووراءه سيارة البوليس تجر وراءها الاوانى النحاسية على بلاط الميدان .. !

وللقارىء أن يتصور الاصـــوات التى كانت تحدثها هذه الاوانى النحاسية عند ارتطامها بالاسفلت والبلاط !

ووقف المارة فى الطرق وفى الميـدان .. يضحكون ، ويصفرون .. ويسخرون من رجال البوليس ..

وعاد فاروق الى الفندق .. ووراءه سيارة رجال البوليس ونزل رئيس قوة بوليس الحراسة من السيارة وفك الحبل الذى كان يربط الاوانى النحاسية الى مؤخر السيارة ورمى بالاوانى أمام باب الفندق ..

وأخرج الرجل منديلا كبيرا من جيبه مسح به العرق الذى كان يتصبب من وجهه وقال ـ دون أن يوجه كلامه الى أحد معين ـ قال بالفرنسية ما معناه :

ـ ده لعب عيال .. والذى فعل فينا هـذه الفعلة يستحق أن يضرب « علقة » على .. ؟

وذكر الرجـــل اسم جزء الجسم الذى يؤدب فيه الصغار ..!

***

وفى اليوم التالى غادرنا فيشى الى مارسيليا ..

وكانت الباخرة « النيل » مزينة بالاعلام المصرية .. وقد وقف عند أول درجات السلم المرحوم مدحت يكن باشا ، ودكتور فؤاد سلطان ، وكان بنك مصر وشركاته قد أوفدهما لكى يكونا فى خدمة فاروق على ظهر الباخرة

وسمعنا ـ وفرحنا ـ ان المغفور له طلعت حرب باشا أرسل كذلك عددا من الطهاة المشهورين بطهى الالوان الشرقية .. ومعهم « العاصي » المشهور بعمل الطعمية والفول المدمس اكراما لفاروق ..!

وتحركت « النيـــل » فى المساء وأذكر من حديث

للمرحوم حسنين باشا أثناء الايام الاربعة التى مضيناها على ظهر الباخرة « النيل » .. أذكر حديثا قال فيه ما خلاصته ومعناه :

ـ لقد كنا فى أوروبا محيطين بالملك .. وكان هو يعمل برأينا ويصغى لمشورتنا .. ولـكننا نعود الآن الى مصر .. وأولاد الحرام هناك كثيرون .. ولن نستطيع أن « نحلق » على « مولانا » كما كنا نفعل فى أوروبا .. ولن يمكننا أن نمنعه من الاتصال بهذا وذاك .. كذلك لن نستطيع أن نمنع أولاد الحرام هؤلاء من مقابلته .. وأرجو منك ، وقد أصبحت واحدا منا « كذا » أن تساعدنى عند أصحابك الوفديين وأن تقنعهم بأن فاروق غير فؤاد .. وأن سياسة الشدة والعنف مع فاروق لا تنفع ، لأنه عنيد وذو كبرياء ، وقد لمست أنت هذا بنفسك ..!

وفى حديث آخر قال رحمه الله :

ـ قل لأصحابك الوفديين ! « وكانت هذه عبارته دائما كلما تحدث عن الوفديين ! » انه ليس فى مصلحتهم ولا فى مصلحة البلد أن يسير « مولانا » فى نفس الطريق الذى سار فيه أبوه الملك فؤاد .. وكن واثقا انه اذا اضطر « مولانا » أن يقيل الوزارة مرة واحدة.. أو يحل البرلمان مرة واحدة .. فانه ســوف « يستحلى » ـ وهذا تعبيره باللفظ ! ـ سوف « يستحلى » الحكاية ويمشي فيها .. على طول !.. ونصيحتى أن يمشوا معه بالذوق واللين .. وليذكروا دائما ان اولاد الحرام كثيرون وان الطامعين فى السلطة والوزارة كثيرون ..

***

ووصلنا الاسكندرية عند فجر يوم الاحد ٢٥ يولية عام ١٩٣٧

وكانت مئات الزوارق تملأ ميناء الاسكندرية .. وفيها فرق موسيقى وطبل وزمر وهتافات.. ودعوات تتصاعد بحياة فاروق .. والملك المحبوب ..

كان الشعب يومئذ يعلق آماله على الملك الفلام .. ولكن ان هى الا سنوات تقل عن عدد أصابع اليدين حتى استحال الحب الى نقمة .. والدعوات الطيبات الى لعنات يصبها الشعب على رأس الفاجر الطاغية فاروق ..!

عاد فاروق الى مصر بعد رحلته التى استغرقت نحو خمسة شهور والتى تنقل فيها بين سويسرا وفرنسا وانجلترا ، واستقبله الشعب بزينات الفرح والموسيقى والهتاف والدعاء « للملك المحبوب » !..

وعاد حسنين باشا ليجد النار مشبوبة فى بيت الزوجية .. والالغام مهيأة للانفجار.. وزوجته فى ثورة عاصفة مجنونة ضد الملكة نازلى ، وضد كل من يمت اليها بصلة أو بسبب .. حتى الملك نفسه .. فاروق !

ثم سمع حسنين من بعض اصدقائه ومن بعض رجال القصر الذين كانوا أقاموا فى مصر ولم يصحبوا فاروق فى رحلته الى أوروبا .. سمع من هؤلاء وهؤلاء أن زوجته السيدة لطفية قالت : « كذا وكذا » عن جلالة الملكة .. وقالت : « كيت وكيت » عن جلالة الملك.. وكيف انها ــ زوجة حسنين باشا ــ تحدثت فى مجلس خاص فى دار فلان باشا.. وقصر فلانة هانم.. واتهمت جلالة الملكة نازلى بأنها « ماشيه » مع حسنين ، وأن الملكة عملت « كذا وكذا » فى باريس .. و « كيت وكيت » فى جنيف ولندن وفيشى .. وان الملك فاروق مغفل .. مثل أبيه الملك أحمد فؤاد ..!

سمع حسنين بهذا .. ثم سمع بما هو أدهى وأخطر

واليك التفاصيل :

كانت زوجته السيدة لطفية ـ رحمها الله ـ تزور ذات يوم سيدة من الأسرة اليكنية ، وكانت ـ كعادتها فى تلك الايام ـ تنتهز كل فرصة لكى تطعن فى الملكة نازلى وفى سلوكها وتروى عنها القصص والحكايات .. ومنها قصة زواجها بالملك أحمد فؤاد .. وكيف هربت نازلى .. وكيف « ضبطوها » الى آخره .. والاشاعات التى أحاطت بالزواج المذكور .. ثم الاشاعات التى انتشرت بعد مولد فاروق .. الى آخره ..

***

وهنا اشترك فى الحديث محام شاب وقال ان أديبا اسمه بيرم التونسى كان سجل هذه الاشاعات فى أزجال رددتها شوارع الاسكندرية والقاهرة وتغنت بها ابان ثورة عام ١٦١٩ ، وان الاديب المذكور قد نفى خارج البلاد بسبب هذه الازجال ..

وكادت لطفية تقفز فرحا .. وطلبت من المحامى الشاب ـ والحت فى الرجاء ـ أن يحصل لها على نصوص الازجال المذكورة ..

واستطاع المحامى بعد جهد أن يحصل على أزجال الاديب الشاعر بيرم التونسى ..

وطبعت لطفية هانم بضعة آلاف نسخة من الازجال المذكورة فى شكل نشرة صغيرة وعملت على توزيعها يوم عودة فاروق وأمه نازلى من رحلتهما الى أوروبا ..

ولكن هذه النشرة ، أو هذه الازجال لم تحدث أثرا أو ضجة .. لأن الذين وقعت فى أيديهم اما أنهم لم يفهموا الكنايات ، والتلميحات التى جاءت فيها .. واما انهم فهموا ، ولكنهم مزقوها سخطا واشمئزازا لأن فاروق ـ كما قلت ـ كان يومئذ «ملكا محبوبا » !

ولأن أمه الملكة نازلى لم تكن قد خرجت بعد على المكشوف ، أو المألوف . وكانت حكاياتها أوقصصها لا تزال محصورة فى نطاق ضيق محدود .. ولم تخرج بعد الى الشوارع لتصبح مضغة فى الأفواه وحديث الناس .

سمع حسنين بهذا كله .. وقبل أن أمضى فى سياق الحديث أرى ـ من باب التسجيل ـ أن اقف عند ازجال الاستاذ الاديب بيرم التونسى لكى اعطى القراء فكرة عن انفعالات الشعب فى ثورة عام ١٩١٩ والنظرة التى كان ينظر بها الى العرش وصاحبه السلطان أحمد فؤاد .. وابنه وولى عهده فاروق ..

***

وكانت نظرة الشعب نظرة زراية وسخط واستخفاف ثم كانت سلسلة « المسكنات والمرطبات والمهدئات » .. من دستور ، وبرلمان ، وتمثيل سياسى ، ومقاعد وزارية ومقاعد نيابية ، ووظائف سياسية ودبلوماسية .. ازدحم رجالات مصر حولها وتكالبوا عليها ..!

وهدأت ثورة الغضب .. واستكان الشعب واستطاع أحمد فؤاد أن يملك ويحكم سبعة عشر عاما .. وأن يصبح ابنه ـ الذى هزأ الشاعر وتغنى ساخرا بمولده يوم ولد ـ يصبح ملكا محبوبا يدعو له الشعب بالعز والتأييد ..

واتصلت بالاستاذ الاديب بيرم التونسى وسألته أن يبعث الى بهذه الازجال مع كلمة منه عن الظروف التى كتبت فيها ..

وقال الاستاذ بيرم انه يذكر منها زجلين اثنين : الاول عن زواج أحمد فؤاد ونازلى .. والآخر عن مولد فاروق وما أحاط بالحادثين من شكوك واشاعات ..

وتفضل وكتب الى يقول :
اخى ...
طلبت الى أن أحدثك عن ثورة عام ١٩١٩ ، كانت يا ولدى ثورة من النوع الذى لايبقى ولا يذر .. ولقد تركها الانجليز تتأجج وتتآكل الى أن يخمد اوارها ثم تعالج بالطرق الناعمة ..
أيقن الشعب ان أمانيه الوطنية أصبحت فى يديه ، وقال الانجليز : « نعم .. وها هو ذا سلطانكم المستقل وبرلمانكم وما عليكم الا ارسال السفراء والقناصل الى كافة نواحى العالم » ..
وكانت جريدة «المقطم» لسان القائد العام الانجليزى بدأت تتحدث عن الامير احمد فؤاد الذى سوف يسند اليه منصب خطير فى الدولة المصرية ..

وتساءل النـــاس عن الامير فؤاد ، لأن رجال ذلك البيت وأميراته لم يكونوا يومئذ موضوعا تخوض فيه الصحف الا بقدر معلوم ..
فقال القائلون :
ـ آه .. أحمد فؤاد المقامر الذى لا ترحب به أندية القمار لأنه مفلس ولا يسدد ديون القمار ..
ـ أحمد فؤاد الذى يركب « الحنطور » ولا يدفع للحوذى أجرته !..
ـ أحمد فؤاد الذى يفتح منازل أصدقائه ليلا ويطلب الطعام !..

***

وذات يوم مر موكب عظمة السلطان أحمد فؤاد من شارع راس التين ، وقد جلس فى مركبته التى تجرها ستة من الجياد ، وفى شمائل وزينة القرون الوسطى..
فلما مضى الموكب أخذ الشعب السكندرى يقول :

ـ عامل زى قبانية مينا البصل .. ده أصله شيخ زامة !..

ـ شنباته زى « شنكل » الجزار ..

الى آخره ..

***

وأدرك العارفون أن الحركة الوطنية قد تحولت الى « زفة » عريسها السلطان أحمد فؤاد وموائدها كراسى البرلمان ووظائف السلك السياسى ..

ثم أذاعت جريدة « المقطم » عزم السلطان « التقى » على الزواج ودقت طبول العرس بين ضجيج المعارك القائمة بين البوليس بقيادة ضباطه الانجليز وبين جماعات الشعب فى كل عاصمة وقرية ..

وأخذ الناس يتحدثون عن العروس « نازلى صبرى » وأسرتها وجدها الاول .. وكيف خطفت وكيف حبست وكيف هربت .. واختلطت أحاديث الناس عن زواج السلطان بأحاديثهم عن بطولة البلاد التى قامت فيها الثورة ..

ما أشجع طنطا .. وما أعظم وطنية دمنهور .. ولله در أسيوط ومدن الصعيد ..

ولم أسمع من يقول : « لله در الانفوشى » وهو مسقط رأسى فى حى رأس التين .. وفيه يعيش منذ خمسة آلاف عام أرذل أنواع البشر كما قال علماء الشعوب ..

ولم أكن من هواة تحطيم المصابيح أو اشعال النار فى الترام لأنى لا أحب أن أموت « فطيس » برصاصة عسكرى ..

ولكننى أردت أن أشارك الثورة .. وطبقت فرخ الورق « جاير الجاير » على ثمانية أوجه وسميته : « المسلة » .. ولما كان بدون رخصة كتبت فى الرأس :

« المسلة ... لا جريدة ، ولا مجلة ! »

ولكن ماذا أكتب فى « المسلة » وأنا لا أعرف شيئا فى الدساتير أو فى السياسة ! ؟ ..

سلكت طريقة « فتوات الانفوشي » عندما يقررون هدم العرس .. يكفى أن تحطم « الكلوب » أو تضع لقما تحت « الموتور » الذى يدير المصنع .. لكى يمسى العرس فى ظلام دامس .. ويتعطل المصنع كله عن العمل

و « الموتور » هو السلطان أحمد فؤاد .. والمناسبة حاضرة وهى قصة نازلى وما يقال عنها .. وعن ظروف زواجه بها ..

ومن هنا كانت افتتاحية « المسلة » !..

وهى على وزن أغنية سورية كانت جاءت حديثا الى مصر وانتشرت فيها ، ومطلعها :

مرمر زمانى .. يا زمانى مرمر .. قلبى تولع فى هواك يا الاسمر .. ولها نغمة عذبة مرسلة فلم تحتج الثورة « البامية السلطانى » الى ملحن أو موسيقار.. وها هى ذى الانشودة :

البنت ماشيه من زمان تتمخطر
والغفلة زارع فى الديوان قرع أخضر
يا راكب الفيتون وقلبك حامى
أسبق على القبة وطير قدامى
تلقى العروسة شبه محمل شامى
وجوزها يشبه فى الشوارب عنتر

***

وحط زهر الفل فوقها وفوقك
وهات لها الشبشب يكون على ذوقك
ونزل « النونو » القديم من طوقك
يطلع فى طوعك لا الولد يتكبر

المطفة من قبل النظام مفتوحة
والوزة من قبـل الفرح مدبوحة

الى آخره .. الى آخره ..

والاشارات والتلميحات مفهومة .. فالبنت هي نازلي والغفلة هو أحمد فؤاد وكانت شـواربه مبرومة مدببة الاطراف .. !

وأما «النونو» القديم ، والعطفة ، والوزة .. فأمرها متروك لذكاء القراء ..

***

أما الزجل الثاني الذى نظمه بيرم التونسى بعد مولد فاروق .. فقد جاء فيه :

البامية فى البستان تهز القرون
وجنبهـــا القرع الملوكى اللطيف
والديدبان يرمح يجيـــب الزبون
وربة الجـارية تجيــب الرغيف
شوف الميراث حصـــل ولاد البطون
ودخـــل الاغراب « فاميليـة » على

***

يا باديشاه دا أنت ابنك ظهر
ربك يبـارك لك فى عمر الغلام
نزل « يلعلط » تحت برج القمر
ياخسارة بس الشهر كان مش تمام

***

وكان أحمد فؤاد قبل اعتلائه العرش يقيم فى قصر اسمه قصر البستان ..

و « فاميلية » على .. يعنى أسرة محمد على ..

و « باديشاه » كلمة فارسـية أو تركية ومعنـاها سلطان ! ..

والشهر كان مش تمام ! ليست فى حاجة الى تفسير، ومعناها ان فاروق ولد قبل مضى تسعة اشهر على الزواج !

وألقى البوليس القبض على الاستاذ بيرم التونسى ووضعوه على ظهر باخرة مسافرة الى فرنسا .. وبقى بيرم فى المنفى نحو عشرين عاما ..

***

وهذه هى بعض أزجال ثورة عام ١٩١٩ ، وقد طارت من الاسكندرية الى القاهرة .. وتغنى بها الشعب وتتئذ فى الشوارع والمظاهرات ..

وهذه هى الازجال التى طبعتها ــ المرحومة لطفية ــ زوجة حسنين ووزعتها يوم عودة فاروق وأمه الملكة نازلى ..

سمع حسنين باشا بهذا .. ثم لم يلبث أن جاءه الخبر بأن الملكة نازلى قد سمعت هى أيضا بمطاعن السيدة لطفية ضدها.. وبالنشرات التىطبعتها ووزعتها وفيها ما فيها من تعريض بها وبزوجها الملك أحمد فؤاد وابنها الملك فاروق .. وان الملكة نازلى ــ ومن غير أن تقول شيئا لحسنين ــ ذهبت وأبلغت الأمر لابنهما الملك فاروق ..

وهكذا تعجلت الملكة نازلى سير الامور .. ووضعت حسنين فى مأزق حرج ، وفرضت عليه ان يختار بين أحد أمرين :

اما أن يختارها هى ويختار معها منصبه ونفوذه فى القصر الى جانب الملك .. واما ان يختار زوجته وشريكة حياته وأم أولاده ؟

ثم لم يلبث أن استدعاه فاروق ليقول له :

ـ مراتك اتجننت ياحسنين ؟.. شوف لك طريقة معاها .. وبسرعة !

وذهب حسنين الى زوجته وقال لها انها ارتكبت جريمة العيب فى الذات الملكية .. وانها عابت فى ذات الملك أحمد فؤاد .. وعابت فى ذات الملكة نازلى .. وعابت فى ذات الملك فاروق .. وان أقل ما يجب عليها أن تفعله الآنانقاذا للموقف ـ وللمظاهر ـ هو أن تلتمس مقابلة الملكة نازلى وتنكر أمامها كل ما هو منسوب اليها .. وتؤكد اخلاصها وولاءها لها ولجلالة الملك ..

ولكن لطفية لم تتركه يتم حديثه .. بل صاحت فيه :

ـ أنا ... أنا أروح لنازلى ؟

واندفعت تسب وتشتم .. فى نازلى وتقول :

ـ واذا كنت عايزنى أروح لها .. أنا مستعدة أروح .. بس راح أقول لها كل الكلام اللى قلته عنها فى غيابها ..

وتركها حسنين وخرج ليفكر فى هذا الوضع الصعب أو الوضع المستحيل الذى يجد نفسه فيه ..

رائد الملك .. ثم أمينه الاول ..

ولكن زوجته تطعن فى ذات الملك .. وفى ذات أمه الملكة ..

احتفاظه بزوجته .. وبمنصبه فى القصر .. أمر مستحيل .. ليس أمامه الا أن يضحى بزوجته أو بمنصبه ..

وضحى بزوجته ..

وأوقع يمين الطلاق .. واحتفظ بمنصبه ..!

***

وكثير من أصدقاء حسنين ـ وأنا منهم ـ لم يسمعوا

ولم يعرفوا الا بعد وقوع الطلاق بعدة أسابيع ..

وكان سماعى بالخبر من حسنين نفسه ، فقد ذهبت لزيارته ذات يوم .. وجلسنا نتحدث فى شتى الامور.. وسألنى فجأة :

ــ هل تذكر « البارور » الياقوت الذى اشتريته فى باريس هدية لزوجتى ؟

و « البارور » طقم مكون من حلق واسورة وخاتم .

قلت : نعم ..

قال : وقد دفعت فيه ثمانمائة جنيه .. استدنتها لأننى ــ كما تعرف ــ فقير ..

وحنيت راسى موافقا ..

ومضى حسنين يقول بمرارة :

ــ هل تظن ان الذى يستدين ثمانمائة جنيه لكى يشترى بها من باريس هدية لزوجته .. يعود الى مصر وفى نيته أن يطلق زوجته ..؟ ولكن هذا ما يقوله أولاد الحلال ! ؟

وسألته :

ــ ومن الذى طلق زوجته ؟.. انت ! ؟

قال : نعم ..

ولأول مرة منذ عرفت أحمد حسنين .. رأيت فى عينيه دمعة حائرة تترقرق ..

وبعد لحظات استرد هدوءه ، واستأنف حديثه ، وقص على كثيرا من التفاصيل التى ذكرت بعضها فيما تقدم ، ومنها انه لما قدم لزوجته لطفية هدية « طقم الياقوت » رمت بها الى الارض وصاحت فى وجهه قائلة :

ــ جايب لى هدية من نازلى ؟ أنا عارفه انك فقير.. يبقى مين اللى دفع الثمن واشتراها ؟.. لازم نازلى !

عايزة تشترينى وتشترى سكوتى ؟.. والا انت عايز تعمينى بالهديه وتفهمنى انك لسه بتحبنى ؟..
ومشهد آخر من مشاهد الغيرة المجنونة ..

***

وقال حسنين بين ما قاله :
ــ كتر خيره مراد باشا عمل الواجب وزيادة !..
قالها بسخرية ومرارة ..
وفهمت منه ان مراد محسن باشا والروايات والحكايات التى نقلها من « فيشى » الى مصر وحرص على أن يرويها أمام أصدقاء وصديقات لطفية لكى تبلغها .. هذه الحكايات والروايات هى التى «شعللت» النار وأخرجت لطفية عن صوابها فانطلق لسانها بالسب والطعن والقذف فى حق الملكة .. والملك ..
ولقد قلت فيما سبق ان مراد محسن باشا كان ينافس حسنين على مركز الرجل الاول فى القصر .. وكان حسنين يعرف هذا .. وكان بين الرجلين منافسة وغيرة فى أكثر من ميدان واحد ..
ومن هنا كان طبيعيا أن يعتقد حسنين أن مراد محسن قد عمل عامدا متعمدا على « شعللة » النار فى صدر زوجته لطفية ..
وكانت آخر عبارة قالها فى هذا الموضوع ، وعلى شفتيه ابتسامة باهتة .. قال :
ــ وكان الرسول فى مفاوضات الطلاق بينى وبين لطفية هو الاستاذ ابراهيم رشيد ..
والاستاذ ابراهيم رشيد المحامى هو صهر المرحوم مراد محسن باشا ..
وهكذا .. طلق حسنين باشا زوجته السيدة لطفية ابنة الاميرة شويكار وسيف الله يسرى باشا .. طلقها

والدموع فى عينيه .. بعد أن أطلقت لسانها وقذفت فى حق الملك والملكة .. أو ـ على حد قوله رحمه الله ـ عابت فى ذوات ملوك ثلاثة ..

ثم رفضت أن تنكر التهمة وتنفى ما نسب اليها .. ورفضت أن تعتذر ..

ورأى حسنين انه أصبح فى وضع صعب ، بل مستحيل .. وانه لايمكنه أن يحتفظ بزوجته ويحتفظ معها فى نفس الوقت بمنصبه فى القصر ..

اما الزوجة ، واما الوظيفة والمنصب وما اليهما من جاه وسلطان .. ولقد اختار الوظيفة ..

والذين يعرفون حسنين وظروفه لا يستطيعون أن يقسوا عليه بسبب هذا الاختيار ..

ماذا كان يفعل لو انه آثر الاحتفاظ بزوجته وأم أولاده وضحى بالوظيفة والمنصب ؟

كيف يعيش ؟ ومن أين ينفق ؟ لقد كان حسنين طوال عمره فقيرا ، بل ومدينا لا يملك سوى مرتبه من وظيفته .. وكان جزء من مرتبه يذهب فى سداد الديون

وكانت زوجته السيدة لطفية فقيرة مثله لأن أمها الاميرة شويكار لم تكن قد ورثت بعد ملايين شقيقها الامير سيف الدين ، بل الذى أعرفه ان الاميرة شويكار كانت فى ذلك الوقت فقيرة تعيش على الاعانة أو المرتب الشهرى الذى يدفع لها بوصفها احدى أميرات البيت المالك .. وكانت كثيرا ما تلجأ الى الحكومة تطلب منها النجدة العاجلة فى أزمة مالية طارئة .. ولقد رأيتها فى محطة باريس فى ربيع نفس العام ١٩٣٧ ، وقد جاءت هى وزوجها الهامى حسين ليودعا النحاس « باشا » والسيدة حرمه عند سفرهما .. ورأيت شويكار الاميرة حفيدة محمد على تنحنى فوق يد مصطفى النحاس ..

وفوق يد السيدة حرمه مودعة محيية ! ذلك لأنها ـ كما سمعت يومئذ ـ كانت فى حاجة ملحة الى معونة مالية سريعة من الحكومة .. وكان حسنين بعد هذا أو ذاك قد اعتاد الحياة السهلة حياة الترف والدعة فى القصور الملكية وهى التى كانت من حقه بحكم منصبه فى القصر .. فكيف يتخلى عنها أو ينسحب ويستقبل منها ليواجه المستقبل المجهول وهو الفقير الفارق فى الديون ! ؟

ولقد تساءل بعض أصدقاء حسنين ـ وأنا منهم ـ لماذا لم يذهب حسنين الى فاروق ويطلب ـ أو بلغة العهد ـ « يلتمس » منه اعادته الى السلك السياسى الذى كان نقل منه الى منصبه فى السراى فى عهد الملك فؤاد !.. وكانت درجته ومرتبه يؤهلانه يومئذ لمنصب وزير مفوض من الدرجة الاولى !..

وهكذا يخرج حسنين من مصر ، وتخرج معه زوجته لطفية المغضوب عليها ؟..

واذن لاستطاع حسنين أن يحتفظ بزوجته وأن يحتفظ معها بوظيفته ومصدر رزقه الوحيد !

ولكن هل كانت الملكة نازلى ، وابنها الملك فاروق يرضيان بهذا الحل أو يكتفيان بهذه الترضية .. وهى ابعاد السيدة لطفية عن مصر ؟..

ربما كان فاروق قد قبل .. أما نازلى فمن المؤكد قطعا انها كانت ترفض .. ولا أقل من الطلاق ..

والى هنا وقد حاولت أن أنصف حسنين .. وأسجل ما كان لفقره وديونه من وزن وأثر فى قراره ..

ولكننى مطالب كذلك بانصاف الحقيقة والمنطق .. والحقيقة تقول ان حسنين كان ذا مطامع واسعة ، وانه كان رسم سياسة لتحقيقها ، وأن من أسس هذه

السياسة بقاءه فى القصر الى جانب صاحب العرش .. وسيطرته فى نفس الوقت على الملكة أم الملك وصاحبة النفوذ والاحترام يومئذ عند ابنها الملك ..

كيف اذن يغادر مصر ، والقصر والملك والملكة ويرضى أن يذهب الى الخارج سفيرا أو وزيرا مفوضا لبلاده ؟..

وهو الذى كان حريصا من أجل تحقيق مطامعه على البقاء فى مصر وفى القصر بالذات حيث يسهل عليه وضع أصبعه فى أى وقت على نبض الحوادث ومتابعة سير الامور وانتهاز الفرص كلما لاحت فرصة سانحة ؟ !

هذا كله .. تقوله الحقيقة .. وهنا يقول المنطق أن حسنين نفسه كان يرفض مغادرة مصر والقصر الى الخارج لو أن اقتراحا بهذا المعنى كان عرض عليه !

وهكذا .. وكيفما قلبت الامر على أى وجه فانك تصل الى هذه النتيجة وهى ان حسنين لم يكن أمامه سوى أن يطلق زوجته ..

وقد فعل وفى حلقه غصة وفى عينيه دمعة حائرة !

لقد كان يحب زوجته شريكة حياته وأم أولاده ..

ولكن حبه لمطامعه كان أكبر وأعمق .. ولقد كان حسنين ـ كما سبق أن قلت ـ يلبى دائما نداء العقل ويصم أذنيه عن صراخ القلب والعاطفة مهما كانت الظروف .. وكان عقله حليف مطامعه ..

***

وأنتقل الآن الى مشهد جديد فى هذه المسرحية ..

الآن وقد طلق زوجته .. وأصبح حرا طليقا .. هل تراه ذهب وأخذ الملكة نازلى بين ذراعيه .. أو تركها تأخذه بين ذراعيها ؟

لم تكن هذه سياسة أحمد حسنين.. حسنين العالم العليم بطبائع النساء ، وخصوصا من تجاوزت منهن مثل

الملكة نازلى سن الشباب .. ومن كانت لها ـ مثل نازلى ـ أهواء ونزوات !.. جارية رقيقة أسيرة هوى فى المساء وملكة مستعلية متكبرة فى الصباح ..

تعتصر الثمرة .. وتلفظ نواها.. وترشف الخمر.. وتكسر القدح .. امرأة تسير على هواها .. وهواها ألا تحفظ عهد هوى ..

وكان حسنين يعرف هذا ويقيم له كل وزن فى خططه وحسابه ..

***

وهنا أترك الحديث لمراد محسن باشا ناظر الخاصة الملكية وتقريرا للواقع أحب أن أقول ان حديث المرحوم مراد باشا لم يكن معى ، بل كان مع شخص موثوق به ولست فى حل من ذكر اسمه لأنه لا يريد أن يذكر اسمه فى هذه القصة ..

تحدث مراد محسن باشاً فى يوم الجمعة ٥ يولية عام ١٩٤٠ الى الشخص الموثوق به المذكور وعاد بحديثه نحو ثلاث سنوات الى الوراء .. وهذا الحديث مسجل مكتوب ـ حرفا بحرف ـ كما أفضى به صاحبه

قال مراد محسن باشا :

ـ ان حسنين باشا أخطر رجل فى مصر ، وهو ممثل يجيد التمثيل خيرا من يوسف وهبى ، وأنا لا أنسى يوم جاءتنى الملكة نازلى تقول : انها تحب حسنين ولا تستطيع الحياة بدونه ، وانها تعسة لأن حسنين صارحها بأنه لايستطيع أن يقربها لأنه لايحب الحرام .. ثم قالت الملكة نازلى انها كانت أوفدت الى حسنين احدى وصيفاتها لتسأله عن سر بروده مع صاحبة الجلالة ؟.. فقال لها : انه يتعذب وانه يمسك بعواطفه لأنه يحبها ـ أى يحب الملكة نازلى ـ ولكنه لايستطيع أن يفعل

شيئا يغضب الله .. وانطلقت الملكة نازلى فى شكواها لمراد محسن باشا تقول :

ـ يعنى اعمل ايه أنا ؟.. لا هو يسمح لى أن أعرف رجلا سواه .. ولا هو يريد أن « يأخذنى ! » لا عاوز يرحم ولا يخلى رحمة ربنا تنزل ! « واستغفر الله للمرأة الآثمة » ..

***

ومضى مراد محسن باشا فى حديثه يقول :

ـ ولقد دهشت من هذا التصرف من حسنين ، فأنا اعرفه جيدا وأعرف انه فى حياته الخاصة وسلوكه الشخصى ليس شيخ الازهر ! ولكن حسنين كان يمثل دورا .. وكانت النتيجة أن ازداد وجد الملكة نازلى وتضاعف هواها وحبها له وأصبحت تعتقد انه رجل غريب.. رجل يجد ملكة بين يديه ويرفض أن يقربها !

وذات يوم قالت له :

ـ أنا أعطيك انذارا نهائيا ، اما أن تعاملنى كامرأة ، واما سأقطع كل علاقة بيننا وأصبح حرة أفعل ما أشاء

وأجاب حسنين ـ وهو يتظاهر بالبكاء ـ انه لايستطيع أن يقربها الا اذا تزوجها على شرع الله وسنة رسوله..

ثم أسرع يقول :

ـ وغير معقول أن أتزوج الملكة ..

وهنا صاحت الملكة نازلى :

ـ طظ فى لقب الملكة !

ولكن حسنين قال :

ـ معنى هذا ان جلالة الملك سيطردنى وأنا أفقر من أن أستطيع العيش على معاشى لأن الديون تأخذ جانبا كبيرا منه ..

قالت الملكة نازلى :

ـ أنا مستعدة لأن اضع ثروتى كلها بين يديك ..
قال :
ـ ولكننى لا أستطيع أن أعيش على حساب زوجتى وسوف أشعر بمرارة انك دفعت لى ثمن هذا الزواج ..
وصاحت هى :
ـ يعنى عايزني اعمل ايه ؟ زوجة .. لأ !.. رفيقة لأ !.. عاوزنى أبقى ايه ؟ ! ..
قال حسنين :
ـ عاوز ملكة ! ..
قالت :
ـ يعنى قطعة جماد !.. طوب .. حجارة ؟.. لا ياسيدى .. انا بنى آدم .. انا دم ولحم .. انا امراة ، انا حرمت كل حياتى من الحياة .. عاوزه اعيش .. سيبنى اعيش ..
قال حسنين :
ـ انا خايف على سمعتك وسمعة السراى ، والا لتركتك تفعلين ما تشائين ..

***

وهنا انفجرت قائلة :
ـ طيب !.. سأبهدل سمعة السراى !.. انا اخذت ايه من السرايات .. غير المرض والبؤس والشقاء !.. أنا عشت تمنتاشر سنة فى ثلاجة ..

ولكن حسنين أصر أمامها على انه يخشى الله ولا يستطيع ان يفعل شيئا يغضب الله !..

وهنا قالت الملكة نازلى :
ـ اذن سأذهب الى فاروق واقول له اننى سأتزوجك
قال حسنين :
ـ اذهبى ... ولكنه سيرفض ..

ومضى مراد محسن باشا فى حديثه يقول :
ـ وذهبت الملكة نازلى فعلا الى الملك فاروق .. وكانت مقابلة عاصفة !.. فقد قالت لابنها انها تحب حسنين باشا وتريد أن تتزوجه ..
وقال فاروق :
ـ رافقيه أحسن !..
قالت : انه يرفض أن يكون عشيق الملكة !..
قال صاحب الجلالة :
ـ سأصدر اليه أمرا ملكيا بذلك !
ولعل فاروق كان يسخر من أمه !

***

وعلى كل حال فانه لم يفاتح حسنين فى هذا الموضوع وكان طبيعيا أن اعتقد ان الملك سوف يغضب ويحقد على حسنين ويطرده من السراى ، ولكن شيئا من هذا لم يحدث .. ولعل جلالته آمن باخلاص حسنين باشا وان هذا الاخلاص هو الذى يحول بينه وبين أن تكون له بالملكة علاقة غير شريفة !
وكان الملك لايزال يثق فى حسنين وفى اخلاصه .. فقد حدث أيام كان الملك وأمه الملكة نازلى فى لندن أن أرادت الملكة أن تذهب الى ناد ليلى معين لترقص فيه فذهب اليها حسنين وقال لها : « اذا رقصت فى هذا النادى فسوف أضعك هنا فى مستشفى المجاذيب » .. وذهبت الملكة نازلى تشكو حسنين الى فاروق وتهديده اياها .. ولكن الملك فاروق لم يفعل شيئا ولم يقل شيئا لحسنين .. وهذا هو الامر العجيب الذى يحيرنى ! ؟
ثم قال مراد محسن باشا :
ـ ومع ذلك فأنا أعرف ـ أكيدا ـ ان الملك يكره حسنين فى قرارة نفسه ، ولكنه ـ كما يظهر ويبدو من

تصرفاته ـ يخافه ويتقي شره !.. وحسنين يعرف ذلك ومن هنا يعمل من جانبه على اتقاء بطش الملك به عن طريق السيطرة التامة على أم الملك .. الملكة نازلي !

وذات يوم جاءتني الملكة نازلي تقول : انها قررت أن تهب حسنين باشا خمسمائة فدان ، وطلبت مني ، بصفتي ناظر الخاصة ووكيلا عنها ، أن أعد العقود الخاصة بهذه الهبة ونقل الملكية ، وحاولت أن أراجعها في قرارها ، ولكنها أصرت عليه .. وهنا ذهبت الى الملك فاروق وأبلغته الخبر ، فثار وهاج وقال لي :

ـ ان هذه الخمسمائة فدان بتاعتي أنا .. لأنني أنا الذي أرث الملكة ..

ولكنه لم يفعل شيئا ولم يحدث أمه أو حسنين في هذا الموضوع ، واكتفى بأن طلب مني أن أذهب الى « رفعة » شريف صبري باشا شقيق الملكة وأروي له الحكاية .. وذهبت الى شريف باشا وقلت له : ان جلالة الملكة تريد أن تهب حسنين باشا خمسمائة فدان ..

ولكن شريف صبري لم يفعل شيئا .. وبينما أنا في حيرة ماذا أفعل ؟ اتصل بي حسنين باشا ليقول لي انه يرفض هذه الخمسمائة فدان ..

وبعده بقليل ، اتصلت بي الملكة نازلي وقالت : ان حسنين باشا شتمها وقال لها : « انتي عاوزه تهزئيني أمام رجال السراي ؟ انتي عاوزه تنتقمي مني ؟ كيف تتصورين أنآخذ منك أنا فدادين؟ انتي امرأة مجنونة !»

***

ومضى مراد محسن باشا في حديثه يقول :

ـ وهكذا استطاع حسنين باشا برفضه هذه الهبة الكبيرة أن يزيد في قوته ومقامه في عين الملكة نازلي ، وأن يشعرها انه من الانبياء والقديسين لا تمكن رشوته

وانا أعتقد ان سياسته أو هدفه الذى كان يسعى اليه فى آخر الامر هو أن يحمل الملك فاروق على أن يرجوه بنفسه أن يتزوج أمه الملكة نازلى زواجا عرفيا .. وعندئذ ينحنى أمام رغبة « مولانا » ويصدع بالامر بحجة انه انما يخدم الملك والأسرة بهذا الزواج ! ! وأما اذا رفض أن يكون عشيقا للملكة نازلى ، فربما خوفا من بطش الملك .. أو ربما لأنه كان يعرف حق المعرفة انه لو رضي أن يكون عشيقا للملكة لزهدت فيه بعد شهر واحد أو شهرين وتخلصت منه وتركته .. ومن هذا رسم لنفسه هذه السياسة.. سياسة التعالى والخوف والبعد عن كل ما يغضب الله .. وهكذا .. يضمن أن يبقي الملكة نازلى ملهوفة عليه والهة ويضمن بواسطتها نفوذه عند الملك وبقاء السلطة طول حياته فى يده .. ولكنى لا أعرف .. هل يستطيع حسنين أن يستمر طوال حياته فى تمثيل هذا الدور ، ولعب البهلوان ، والمشي على السلك المشدود ، أم انه سيقع يوما وتندق رقبته ..

***

قال مراد محسن باشا :

ـ وكان الملك فاروق يغضب أحيانا ويستبد به الغضب ويثور بسبب حب أمه الملكة نازلى لحسنين ، هذا الحب المفضوح الذى أصبح حديث جميع من فى القصر .. بل حديث أعضاء الأسرة المالكة .. كان يثور ويقسم انه سوف يضرب حسنين بالرصاص!.. ولكننى كنت أدخل عليه مكتبه فى اليوم التالى فأجده جالسا يمزح ويضحك مع حسنين !..

وحدث مرة فى العام الماضى ـ أى عام ١٩٣٩ ـ أن تلقى جلالة الملك تقريرا جاء فيه : ان جلالة الملكة

نازلى تسهر الى الصباح عند حسنين ، وقرر الملك أن يضبطهما معا متلبسين وأخذ معه خادمه الارناؤوطى محمد عبد الله وذهب الى بيت حسنين باشا وترك سيارته بعيدا عن الدار .. ثم دخل البيت من احدى النوافذ وعرف ان الملكة وحسنين فى الدور العلوى .. واعتقد انهما فى غرفة النوم !.. وصعد السلم على أطراف أصابعه .. وهو يضع دائما فى قدميه حذاء ذا نعل من « الكاوتش » لا يحدث صوتا .. وتسلل الى غرفة النوم .. وفتح بابها فوجدها خالية .. وفتح الغرفة التى بجوارها فرأى منظرا أذهله ! ؟ رأى حسنين باشا جالسا على الارض وأمامه الملكة نازلى جالسة كما تجلس التلميذة أمام أستاذها .. وكان حسنين يتلو عليها آى الذكر الحكيم من مصحف بين يديه !

وذهل الملك من هول المفاجأة .. فلم يجد شيئا يقوله .. وأغلق عليهما الباب وغادر الدار !..

ومضى مراد محسن باشا فى حديثه فقال :

ـ وعندما سمعت هذه القصة من الملك ازداد اعتقادى بأن هذا الرجل ـ يقصد حسنين باشا ـ بهلوان ! والا فكيف استطاع أن يمثل دور الرجل الصوفى المتدين مع الملكة نازلى .. وأن يحملها على الجلوس أمامه تصغى الى تلاوته للقرآن وهى التى لاتكاد تجلس فى مكان ما دقائق معدودات حتى تهب واقفة وهى تصيح : « أنا أختنق هنا !.. تعالوا نبحث عن سهرة نرقص فيها ! » ..

ثم قال :

ـ انجلالة الملك يعتقد انحسنين هو الرجل الوحيد الذى تخافه الملكة وتطيعه .. والرجل الوحيد القادر على ترويض الملكة باعتباره مروض وحوش أو انه اذا

خرج حسنين من القصر فان الملكة نازلى سوف تنفجر وتترك هى أيضا السراى.. و «تمشى على حل شعرها» !
ولكننى لست من هذا الرأى ، بل أعتقد ان حسنين هو الذى يضفى على نفسه كل هذه الاهمية .. بحركاته وتمثيله وبهلوانيته والا فما الذى تستطيع أن تفعله الملكة نازلى اذا وضعها الملك فى قصر وأغلقه عليها ؟..
ولكن الملك يرفض المناقشة فى هذا الموضوع .. وهو كلما يسمع أن الملكة تريد أن ترتكب حماقة صاح : « الحقونى بحسنين » ! ؟

***

انتهى حديث المرحوم مراد محسن باشا ..
وقد برهنت حوادث الايام والسنوات التالية على انه ـ رحمه الله ـ كان مخطئا فى رأيه وفى التهوين من شأن أحمد حسنين لأنه لم يكد حسنين يلقى حتفه ويوارى فى التراب حتى انطلقت نازلى « على حل شعرها » ..

***

تدلهت ملكة مصر وتهتكت فى حب حسنين ، ولم تخجل من أن تعلن حبها له أمام رجال القصر .. ثم أمام ابنها الملك فاروق .. تنسى مقامها كملكة ، وأرملة ملك وأم ملك ! ونسيت حرمة سنها وقد جاوزت الاربعين !

وكانت الصدمة النفسية قاسية عنيفة على فاروق الذى كان يومئذ فى الثامنة عشرة من عمره .. ميلادية ! أو التاسعة عشرة هجرية !..

وكان فاروق يحب أمه .. ولم يكن يفوق حبه سوى احترامه لها .. كانت تناديه أمامنا وأمام رجال الحاشية وخدم الفنادق « فاروق » .. وكان هو يخاطبها أو يناديها دائما « ماجستيه » أى صاحبة الجلالة !

وكان يخشاها ويتقى غضبها ويعمل لها حسابا ..

وكانت كلمتها عنده لا ترد ..

كثيرا ما سمعتها ــ أثناء رحلتنا الى سويسرا وفرنسا وانجلترا ــ سمعتها تنهاه أمامنا علنا عن قيادة سيارته بنفسه .. أو تنهره وتطلب منه أن يترك سيارته ويركب معها فى سيارتها لأنها كانت تخاف عليه من تهوره فى قيادة السيارات بسرعة جنونية ..

وكان يخضع دائما ويطيعها .. ولا يرى غضاضة أو بأسا ــ وهو الملك ــ فى أن ينزل على ارادتها مثل أى طفل صغير !

هكذا كان مقدار حب فاروق واحترامه لأمه نازلى.. ثم ها هى ذى تتدله وتتهتك فى حب موظف من موظفى القصر .. وتذهب تشكو حبها لناظر الخاصة ولا تخجل من أن تعلن أمام موظفى القصر انها عاشقة ملهوفة على أحمد حسنين .. بل ولا تخجل من أن تصارحه هو ــ ابنها الملك ــ بأنها تحب هذا الموظف أحمد حسنين ..

وانها قدمت نفسها وجسمها ، ولكنه يرفض !.. ثم تصرخ وتصيح : انها من لحم ودم !.. وتطلب من ابنها أن يزوجها من حسنين !

كانت الصدمة النفسية قاسية عنيفة .. على فاروق وتهاوت المثل العليا التى كان يراها فى أمه ــ صاحبة الجلالة ــ تهاوت وتحطمت تحت قدميه .. وكان كما ــ أسلفت ــ لايزال فى سن الثامنة عشرة !..

وكانت مثل عليا أخرى قد أخذت تتهاوى وتتحطم فى نفس الوقت تحت أقدام فاروق ..

زعماء البلاد الكبار وشيوخها الكبار وساستها الكبار .. رآهم فاروق واحدا بعد واحد ، ينحنون فوق يده ويقبلونها وينسحبون من « حضرته الملكية العلية » وهم يمشون بظهورهم الى الوراء ..

وسمعهم واحدا بعد واحد ، يقولون له : انهم جاءوا ليلتمسوا منه « توجيهاته السامية وارشاداته الغالية »

وقرأ لهم جميعا فى الصحف تصريحات أفضوا بها ، وقالوا فيها : انهم « تشرفوا بمقابلته ليتلقوا نصائحه الغالية وارشاداته الحكيمة » ..

ولم يكن فاروق غبيا .. كلا .. فقد كان يعرف انه لم ينل من العلم الا قليلا.. وانه جاهل أو نصف أمي.. وان تشدق هؤلاء الساسة والزعماء الكبار بحكمته ونصائحه ليس سوى نفاق ورياء .. وان كل ما يسعون اليه هو الحكم وكراسى الحكم !..

وهكذا !.. المثل العليا .. فى أمه .. وفى رجال مصر تهاوت وتحطمت .. ودخلت المرارة فى نفس الفتى ابن الثامنة عشرة ..

ومع المرارة والسخرية والاستهتار بالمثل العليا — وأين هى ؟ — وبالمبادىء والقيم والاخلاق .. وبكل ما فى هذه الدنيا من نبل وعلاء ..

لم يجدها فاروق فى أمه .. ولم يجدها فى رجال دولته .. لا فى الساسة ولا فى الزعماء .. ! ؟

وانطلق فاروق يسخر ويهزأ بكل شيء .. ويدوس بقدمه كل مقدسات هذا البلد ..

ولقد كنت كتبت مقالا مطولا فى هذا المعنى فى أعقاب الثورة ، وبعد خلع فاروق فى صيف عام ١٩٥٢ ، وكان عنوان المقال : « مأساة الملك فاروق » ..

وعدت اليوم الى نفس المعنى أو الموضوع ، لكى أقرر هذه الحقيقة مرة أخرى ..

وهى أن هذه القصة أو هذه الفضيحة — فضيحة نازلى وتهتكها — كانت من العوامل الرئيسية التىحولت فاروق من ملك محبوب مأمول الى طاغية ، وفاجر ،

ومستهتر .. أو مخلوق بلا أخلاق ولا مبادىء ولا مثل عليا ! وان شئت فقل : « حيوان فى رسم انسان » ..

***

واعود الى سياق الحديث أو القصة :

انتهت نازلى ملكة مصر الى هذه النتيجة ، وهى ان حسنين يرفض أن يعاملها كامرأة ، ويتخذها عشيقة لأنه ـ كما قال لها ولوصيفتها ـ يخاف الله ، ولايستطيع أن يقربها الا على شرع الله وسنة رسوله .. ثم هو لايستطيع أن يتزوجها خوفا من أن يطرده الملك فاروق وهو ـ أى حسنين ـ رجل فقير لايملك سوى مرتبه الذى يناله من وظيفته ..

اذن ماذا ؟

كان حسنين فى الواقع يرمى من وراء هذا الدور الذى مثله بمهارة عجيبة ـ كان يرمى وكما قال المرحوم مراد محسن باشا ـ الى أن يحمل الملك فاروق على أن يستدعيه ويأمره أو يرجوه أن يتزوج أمه الملكة نازلى !

واذن .. يصدع حسنين بأمر «مولانا الملك» ويتزوج من جلالة الملكة !

كان هذا هو الهدف الذى يسعى اليه حسنين ، ولم يكن تحقيقه مستحيلا أو صعب المنال ، لأن حسنين باشا ـ رحمه الله ـ كان قد أفلح فى اقناع فاروق ـ بطريق غير مباشر ـ بأنه ـ أى حسنين ـ الرجل الوحيد فى مصر ، أو فى القصر ، القادر على كبح جماح الملكة نازلى .. وانها لولاه ولولا نفوذه عليها « لخرجت على حل شعرها » وتركت السراى وانطلقت على هواها !

هذا ما كان يعتقده فاروق كما قرر مراد محسن باشا .. ولهذا لم يكن أمرا مستحيلا أن يطرح فاروق عواطفه ويصغى لحكم العقل والحكمة ويطلب من حسنين

أن يتزوج جلالة الملكة !

ولكن فاروق لم يفعل .. وحسنين لم يتراجع أو يتزحزح عن موقفه .. اذن ماذا ؟.. ماذا تفعل الملكة التى تريد أن تعامل كامرأة .. من لحم ودم ؟

***

هزت نازلى كتفيها فى وجه حسنين ، وشقت عصا الطاعة.. وانطلقت تغازل وتمرح وتسهر وتشرب وترقص مع من يعجبها من شبان.. ووقع اختيارها أول ما وقع على تشريفاتى بالقصر كان ملحقا بحاشيتها ..

وبدأت الاشاعات والحكايات تخرج من القصر ودوائر القصر الى الاندية والقصور ..

الملكة نازلى « ماشيه »مع «ح.التشريفاتى» ! الملكة نازلى أمضت ليلة أمس فى الزمالك فى شقة فلان صديق «ح» الذى كان موجودا .. الى آخره .. الى آخره !

لعل أحمد حسنين يغار ويغضب ويثور ، ويعاتبها وينتهى الامر بتسوية !

ولكن احمد حسنين عرف كيف يصبر ويسكت .. بل ويبتسم رثاء لها اذا ما قابلها فى احدى حفلات السراى !

وكان فاروق هو الذى غضب وثار ، وكان لسان حاله يقول : « لم يبق الا التشريفاتية وصغار الموظفين » ! تقرن أسماؤهم باسم أمه الملكة .. وتروى عنهم وعنها قصص الغزل والمرح والسهرات والشراب ! ؟

وقابل فاروق ذات صباح التشريفاتى المذكور «ح» فى احدى ردهات القصر ، فاستوقفه وصاح فيه :

ـ حضرتك عامل ايه فى حواجبك ؟.. ناتف شعرها زى الستات !.. وكمان يظهر انك بتحط بودرة واحمر؟

وأصدر أمرا ملكيا بنقل التشريفاتى الى احدى

وظائف وزارة الخارجية ..

وخشى الرجل عاقبة لهوه مع الملكة نازلى ، فانقطع عنها .. ولعل حظه الحسن هو الذى جر عليه غضب فاروق لأنه لم يلبث أن استقال من خدمة الحكومة ، واشتغل بالاعمال الحرة وأثرى وأصبح من كبار رجال الاعمال والشركات ..

ورأت الملكة نازلى ان ابنها فاروق يضيق عليها الخناق ، وان حسنين مصر على موقفه منها .. فهزت أكتافها مرة أخرى وسافرت الى أوروبا ..

***

ومرت شهور الصيف ومن بعده الخريف ، واقترب موعد سفرى الى أوروبا ، فقد كنت اعتدت أن أمضى فصل الشتاء فى سويسرا .. وقرأت فى الصحف ان جلالة الملكة نازلى تزمع العودة من رحلتها فى أوروبا الى مصر ، وانها تغادر ميناء مرسيليا فى يوم « كذا » فتصل الاسكندرية فى يوم « كيت » من شهر نوفمبر ..

وركبت أنا الباخرة من ميناء بورسعيد فى مساء ٧ نوفمبر .. وقدرت اننى سوف أصل الى مرسيليا فى نفس اليوم الذى تصل فيه الملكة نازلى الى الاسكندرية

ومن مرسيليا أخذت القطار الى باريس ، فوصلتها بعد منتصف الليل .. وذهبت الى الفندق الذى كنت اعتدت النزول فيه وهو فندق جورج سانك ، أو جورج الخامس ..

ورأيت علم مصر الاخضر يرفرف على الباب الرئيسى للفندق ، وعجبت .. ترى من يكون الزائر المصرى الكبير المقيم بالفندق والذى يرفع الفندق علم مصر تكريما له ؟

وسألت موظف الفندق ـ وأنا أسجل اسمى فى

الدفتر ــ فقال :

ــ جلالة ملـكة مصر !

اذن فالملـكة نازلى لا تزال فى باريس .. وصحف مصر كانت مخطئة فى نشر خبر عودتها ؟

كذلك لم أكن أعرف ان جلالتها تنزل فى فندق جورج الخامس لأنها سبق لها أن زارت باريس مع ابنها ، ثم وحدها وأقامت مرة بفندق ده كريون ، ومرة بفندق ريتز ، والمرة الثالثة والاخيرة بفندق بلاتزا اتنيه .. وها هى ذى فى فندق جورج الخامس ..

ولو عرفت .. لـكنت ذهبت الى فندق آخر، وذلك لأن العلاقات يومئذ بين فاروق والوفد كانت سـيئة للغاية .. وكنت وفديا ومجلتى « آخر ساعة » وفدية وكان فاروق غاضبا على ..

وكنت حريصا فى تلك الايام على أن أتحاشى القصر والذين فى القصر وكل أحد له علاقة بالقصر أو فاروق

وهأنذا أنزل فى نفس الفنـــدق الذى تقيم فيه أم فاروق وأفراد حاشيتها !

***

وفى مسـاء اليوم التالى ــ وكنت جالسا فى أحـد صالونات الفندق ــ دخل تشريفاتى الملكة نازلى محمود أسعد بك ومعه زوجته السيدة فتحية أبو اصبع ... ولحق بهما بعد قليل الاستاذ حسنى نجيب وزوجته السيدة نايلة سلطان ..

وتبادلنا التحية .. واذ نحن نتحدث أقبل من يعلن نزول جلالة الملـكة .. من جناحها الخاص ..

ووقف الجميع ودعونى للذهاب معهم لقضاء السهرة ولـكنى اعتـذرت من عدم الذهاب بحجة التعب .. وأسرعوا بالخروج ليلحقوا بجلالة الملـكة ولم أر وجه

الملـكة نازلى .. ولقد حرصت بعدئذ على عدم الجلوس فى صـــالونات حتى لا أقابلها أو أقابل أحدا من أفراد حاشيتها .. وكنت أغادر الفندق فى الصباح .. وأعود فى المساء الى غرفتى مباشرة ..

وهكذا أمضيت نحو أسبوعين فى باريس ، ثم سافرت الى زيوريخ فأقمت فيها بضعة أيام ومنها الى ســان موريتز ..

ووجدت فيها خطابا من مصطفى أمين ، وكان الخطاب محولا من فندق جورج الخامس ..

وفى الخطاب يقول مصطفى : ان النقراشى باشــا ـ رحمه الله ـ وكان يومئذ وزيرا للداخلية استدعاه الى مكتبه وقال له : ان التابعى فى باريس ويقيم فى فندق جورج الخامس الذى تقيم فيه جلالة الملـكة نازلى .. وانه ـ أى النقراشى باشا ـ يطلب منى أن لا أثير متاعب له ولنفسى .. ومن ثم يرجونى أن أغادر باريس على الفور ، أو على الاقل أترك فندق جورج الخامس .. الى فندق آخر ..

وهذه خلاصة الخطاب .. ويظهر ـ على الارجح ـ انه كان يوجد بين حاشية الملـكة نازلى من كان يرسل تقارير الى فاروق .. عن أمه الملـكة وماذا تفعل ومن تقابل ومع من تخرج .. الى آخره ..

وعرف فاروق اننى أقيم فى نفس الفندق .. ولعله خشى أن أعرف عن أمه وسيرتها فى باريس ما لايصح ان يعرفه أحد وخصوصـا وانا صحفى وفدى .. وكانت الخصومة ـ كما قدمت ـ على أشد ما تكون وقتئذ بين فاروق والوفد ..

خشى فاروق أن أطلع على أمور قد يستعملها الوفد فى دعايته ضـــده ، فطلب من النقراشى أن يعمل على

ابعادي عن باريس .. الى آخره ..

وهذا ما فهمته من خطاب الصديق مصطفى أمين ..

وعلى كل حال فقد كانت الاشاعات يومئذ فى مصر كثيرة .. ومنها مثلا ، اننى غادرت مصر الى أوروبا منفيا بأمر من الملك فاروق .. ومنها كذلك ، ان فاروق طلب من الوزارة تجريدى من الجنسية المصرية الى آخره .. الى آخره ..

ولما عدت الى مصر وسمعت بهذه الاشاعات كتبت عنها فى مجلة « آخر ساعة » وسخرت منها ومن الذين اختلقوها وأذاعوها ..

***

وكانت الملكة نازلى ــ كما عرفت وسمعت فى سويسرا ــ قد زارت « فيينا » و « بودابست » ..

وفى « بودابست » عرفت شابا جميلا هو ابن الاميرال هورتى الوصى يومئذ على عرش المجر .. وقد قتل بعد ذلك فى حادث طائرة فى روسيا عام ١٩٤٣ ..

وطابت لها الاقامة فى «بودابست» .. بعد أن وجدت فيها الرجل الذى يرضى أن يعاملها كامرأة من لحم ودم !

ثم غادرتها الى باريس .. حيث وجدتها .. ثم عادت جلالتها مرة أخرى الى بودابست ..

وأخيرا عادت الى مصر ولحق بها الشاب هورتى ، وجاء مصر ونزل فى فندق شبرد ..

وكانت حكايتها مكشوفة .. وأكثر من مكشوفة !

ومرة أخرى صاح فاروق : « الحقونى بحسنين » !..

وأصدر صاحب الجلالة أمره الملكى الى حسنين : « أن يشوف له طريقة مع جلالة الملكة نازلى .. ويضع حدا لحكايتها مع الشباب هورتى .. لأن الحكاية أصبحت فضيحة مكشوفة » ..

وصدع حسنين بالامر .. ونزولا على ارادة « مولانا » ذهب حسنين واسترضى الملكة نازلي وتصالح معها..

وبعد أيام من عقد الصلح أحس الشاب هورتى ابن الوصى على عرش المجر أن بقاءه في القاهرة أصبح أمرا غير مرغوب فيه من الملكة نازلي نفسها .. ومن سلطات مصر العليا .. فغادر مصر عائدا الى بلاده !

واجتمع «الشمل» وكثرت الحفلات والسهرات التى كان يقيمها أصدقاء الملكة نازلي أو أصدقاء حسنين.. لكى يجتمع فيها الحبيبان : نازلي ، وأحمد حسنين

وذات يوم ذهب الامير محمد على الى القصر يشكو لفاروق من تصرفات أمه الملكة نازلي وكيف أن سيرتها مع حسنين باشا أصبحت على كل لسان !

***

وقد ورث فاروق عن أبيه الملك أحمد فؤاد كرهه للأمير محمد على توفيق ونفوره منه ..

وكان أحمد فؤاد يعمل دائما على مضايقة ابن أخيه الامير محمد على .. وكان محمد على يلجأ الى «المندوب السامى البريطانى» فى مصر أو الى السلطات البريطانية العليا فى لندن لكى تأخذ له حقوقه من عمه الملك أحمد فؤاد .. ولكى توقفه عند حده وتأمره بالكف عن مضايقة صديقها الامير محمد على توفيق ..

روى المرحوم عبد العظيم راشد باشا وزير الاشغال الاسبق فى مذكراته « التى لم تطبع ولم تنشر » ــ روى فى مذكراته ــ ان اللورد لويد المندوب السامى البريطانى قال له : انه ذهب مرة وقابل الملك فؤاد ووبخه بسبب بعض تصرفاته مع الامير محمد على ، وان الملك فؤاد بكى ساعتئذ بكاء شديدا ، ثم قال لورد لويد :

ــ وماذا أستطيع أن أفعل مع ملك يبكي كلما وبخته وذكرته بواجباته كملك ؟ !

***

كان الملك فؤاد يكره ابن أخيه محمد على توفيق ، وقد ورث فاروق عنه هذه الـكراهية ..

وكان الامير محمد على توفيق لا يكف عن انتقاد أسرة عمه الملك فؤاد أفرادا وجمـــــاعات ، وكان يشهر بها وبتصرفاتها فى مجالس الأسرة ..

وكان فاروق يعرف هذا ..

حدث مرة أن أقيمت مأدبة كبيرة فى قصر عابدين وحضرها الامير محمد على توفيق وكان جالسا الى يمين الملك فاروق ، وأبدى « سموه الملـكى » اعجابه بنقوش وزينة سقف قاعة الطعام ..

وهنـــا التفت اليه فاروق وقال وهو يغمز بعينـــه للحاضرين من كبار رجال القصر :

ــ الحمد لله اللى وجدت عندنا حاجه تعجبك !

وفهم الامير غمزة الملك .. وابتسم الحاضرون ..

***

وسمع الامير محمد على توفيق بالحكايات التى تروى عن الملـكة نازلى وعلاقتها بحسنين باشا ..

وكان طبيعيا أن ينتهز هـــذه الفرصة لـكى يشهر ويندد بتصرفات عائلة احمد فؤاد ..

وذهب « ســـموه الملـكى » وقابل رئيس الديوان «رفعة» على ماهر باشا وقال له ان سمعة الملـكة نازلى « زفت » بسبب علاقتها بحسنين .. وطلب من السيد على ماهر ابعاد أحمد حسنين عن السراى ..

ولـكن على ماهر « باشا » كان أحرص وأذكى من أن يقحم نفسه فى مسألة شائكة كهذه ، ومن هنا لم يجد

الامير محمد على بدا من أن يذهب ويقابل الملك فاروق نفسه ويشكو اليه أمه الملكة وكيف ان الناس تقول انها أصبحت عشيقة أمينه الاول أحمد محمد حسنين ! ؟

وقال فاروق :

ــ أنا سمعت الاشاعة .. وحققت فيها بنفسى وتأكدت انها غير صحيحة ..

ولكن الامير محمد على أصر على الاتهام ، وقال :

ــ أنا واثق ان بين حسنين والملكة نازلى علاقات غير شريفة ..

***

وسمع حسنين ــ رحمه الله ــ بهذه المقابلة وبالحديث الذى دار فيها ، فأرسل الى الامير محمد على يقول له :

ــ أنا آسف اذ أرانى مضطرا لأن أنسى انى موظف فى السراى وانك ولى العهد ، ولهذا ، فانى أدعوك للمبارزة كما يفعل أى رجل وأترك لك حرية اختيار السلاح وشهودك ..

ولم يكد الامير محمد على يتلقى رسالة حسنين حتى فزع واستنجد بالامير عمر طوسن ..

واتصل الامير عمر طوسن بحسنين باشا ، وسأله كيف يجوز للأمين الاول لجلالة الملك أن يبارز ابن عمه وولى عهده ؟

وقال حسنين : ان هذا الامر ليست له حقيقة سابقة فى « البرتوكول » .. ولكن لم يسبق كذلك لولى عهد اى بلد أن قال كلاما كاذبا فى حق رجل آخر دون أن يتحمل مسئوليته ..

ثم قال حسنين : انه رغبة فى عدم احراج أى أحد ، فقد رفع الى جلالة الملك الخطاب الآتى :

« لما كان ولى عهدك قد أهاننى ، ولما كنت لا أقبل

هذه الاهانة ، ولما كان وجودى فى خدمتك يقيدنى ، فاننى أقدم استقالتى من منصبى لكى أستطيع أن أعامل ولى العهد معاملة رجل حر لرجل حر » ..

وهنا قال الامير عمر طوسن :

ــ لكن ولى العهد يرفض المبارزة ..

وأجابه حسنين :

ــ فى هذه الحالة سوف أنتهز فرصة وجوده فى نادى محمد على وألطمه على وجهه وأعتبر الحادث منتهيا !

***

واتصل الامير عمر طوسن بالملك فاروق ورجاه أن يتوسط فى الامر ، ولكن فاروق أجابه بأن حسنين قد استقال من منصبه ولم يعد فى خدمته !

وكان فاروق يضحك ويريد أن يسخر من ابن عمه محمد على توفيق ، ثم يرى الى أى مدى سوف يدفعه جبنه وخوفه !

وعندئذ اتصل عمر طوسن بالامير محمد على ، وقال له : ان حسنين مصمم على مبارزتك ، وهو قد استقال من منصبه فى السراى ولم يعد فى خدمة الملك .. ولقد وسطت الملك ، ولكنه اعتذر من عدم الوساطة لهذا السبب ..

وهنا ركب الامير محمد على سيارته وقصد الى دار حسنين باشا وكان ــ رحمه الله ــ يسكن وقتئذ فى مصر الجديدة ..

ودخل سموه على حسنين باشا يقول انه جاء لكى يقدم اعتذاره .. وقال حسنين : أن هذا لايكفى !.. ويجب أن يذهب سموه ويقدم اعتذاره لجلالة الملكة نازلى ..

وخرج الامير محمد على وذهب بسيارته الى قصر

القبة واستقبلته احدى الوصيفات .. وقدم اعتذاره . ورجا من الوصيفة أن تبلغ اعتذاره هذا لجلالة الملكة نازلى مع التماسه مقابلتها ..

وعادت الوصيفة تقول : ان جلالة الملكة ترفض مقابلته !

وازداد الامير محمد على رعبا وخوفا فعاد وزار حسنين مرة أخرى ، وسأله أن يتوسط لدى الملكة نازلى لكى ترضى بمقابلته ولكنها أصرت على الرفض ..

***

ثم حدث بعد ذلك أن تقابل مع الملكة نازلى عند الاميرة نعمت مختار ، وانتهزت نازلى الفرصة لكى تهزأ منه ، فقالت له :

ــ ان حسنين باشا ليس عشيقى ــ كما تقول ــ لا لانني لا أريد أن أكون عشيقة له ، بل لأنه هو يرفض ان يكون عشيقا لى !

وراح صاحب السمو الملكى يعتذر، ويعتذر وينحنى امام الملكة نازلى ويردد عبارات الأسف والندم والاعتذار !

وكان من نتائج هذا الدرس الذى أعطاه اياه حسنين باشا أن مكث الامير محمد على ستة أشهر لا يفتح فمه بكلمة واحدة عن السراى وما يجرى فى السراى ، بل عن اى شخص كبير ، أو صغير فى السراى !

كذلك كان ــ رحمه الله ــ كلما سمع حكاية أو كلمة تروى أو تقال فى نادى محمد على عن حسنين باشا ، اسرع يبلغه اياها وكيف ان الوزير فلان يقول عنك ــ اى عن حسنين ــ كذا .. وكذا .. وكيف ان النبيل علان يقول كيت .. وكيت !

وذات يوم ذهب الامير محمد على وزار حسنين باشا

وقال له :
ـ لقد انتهزت فرصة مقابلتى أمس لجلالة الملك ، وقلت له انك أشرف رجل فى مصر ، وان وجودك فى السراى نعمة من الله !
وقال حسنين :
ـ كتر خير أفندينا !.. لقد خربت بيتى !
وانزعج أفندينا محمد على ، وقال :
ـ كيف خربت بيتك .. وأنا مدحت فيك ؟
قال حسنين :
ـ هذا بالضبط ما لا أريده .. لأن مدحك يضرنى ويؤذينى !
وسأله الامير فى لهفة ماذا يفعل الآن لكى يصلح خطأه ؟..
وقال له حسنين :
ـ اذهب الى الملك ، وقل له انك اكتشفت اننى رجل خائن ويجب التخلص منى وطردى من السراى !..
واستعاذ الامير محمد على بالله من الشيطان الرجيم وقال انه لا يستطيع أن يقول هذا ..
ولكن حسنين قال :
ـ اذا أردت حقيقة أن تنفعنى وتصلح خطأك ، فاذهب للملك وقل له هذا ..

***

وعاد الامير وطلب مقابلة فاروق .. وقال له :
ـ لقد قلت لجلالتكم فى مقابلتى الاخيرة ان حسنين مخلص ، ولكن جاءتنى بعد ذلك معلومات أكيدة تثبت انه خائن وغير مخلص ..
وكان فاروق يستمع اليه وهو يكتم ضحكة بصعوبة لأن حسنين كان أطلعه أولا بأول على كل ما دار بينه

وبين ولى العهد الامير محمد على توفيق ! ..

وخرج محمد على توفيق من مقابلة الملك ، وذهب الى حسنين ، وقال له :

ـ لقد فعلت كل ما طلبته مني ..

ثم سكت قليلا قبل أن يقول :

ـ ولـكنى لا أفهمك .. عندما أشتمك تدعونى الى المبارزة .. وعندما أمدحك تقول انى خربت بيتك ..؟ قل لى : ماذا تريد ؟..

***

وجلس حسنين ـ رحمه الله ـ يروى هذه التفاصيل فى يوم الاثنين ١٨ ابريل عام ١٩٤٠ ، ويعود بنا وبالذاكرة الى حوادث عامى ١٩٣٧ و ١٩٣٨ ، ثم قال :

ـ ولم أجب طبعا على سؤال الامير محمد على وهو ماذا أريد .. ولم أقل له ان كل ما كنت أريده هو أن أسخر منه واكشفه امام الملك ، وامـام امراء الاسرة ، وكيف انه رجل لا أخلاق ولا قيمة له مطلقا وان «كلمة توديه .. وكلمة تجيبه » ..

ومع ان الامراء كانوا جميعا يكرهون الامير محمد على توفيق بسبب بخله الشديد وتزمته واستعلائه عليهم ، الا ان الامير عمر طوسن انتهز مع ذلك أول فرصة ، تقابل فيها مع حسنين باشا ، ليقول له : ان الامراء زعلانين منه ـ أى من حسنين ـ اذ كيف يجرؤ مصرى على أن يطلب أميرا ووليا للعهد للمبارزة ؟ !

أما فاروق فانه لم يذكر لحسنين شيئا عن غضب وزعل الامراء منه ..

وكان كل ما قاله له :

ـ ألا تعرف ياحسنين ان القانون يحمي ولى العهد وأن ذاته مصونة لا تمس ؟..

وأجاب حسنين :

ــ أعرف هذا يامولانا .. ولكن عندما يشتم ولى العهد الناس ، فانه بذلك يتنازل عن مركزه وحصانته ويصبح من حقى أن أرد عليه شتائمه ، وأن أعامله كأى فرد مساو لى فى الحقوق !

***

والآن ، وقد لخصنا فى الفصول السابقة قصة الملكة نازلى ، وأحمد محمد حسنين خلال السنوات الثلاث التى تلت وفاة الملك أحمد فؤاد .. وعرضنا للحوادث والمناورات والتمثيليات التى تخللت فصول القصة ..

والآن ، نصل بالقراء الى أوائل عام ١٩٤٠ ، وكان الموقف كما يأتى :

عرف الناس أن هناك شيئا ما ، أو علاقة ما ، بين ملكة مصر نازلي وبين احمد حسنين باشا ، واصبحت هذه العلاقة موضوع حديث فى النوادي والمجتمعات ، والسهرات ..

أما الخاصة ــ دوائر القصر ، وأوساط الأسرة المالكة ــ فكانت تعرف أن نازلى هى التى تحب حسنين و « تجرى وراه » وتعرض نفسها عليه وتطلبه زوجا لها وتقدم له مئات الافدنة من أراضيها هدية خالصة وانه يرفض ويعرض عنها ويتأبى عليها ويستغفر الله ، ويعلن انه رجل يكره الحرام ويخاف الله ولا يمكنه أن يقرب امرأة الا على شرع الله وسنة الرسول !

وان الملكة نازلى ثارت وهددت .. ثم حاولت ان تثير الغيرة فى صدر حسنين ، ولكنه لم يأبه ولم يتحرك وان الملك فاروق كان يفزع الى حسنين ويطلب منه النجدة فى كل مرة يخشى فيها أن تخرج أمه الملكة على العرف المألوف ومقامها السامى كأرملة ملك وأم ملك

وان حسنين يلبى نداء الملك ويسرع الى نازلى ويفلح فى تهدئتها وكبح جماح أعصابها الثائرة ..

وان نازلى صارحت صاحب السمو الامير محمد على ولي العهد بأنها عرضت نفسها عشيقة على حسنين ، وان حسنين رفض ..

وان الامير محمد على آمن بنبل وشرف حسنين وان وجوده فى خدمة الملك وفى السراى نعمة من الله ..

وان فاروق نفسه حاول أن يجد شيئا ضد حسنين .. كأن يضبطه مثلا فى موقف مريب مع أمه نازلى فلم يوفق بل على العكس ..

فقد وجدهما فى خلوة وراء باب مغلق فى دار حسنين

ولكن !.. كان حسنين يتلو القرآن الكريم من مصحف بين يديه ، بينما كانت نازلى جالسة أمامه فى خشوع تصغى لآيات الذكر الحكيم ! ؟ وهكذا بدا حسنين أمام الملك وولى العهد وأمراء وأميرات البيت المالك كرجل شريف أبى النفس مخلص لمولاه والبيت المالك ؛ حريص على سمعة البيت وكرامة الملك ..

وانه .. أهل للثقة .. ولولاه ولولا نفوذه على الملكة نازلى لكانت نازلى هذه قد خرجت على العرف والتقاليد وأثارت فضائح لا حد لها ..

كان هذا رأى الجميع ما عدا قلة لا تذكر ، ومن بينها مراد محسن باشا ناظر الخاصة الذى كان ينافس حسنين على نفوذه فى القصر ويغار منه ويتهمه بأنه ممثل قدير ، وانه يلعب دوره مع الملكة نازلى بمهارة يحسده عليها يوسف وهبى !

والملك فاروق ؟ ! بماذا كان يشعر نحو أمينه الاول ورائده احمد حسنين ؟..

قلت انه كان يلجأ الى حسنين فى كل مرة تثور فيها

نازلي وينادي : « الحقوني بحسنين » ! وقلت انه لم يجد ما يأخذه على حسنين ..

ولكن ما من شك فى انه بدأ ــ منذ ذلك التاريخ ــ يكره حسنين ! كان يكفى أن يسمع من فم أمه نفسها انها تحب حسنين وتريده .. وان حسنين يعرض عنها !

كان يكفى فاروق أن يسمع من أمه هذا الكلام لكى يكره هذا الرجل الذى تريده أمه والذى « تمرمط » من أجله كرامتها وسمعتها .. حتى ولو كان موقف هذا الرجل لا غبار عليه ..

من يومها بدأ فاروق يكره حسنين ..

يكرهه ويخشاه فى وقت واحد ..

يكرهه للسبب الذى ذكرته ..

ويخشاه لانه محتاج اليه .. لانه الرجل الوحيد القادر على كبح جماح أمه الملكة نازلى .. والرجل الوحيد الذى كانت تخشاه نازلى وتطيعه وتصدع بأمره ، وكان فاروق لايزال يومئذ حريصا على سمعة أمه وسمعة القصر وسمعة البيت المالك .. بل وسمعة مصر !..

وكان حسنين وحده ــ هكذا كان فاروق يؤمن ــ كان حسنين وحده وبيده القوية المسكة بزمام نازلى وأعصابها ، القادر على انقاذ هذه السمعات جميعا !

ومن هنا ، وبسبب هذا الخوف كان فاروق يعمل لحسنين حسابا .. وينزل الى حد كبير على رأيه ومشورته ويحرص على الا يفعل شيئا لايرضى عنه حسنين .. وان فعل أوصى من حوله أن يكتموا الأمر عن حسنين !..

واذا سمع حسنين بما حدث أسرع اليه فاروق يعتذر ويعد بألا يعود مرة أخرى الى ما فعل !

وهكذا يمكن للمؤرخ الساخر أن يزعم ــ وهو على

حق ـ ان علاقة نازلي بحسنين وسيطرته عليها ونتيجة هذا وهي خوف فاروق من أمينه الاول ـ كان هذا كله نعمة « على مصر » نعمة لأجـــل محدود !.. اذ انها أخرت انفجار الفضائح وانفجار فاروق بضع سنوات..

ولقد توفى حسنين فى ٩ فبراير عام ١٩٤٦ ، وقبـل وفاة حسنين ، وقبل فبراير عام ١٩٤٦ ، لم يكن فاروق يغشي أندية القمار ويمضى سهراته حتى مطلع الفجر فى أندية الميسر ولم يكن يزور الراقصات فى دورهن ..

ولم يكن قد تمادى فى السرقة والاختلاس من أموال الدولة ..

ولم يكن يهرب أمواله الى الخارج .. ولم يكن قد تمادى فى الاعتداء على الاعراض وانتهـاك الحرمات ، والعبث بكل مقدسات البلاد ..

ولم يكن اسم مصر قد أمسى فى الحضيض ..

ولم تكن صحف العالم ـ وصحف أمريكا بوجه خاص ـ قد نشرت تقول ان رجال الاعمـال أصبحوا ينفرون من ممارسة أى نشاط تجارى أو صناعى فى مصر ، لأن جميع من فى مصر من أكبر عظيم فيها فما دون ذلك ، يطلبون « العمولة أو البقشيش » ! نعم .. شىء من هذا لم يكن قد حدث قبل وفاة حسنين ، لأن حسنين ـ رحمه الله ـ كان « الفرملة » الوحيدة القادرة على وقف فاروق ..

وبعد وفاته انطلق فاروق !.. أما قبل وفاته فقد كان كل ما يفعله فاروق هو التردد على بعض المطاعم فى شارع الهرم والحلمية حيث الرقص والموسيقى .. ومع ذلك فانه لم ينج من تقريع حسـنين . وقد اضطر فاروق أن يوعز الى أحد أفراد حاشيته أو خاصته أن يضع كتابا ـ يطبعه وينشره ـ ويقول فيه : « مولانا

جلالة الملك فاروق » ليس الملك الوحيد الذى يزور المطاعم العامة لأن ملك يوغوسلافيا ، وملك اليونان ، يترددان فى معظم سهرات الاسبوع على مطعم الاوبرج بشارع الاهرام .. وكان الملكان المذكوران يقيمان يومئذ فى القاهرة بعد فرارهما من بلديهما اثر احتلال الألمان ليوغوسلافيا واليونان ..

وقال لى زميل ـ كان متصلا يومئذ بالقصر ورجاله ـ ان فاروق كان يريد أن يطلق زوجته « الملكة فريدة » منذ عام ١٩٤٢ ، لولا معارضة حسنين ، وانه ـ أى فاروق ـ هم أكثر من مرة بطلاق فريدة ، ولكن حسنين وقف أمامه يعارض ويبصره بالنتائج الوخيمة التى تنجم عن هذا الطلاق ..

ولكنه طلقها بعد وفاة حسنين !

واذهب الى أبعد من هذا فأقول انه لو كان حسنين قد امتد به الاجل وعاش لما سافرت الملكة نازلى وبناتها الى أوروبا وامريكا لتثير من المشاكل والفضائح ما زلزل قوائم العرش وهى لم تسافر الا لأنها لم تعد تطيق الحياة فى مصر بعد وفاة حسنين !

ولما وقعت المخازى التى جعلت اسم مصر سبة فى الأفواه ومنها مثلا ما ارتكب من جنايات فى حق الوطن وحق الجيش ابان حرب فلسطين .. ولكن حسنين لم يعش وكأنما موته كان دقة الناقوس التى أنذرت بقرب هبوب العاصفة على العرش وأسرة محمد على !

حقائق سريعة موجزة مركزة ، فيها الرد على الذين زعموا أو يزعمون ان حسنين كان المسئول عن فسق وفجور فاروق .. وانه كان عامل الانحلال والفساد فى حكم فاروق .. وأنا هنا ـ فى هذه الفصول ـ أقول ما للرجل وما عليه ، ومع ذلك فأنا اعرف اننى قد

اغضبت أصدقاء حسنين .. وأغضبت خصوم حسنين ! اغضبت هؤلاء لأننى انصفت الحقيـــقة ولم أهتف مع الهاتفين بأن حسنين كان بطلا وشهيدا وقديسا مبرأ من كل عيب !

واغضبت اولئك لأنني فنــدت اتهامهم ، وهو ان حسنين كان المسئول الاول عن فساد فاروق ! ولأننى قلت ان حسنين كان مرشدا وهاديا وقائدا ، لا قوادا لفاروق !

***

ونصل الآن الى اوائل عام ١٩٤٠ ..

وفى العام المذكور عرف حسنين المطربة اسمهان ، واعجب بها ـ كما قالت هي ـ وكما أحس أصدقاؤه ، أو أعجب بصوتها فقط ـ كما قال هو ـ !

وكانت أسمهان ـ يوم عرفها حسنين ـ تقيم بفندق مينا هاوس .. وكان حسنين يزورها فى الفندق المذكور وكان اذا لم يجدها يترك لها رسالة بخطه .. وعرف نزلاء الفندق والموظفون ان كبير رجال حاشـــية الملك فاروق يتردد على المطربة الشابة ، وكان طبيعيا أن يخرج هذا الخبر من فندق مينا هاوس وينتشر هنا وهناك ، الى أن يصل الى القصر والذين فيه ! ودهش الذين يعرفون حسنين ويعرفون مبلغ حذره وحرصه ولكنهم .. دهشوا لقلة احتياطه ولعدم مبالاته أن يعرف الناس أن له علاقة بالمطربة اسمهان .. وذات مساء ـ وكان حسنين رحمه الله ـ جالســا فى غرفة مكتبه بقصر عابدين ـ انطلق صــوت اسمهان باحدى أغنيـــاتها المعروفة !

وروى لى حسنين نفسه التفاصيل فقال : وظننت ان أحد أجهزة الراديو العديدة فى السراى هى مصــدر

الصوت وانها تنقله من محطة الاذاعة.. وانتهت الاغنية وأعقبتها اغنية أخرى لاسمهان .. ثم أغنية ثالثة .. عجبت وقلت : ترى هل تذيع محطة الاذاعة هذه الليلة برنامجا خاصا لاسمهان ! ؟ ولكن عندما انطلق صوت اسمهان بأغنية رابعة وخامسة ، شككت فى الامر وقمت من أمام المكتب ومشيت الى النافذة وأطللت منها ، فرأيت « جلالة الملك » واقفا وأمامه على مائدة صغيرة جهاز فونوغراف ، والى جانبه احد خدم القصر يحمل بضع اسطوانات .. ورفع الملك رأسه ورآنى وقهقه ضاحكا وصاح :

ــ مبسوط يا حسنين ؟

***

وأدرك حسنين ان حكايته مع اسمهان أو اعجابه بصوتها ــ كما كان يقول ــ لابد أن تكون قد وصلت الى مسامع الملكة نازلى ..

فهل جزع أو اهتم ؟ كلا ! بل استمر فى اعجابه وفى تردده على اسمهان ..

وليس لهذا التصرف من جانبه سوى تفسير واحد وهو انه كان يتعمد اثارة غيرة الملكة نازلى .. جريا على سياسته معها وهى اثارتها واثارة غيرتها ووجدها والتياعها اليه من وقت الى آخر ، والا ــ وكان رحمه الله يعرف طبيعة الملكة نازلى حق المعرفة ــ فان نار الشوق التى فى صدرها لا تلبث أن تهدأ ثم تبرد وتجمد وتموت !

ولم يكن موت هذه النار من برنامج سياسته !

وذات يوم جاءتنى اسمهان تشكو وتقول :

ــ ايه حكاية صاحبك ده ؟

قلت :

ـ صاحبى مين ؟
قالت :
ـ صاحبك اللى اسمه حسنين !
ضحكت أنا .. وقلت :
ـ دلوقتى بقى اسمه «صاحبى اللى اسمه حسنين» !
وعمل ايه صاحبى اللى اسمه حسنين ؟ !
قالت :
ـ كلمنى اليوم بالتليفون ومن غير بونجور أو سعيدة او سلامات قال : « قولى لى يا مدام اطرش .. هل صحيح اننى أزورك فى بيتك ؟ » وقبل أن أستطيع الرد أو سؤاله عن ايه الحكاية .. عاد يسألنى :
ـ وهل صحيح انك بتزورينى فى بيتى ؟ !
وقبل أن أرد مضى يجيب هو على نفسه ويقول :
ـ مش كده .. لا أنا ازورك .. ولا انت تزورينى ! الحمد لله .. متشكر يامدام اطرش !.. وأنهى المحادثة واقفل التليفون !
وضحكت أنا طويلا وقلت لها :
ـ ولم تفهمى ايه الحكاية ؟
قالت :
ـ لا .. لم أفهم ؟
قلت :
ـ حسنين كان يكلمك ، والى جانبه شخص آخر ، لابد انه كان يحقق معه فى علاقتك به .. ولقد أراد حسنين أن يبرىء نفسه من هذه التهمة ، فطلبك فى التليفون ووجه اليك الاسئلة وتولى هو الاجابة عليها ولكن بطريقة يفهم منها الشخص المذكور انها اجابتك انت ..
وصاحت اسمهان غاضبة :

ــ تهمة !.. معرفتي تهمة ؟..

وانطلقت ــ رحمها الله ــ تسب وتشتم .. ثم كأنها تذكرت شيئا كانت نسيته .. فسألتني :

ــ ومن يكون هذا الشخص الذى يحقق مع حسنين؟

قلت :

ــ الملكة نازلى ..

وزال فى الحال غضب اسمهان ، وابتسمت غبطة وسرورا !.. فقد أرضى كبرياءها أن تكون غريمتها التى تغار منها صاحبة الجلالة الملكة نازلى ..

واضطر حسنين بعدئذ أن يقتصد فى اعجابه بأسمهان وأن يكف عن زيارتها فى دارها واستقبالها فى داره ..

وقابلت اسمهان هذا الفتور من جانب حسنين بعدم المبالاة ، أو على الاقل تظاهرت بعدم المبالاة ومع ذلك فقد كان لا يمر شهر دون أن يتحدث الاثنان معا بالتليفون .. وكان هذا الحديث بالتليفون يطول ساعات

كان يسمع لها مثلا أغنية جديدة من الاذاعة فيطلبها فى دارها بالتليفون ويبدى اعجابه بالاغنية .. أو يشرح لها ما فى الاغنية من قوة أو ضعف .. ويقترح عليها كذا وكيت .. وقال لها ذات مرة : ان صوتها هو أصلح صوت لغناء قصائد المرحوم الشيخ على محمود ، بل انها تغنى قصيدة : « يا نسيم الصبا تحمل سلامى » خيرا مما يغنيها الشيخ على محمود نفسه !

وكانت اسمهان تلقاه مثلا فى حفلة ساهرة تغنى فيها ويكون هو من بين المدعوين اليها .. ثم تلاحظ انه غادر الحفلة قبل نهايتها .. فتعود الى مسكنها وتطلبه بالتليفون لتعاتبه وتسأله : هل صوتها لم يعد يعجبه ؟ والا فلماذا غادر الحفلة قبل أن يسمع الوصلة الاخيرة ؟

وهكذا .. ولكنهما كفا عن تبادل الزيارات .. ومع

ذلك فان الملكة نازلي لم تكن مطمئنة تماما الى وفاء حسنين .. ولم تكن غيرتها وشكوكها تهدأ يوما الا لتثور أياما ، وذلك لأن حسنين لم يكن «أولا» حريصا على اطمئنان الملكة نازلي وثقتها في وفائه ، بل العكس هو الصحيح ، أي انه كان حريصا على أن يثير دائما غيرتها عليه وشكها في اخلاصه ووفائه .. ولأنه «ثانيا» كان يجتاز مرحلة السن الحرجة التي يمر بها كل رجل وامرأة . وكان - رحمه الله - يومئذ في الخمسين من عمره

وكان حسنين طوال عمره موضع اعجاب النساء ؛ فقد كان فيه كل ما يعجب المرأة .. كان ممشوق القامة ، حلو الحديث ، حسن الهندام ، جذابا ، مؤدبا .. اذا أقبل على سيدة يتحدث معها خيل اليها ان حسنين لايرى سواها ولا يهتم بسواها .. وكان الى جانب هذا رياضيا ممتازا وبطلا مبرزا من أبطال السيف ، ورحالة مشهورا جاب مجاهل الصحراء وجابه أخطارها ، واكتشف واحة أو واحتين ودوى نبأ اكتشافاته في جوانب العالم ، وكرمته الدول والهيئات العلمية العالمية .. ونال من الاوسمة والنياشين الاجنبية ما لم ينل مصري في مثل سنه ..

وكانت ثقافته واسعة متعددة الالوان .. كان يستطيع أن يتحدث بسهولة وانطلاق - مثلا - في الشعر العربي القديم ، والشعر العربي الحديث ، وفي المسرح ، والفرق بين المدرسة الانجليزية في التمثيل ، والمدرسة الفرنسية وفي الصيد والقنص ، وفي الطيران ، وكان يتحدث في « الموضة » وتطوراتها ، وكان يمكنه أن يناقش - وعلى قدم المساواة - أية سيدة خبيرة في الازياء !

لم يكن عجيبا اذن أن تقبل عليه السيدات ، وأن يلقى عندهن من الحظوة والقبول ما لايلقاه كثير من الرجال !

وقد قالت عنه ابنــة رامزى ماكدونالد زعيم حزب العمال السابق ، ورئيس أول وزارة بريطانية للعمال ، قالت عن حسنين انه أجمل رجل قابلته فى حياتها ..

وقالت عنه الرحالة الانجليزية روزويتا فوربس : انه ساحر خطر مخيف !

كان يمكنه اذن ، وبحكم منصبه الرفيع ، وبفضــل الاوساط والبيئات التى يتحرك فيها .. كان يمكنه أن يختار أى عدد يشاء من الصداقات والصديقات من بين من نسميهن « سيدات الطبقة الراقية » ولكن حســنين كان « ذواقة » وكان ذوقه شعبيا أصيلا !

كان يجد راحة ومتعة ما بعــدهما راحة ومتعة فى الجلوس ــ فى غير كلفة ــ مع بنات الشعب من الراقصات والمغنيات !

وكان حديثه ممتعا حقا وهو يشرح لون الجمال أو « الحلاوة » فى كل منهن !..

ما أجمل المطربة لـ ... مثلا ما أجملها لو لبست « الملاية اللف وعقصت منديل الظرافة على جبينها فوق الحاجبين » .. ودقات « شبشبها » مع رنة الخلخال !

ويحاولَ ــ رحمه الله ــ أن يقنع المطربة المذكورةَ ، بلبس « الملاية اللف » ومن تحتها القميص « التوللى » !

وهكذا .. دخلت اسمهان ، ثم خرجت من حياته ولو الى حين !

ودخل معها فى نفس الوقت عدد عديد من المغنيــات والراقصات ..

وأمسى رجال القصر والحاشية يتندرون «بغزوات» حسنين .. مع الراقصة فلانة .. أو المطربة علانة ..

ووجد فاروق فى هذه القصص مادة يتشفى بها من أمــه الملكة نازلى التى جحدت ذكرى ابيه الملك احمـــد

فؤاد .. وفرطت فى واجبات مقامها السامى بصفتها أم ملك مصر ..

مضى فاروق يتشفى ـ ولم يدر انه يخدم مصلحة حسنين بنقل هذه الاخبار الى أمه الملكة نازلى ..

وأخيرا .. فاضت كأس الصبر ، وحزمت الملكة نازلى حقائبها وسافرت غاضبة ثائرة الى فلسطين ..

ولم يكن فى وسعها ـ والحرب العالمية الثانية قائمة ـ أن تسافر الى أوروبا ..

سافرت اذن الى فلسطين واقامت فى القدس بفندق الملك داود .. وكان هذا فى أواخر عام ١٩٤٢ ..

وطالت غيبتها عن مصر .. وبدأت الاخبار ترد على القصر ، وكيف ان صاحبة الجلالة نازلى ملكة مصر أمضت السهرة فى رقص متواصل مع بعض الضباط الانجليز ..!

وكنا ـ كما قلت ـ فى زمن الحرب .. وكانت القدس مملوءة بالضباط الشبان الانجليز !..

ومرة أخرى لجأ فاروق الى حسنين وطلب منه أن ينقذ الموقف وأن يسافر الى القدس ويعود ومعه الملكة نازلى ..

ولكن حسنين رفض هذه المرة ان يلبى نداء « مولاه » وينقذ الموقف . واعتذر من عدم السفر بأسباب شتى لم يكن من بينها السبب الصحيح ..

وكان السبب الصحيح لامتناعه عن السفر الى القدس هو خوفه من أن يقابل اسمهان فى فندق الملك داود ، فان اسمهان كانت قد عادت الى زوجها حسن الاطرش أمير جبل الدروز وعقد قران الاثنين فى شهر أغسطس عام ١٩٤١ فى حفلة كبيرة أقيمت فى دمشق وشهدها الجنرال كاترو ..

وكانت اسمهان تضيق بالحياة مع زوجها.. وبالحياة فى جبل الدروز .. ومن ثم كانت تقوم برحلات عديدة فى كل شهر تقريبا الى القدس وبيروت .. وخصوصا القدس وكانت تختار الاقامة بفندق الملك داود ..

وكان حسنين يعرف هذا .. ومن هنا اعتذر من عدم السفر الي القدس.. والا فماذا يكون الموقف ، أو ماذا يكون موقفه وماذا يفعل اذا التقى بأسمهان ؟.. هل يتجاهلها ؟.. أو يحييها كما يجب أن يحيى الصديق صديقه ؟ !

وماذا يكون موقفه اذا وجد نفسه فى احدى قاعات الفندق .. او فى قاعة الرقص مع نازلى ملكة مصر .. واسمهان اميرة جبل الدروز ؟

وكانت اسمهان اذا دار الشراب برأسها قادرة على عمل كل شيء .. جسورة جريئة لا تهاب أحدا ولا تبالى بشيء ..

وكان حسنين يعرف هذا .. ومن هنا رفض أن يسافر لأنه خاف من أن تنتهز اسمهان فرصة وجوده ووجود الملكة نازلى لكى تفتح « محضر تحقيق » مع نازلى .. تحقق فيه معها فى موضوع «محضرالتحقيق» الذى كانت جلالتها اجرته بشأنها مع حسنين .. !

وتظهر الحقيقة ويقع حسنين بين مطرقة الملكة نازلى وسندان اسمهان !

وهكذا .. اعتذر حسنين من عدم السفر .. ولكنه اقترح على الملك فاروق أن يعهد بهذه المهمة الى «رفعة» رئيس الوزراء مصطفى النحاس « باشا » وقال : ان رفعته هو خير من يصلح للقيام بهذه المهمة لأن جلالة الملكة نازلى وفدية « هكذا ! » مثل المرحوم والدها عبد الرحيم صبرى باشا الذى كان من أخلص الوفديين

وأصدقهم تأييدا للزعيم سعد زغلول .. ولأنها تحترم النحاس « باشا » وتكن له صداقة أكيدة .. ومن هنا لن ترفض لرفعته طلبا أو مشورة ..

وفوتح مصطفى النحاس « باشا » فى الامر .. وسر « رفعته » سرورا كبيرا وقال : انه يعد هذا التكليف من جانب « الفـــاروق » شرفا وثقة يعتز بهما مدى الحياة !

وسافر السيد مصطفى النحاس ومعه السيدة حرمه الى القدس .. ونجح فى مهمته ، واستجابت الملـكة نازلى فعلا لرجائه ، وعادت الى مصر ..

عادت ، ولـكن على شرط .. ولا أعرف ما اذا كانت نازلى قد فاتحت النحاس «باشا» فى موضوع «شرطها» هذا أو لم تفاتحه .. ولـكني أعرف انها لم تكد تعود الى مصر حتى فاتحت ابنها الملك فاروق فى أمر زواجها برئيس ديوانه أحمد محمد حسنين .. وطلبت منه أن يصدر أمره الى حسنين بأن يتزوجها !.. لأن حسنين ـ كما سبق أن قدمت ـ كان صارحها بأنه لا يمكن أن يتزوجها خوفا من أن يطرده الملك من خدمته وهو رجل فقير .. الى آخره ..

ولـكن اذا أمره الملك أن يتزوجها فلا خوف عليه اذن من الطرد .. وهل يطرد فاروق زوج أمه ؟ !

ولم يشأ فاروق أن يتقهقر أمام أمه نازلى أو يسلم لها بطلبها دون قيد أو شرط .. لأنه وافق ، ولـكن بشرط .. !

وهذا الشرط أن تكتفى نازلى بعقد زواج عرفى !..

وهكذا كان .. وتزوج احمـــد حسنين ابن المرحوم الشيخ محمد حسنين العالم الازهرى بالملـكة نازلى ، ارملة الملك احمد فؤاد ، ووالدة صاحب الجلالة فاروق

الاول ملك مصر ..
وكان أحد شهود عقد الزواج المرحوم الاستاذ سليمان نجيب مدير دار الاوبرا .. وكان حسنين يثق كل الثقة فى حذره وكتمانه .. ومثله الملك فاروق ..
ولقد حاولت أن أعرف اسم الشاهد أو الشـهود الآخرين .. وكذلك اسم المحامى الشرعى الذى عقد هذا الزواج العرفى ، فلم أوفق ..
وربما كان الشاهد الآخر هو المرحوم مراد محسن باشا ناظر الخاصة الملكية .. أو لعله كان أحد خدم فاروق المقربين ..
ربما .. وربما .. ولكننى لا أستطيع أن أقطع بقول

***

واختارت الملكة نازلى سراى الدقى التى ورثتها عن أبيها عبد الرحيم صبرى لتكون دارا للزوجية .. تقابل فيها « عريسها » حسنين !.. لأن نازلى ـ ولعلها المرة الاولى ـ خجلت أو استحيت من ابنها أن تقابل زوجها فى جناحها بقصر القبة أو بقصر عابدين حيث كان يجتمع بها زوجها الاول الراحل .. أحمد فؤاد !..

ولم تمض شهور معدودات على عقد هذا الزواج ، حتى بدت أولى ثمراته .. يوم رشـح فاروق رئيس ديوانه أحمد حسنين باشا للوزارة الجديدة التى كان مقدرا لها أن تخلف وزارة النحاس باشـا فى شـهر ابريل عام ١٩٤٣ ..
وسوف أتناول بالتفصيل هذه المرحلة من حياة احمد حسنين حين أعرض للجانب السياسى منها واكتفى الآن بعرض رءوس المسائل أو العناوين :

١ ـ قامت وزارة ٤ فبراير عام ١٩٤٢ ، برئاسة مصطفى النحاس « باشا » على كره من الملك فاروق ،

وحسنين الذى كان يعد حادث ٤ فبراير لطمة على وجهه وفشلا مخجلا لسياسته كرئيس لديوان الملك ..

٢ ـ أقسم حسنين لفاروق على أن يرد له اعتباره.. وأن ينتقم من السفير البريطانى مايلز لامبسون .. ومن رئيس الوفد مصطفى النحاس ..

٣ ـ قدر حسنين ان الفرصة مواتية لاقالة مصطفى النحاس ووزارته من الحكم .. فى ابريل عام ١٩٤٣ ..

٤ ـ قال فاروق لحسنين باشا انه يطلق يده فى الموضوع وانه يعهد اليه شخصيا بتشكيل الوزارة الجديدة التى تقوم بالحكم بعد اقالة مصطفى النحاس باشا ووزارته ..

٥ ـ اختار حسنين باشا فعلا أعضاء وزارته .. واعد كشفا بأسمائهم ..

***

وبينما اجراءات الاقالة وتشكيل الوزارة الجديدة فى مراحلها الاخيرة .. كانت عيون الانجليز بالمرصاد !

واتصل الخبر بمايلز لامبسون .. وأبرق الى لندن بالتفاصيل .. وجاء الرد فورا من لندن فى شكل انذار وهو ان الحكومة البريطانية ترى أن الحرب توشك أن تدخل فى مرحلة دقيقة حاسمة وهي غزو أوروبا التى تحتلها جيوش هتلر ومن ثم فانها ـ أى لندن ـ لاتسمح باجراء أى تغيير أو تعديل فى الاوضاع القائمة فى مصر.. وتنصح ببقاء وزارة الوفد ومصطفى النحاس باشا فى الحكم !

وحمل السفير البريطاني مايلز لامبسون هذا الانذار الى الملك فاروق ..

وطويت وزارة حسنين باشا !

وكنت أود أن اقف بالحديث هنا عن قصة نازلى ،

وحسنين .. وحسنين واسمهان .. وان انتقل الى الجانب السياسى من حياة أحمد حسنين باشا ..

ولكننى وقد عرضت لعلاقة حسنين باسمهان .. ارى أن أمضى فى القصة الى نهايتها.. وكيف ان اسمهان عادت واتصلت بحسنين فى عام ١٩٤٤ ، وما كان لهذا الاتصال من أثر فى حياة زوجها المرحوم أحمد سالم.. وبسببه أطلق عليها الرصاص ، ثم حاول الانتحار .. الى آخره ..

وما كان لهذا كله من أثر فى العلاقة بين الزوجين : الملكة نازلى ، وحسنين ..

والقال والقيل .. اللذان احاطا بحسنين عقب حادثة احمد سالم وأسمهان ..

ووزارة الوفد ، وكيف أرادت أن تستغل هذه « الفضيحة » ضد عدوها رئيس الديوان احمد حسنين؟

وهل كان هذا كله ـ اى لحكاية حسنين ، واسمهان ، واحمد سالم ـ هل كان سببا لعدم اختيار حسنين باشا لرئاسة الوزارة التى خلفت وزارة النحاس باشا التى أقيلت فى ٨ أكتوبر عام ١٩٤٤ ؟ مع انه كان المرشح الوحيد لرئاسة الوزارة قبل ذلك بعام أو نحو ذلك فى ابريل عام ١٩٤٣ ..

كانت اسمهان قد ضاقت بحياة الزوجية وقيودها.. وضاقت بغيرة زوجها حسن الاطرش .. وضاقت بالحياة المملة الرتيبة فى قصر زوجها بالسويداء عاصمة جبل الدروز .. ومن هنا راحت تلتمس أوهى الاسباب للسفر حينا الى بيروت ، وحينا الى القدس .. حيث الحياة مرحة طليقة لا قيود ولا رقابة زوج محب غيور!

بل وأمكنها ان تقنع زوجها الامير حسن الاطرش ، بالحضور معها الى مصر مرة ومرتين.. ونشرت الصحف

خبر حضور سعادة الامير حسن الاطرش محافظ جبل الدروز ومعه زوجته الاميرة آمال الاطرش !

وآمال هو اسمها الحقيقى .. أما « اسمهان » فاسم مستعار لدنيا المسرح والغناء ..

***

عادت اذن الى مصر .. فى صحبة زوجها ، وفى يدها جواز سفر دبلوماسي أعطتها اياه سلطة الانتداب الفرنسى فى سوريا بصفتها زوجة زعيم درزى كبير ، ومحافظ لجبل الدروز ..

وكان الاستاذ زكى سعد أحد مديرى البنك الدولى الآن .. كان يومئذ مديرا لادارة الجوازات والجنسية ، وأنا أعرف – ومما سمعته منه شخصيا – انه لم يكن يحسن الظن كثيرا بالمطربة اسمهان ، وانه كان يعارض فى اقامتها بمصر .. وكان يرفض تجديد الاذن لها بالاقامة .. بل وحدث مرة أنه استمضى رئيس الوزراء والحاكم العسكرى العام – وكان يومئذ صاحب الدولة حسين سرى باشا – استمضاه أمرا باخراج أسمهان من الديار المصرية ..

وجاءتنى أسمهان يومئذ تبكى !.. وزرت « صاحب الدولة » رئيس الوزراء فى مكتبه .. وتفضل الرجل يومها واستجاب لوساطتى وألغى أمر الاخراج ، وأمر وكيل وزارة الداخلية بتجديد اذن الاقامة لاسمهان لمدة عام !..

وها هى ذى أسمهان تعود الى مصر .. والاستاذ زكى سعد لايستطيع أن يمنعها من الدخول ، فقد عادت بصفتها زوجة لرجل له جاهه ونفوذه ومقامه الرسمى فى قطر عربى شقيق ..

وطابت لها الاقامة فى مصر .. ولما عادت الى سوريا

مع زوجها بعد الزيارة الاولى .. غادرت مصر وهى كارهة ..

وفى الزيارة الثانية لمصر .. كانت اسمهان قد انتوت أمرا ، وهو أن لا تعود مع زوجها الى جبل الدروز..

وطلبت منه أن يطلقها .. ورفض هو الطلاق .. وهنا فعلت ما كانت تفعله فى كل مرة تريد فيها الطلاق وهو محاولة الانتحار ، وتناولت عددا كبيرا من أقراص الاسبيرين .. وطلقها زوجها حسن الاطرش .. وتركها فى القاهرة وعاد وحده الى جبل الدروز ..

وغاب عن اسمهان أن زواجها كان « حصانة » لها عند سلطات الامن العام وادارة الجوازات .. فلما طلقت سقطت عنها « الحصانة » المذكورة ..

ولم يتردد الاستاذ زكى سعد فى أن يصدر أمره بخروجها من مصر ..

وخرجت اسمهان من مصر .. وسافرت الى القدس واقامت كعادتها فى فندق الملك داود ..

وكانت تمضى أيامها فى التنقل بين بيروت « فندق سان جورج » وبين القدس .. ولكنها لم تجرؤ على العودة الى سوريا أو جبل الدروز ، لأنها كانت تعلم أن زوجها السابق الامير حسن الاطرش حاقد عليها ، وانه صاحب نفوذ وسلطان واتباع موالين مخلصين مطيعين طاعة عمياء ..

وان رصاصة طائشة ـ أو يقال عنها كذلك فى محضر التحقيق ـ قد تصيب منها مقتلا !

ومن هنا وزعت أيامها ـ كما قلت ـ بين القدس ، وبيروت .. ولم يلبث المال الذى كان بيدها أن تبدد فقد كانت ـ رحمها الله ـ مسرفة كل الاسراف .. وجاء يوم عجزت فيه عن تسديد حساب الفندق ..

وحجزت ادارة فندق الملك داود على حقائب ثيابها واضطرت اسمهان أن تبيع الحلى القليلة التى كانت تقتنيها وان تقترض من هنا ومن هناك ..

***

وبينما هي فى هذه الورطة أو هذه المحنة زار القدس الاستاذ اسكندر الوهابى وكان يشغل يومئذ منصبا كبيرا بوزارة الخارجية المصرية .. وأعجب بأسمهان ، وسحره صوتها وفتنتها ..

وكان طبيعيا أن ترجوه أسمهان أن يتوسط بما له من نفوذ فى أمر السماح لها بالعودة الى مصر .. لكى تستأنف الفناء والعمل فى السينما .. وعاد الاستاذ اسكندر الوهابى الى مصر ، وتحدث الى الاستاذ حسين سعيد خال الملكة فريدة ــ وكانت لا تزال يومئذ ملكة مصر ــ وأطنب له فى وصف اسمهان وفى جمال صوتها وفى فتنتها وسحرها .. الخ ..

وكان الاستاذ حسين سعيد يشغل يومئذ منصب مدير ستوديو مصر للسينما وسافر حسين سعيد الى القدس وقابل اسمهان ..

ووقع بدوره أسير فتنتها وسحر صوتها ..

ووقع معها ــ بالنيابة عن ستوديو مصر ــ عقدا للعمل فى الافلام التى تنتجها وتخرجها شركة مصر للسينما والتمثيل ونص فى العقد على ان أجر أسمهان عن عملها فى أول فيلم هو ثلاثة عشر ألف جنيه ، وهو مبلغ يزيد كثيرا على الاجر الذى كانت تحصل عليه كبيرات الممثلات والمطربات فى ذلك الوقت ..

وعاد الاستاذ حسين سعيد الى القاهرة ليبذل مساعيه الحميدة من أجل الاذن لاسمهان بالعودة الى مصر ، وسمعنا يومئذ انه بذل هذه المساعى عند السيدة

حرم « رفعة » رئيس الوزراء يومئذ مصطفى النحاس « باشا » ..

ونترك القاهرة .. ونعود الى القدس .. حيث كانت اسمهان لا تزال مقيمة بفنـــدق الملك داود فى انتظار وصول الاذن لها بالعودة الى مصر ..

هذا .. وقد ســددت ديونها للفندق من العربون السخى الذى حصلت عليه بموجب نصوص عقدها مع شركة مصر للسينما والتمثيل ..

وذات يوم نزل بالفندق الاستاذ احمد سالم والفنانة المعروفة تحية كاريوكا ، وكلاهما كان صديقا لاسمهان

غير أن تحية لم تلبث أن غادرت القدس الى لبنان وحلب لاحياء بعض حفلات الرقص التى كانت تعاقدت عليها ..

وتركت احمـــد سالم فى القدس ينتظر عودتها .. ولـكنها عندما عادت من حلب وجدت ان احمد سالم قد تزوج اسمهان بعقد زواج شرعى صحيح ..

***

ونعود الآن الى القاهرة والى ادارة الجوازات والجنسية .. وجدت الادارة المذكورة أن أمامها طلبا قويا مؤيدا بأسباب قوية مشروعة .. هذه السيدة ـ اسمهان ـ كانت تعمل فى مصر وفى محطة الاذاعة كمطربة محترفة .. وأفراد أسرتها.. ووالدتها وشقيقاها الاثنان يقيمون فى مصر ..

وبيدها عقد اتفاق على العمل مع شركة مصر للسينما والتمثيل ..

ثم هى أصبحت بموجب عقد شرعى صحيح زوجة لمصرى ، هو أحمد سالم رحمه الله .

وفوق هذا وذاك لا يمكن لها أن تغفل وساطة او

شفاعة السيدة حرم رئيس الوزراء ..

واخيرا ، لا آخرا ، بسبب قوى آخر ، لعله أقوى الاسباب وقد قص على الاستاذ زكى سعد نفسه هذه التفاصيل ونحن فى قطار القاهرة ـ دمياط ذات يوم فى صيف عام ١٩٤٥ ـ قال سيادته ـ وهو كما قدمت ـ لم يكن يحسن الظن كثيرا بأسمهان ، قال لى :

ـ كان فى امكانى الا أقيم أى وزن لعقد اسمهان مع ستوديو مصر للسينما ، وأن أرفض الاذن لها بالعودة الى مصر .. كذلك لم يكن لزواجها من أحمد سالم أى وزن من الجهة القانونية لأن اسمهان رعية أجنبية والقانون القائم يومئذ لا يعترف بزواج المصرى من أجنبية الا بعد موافقة وزارتى العدل والداخلية .. فاذا لم يحصل الزوجان على هذه الموافقة فان زواجهما لا يمكن أن تترتب عليه أية نتائج بالنسبة لنا فى ادارة الجوازات والجنسية ..

ومضى الاستاذ زكى سعد فى حديثه وقال :

ـ كان يمكننى اذن أن ارفض الاذن لها بالدخول الى مصر ، ولكننى تلقيت تقريرا من قنصلية مصر بالقدس جاء فيه : ان الأمير حسن الاطرش أقام قناصة من الدروز على الحدود بين فلسطين وسوريا وأمرهم باطلاق الرصاص على زوجته السابقة اسمهان اذا هى حاولت العودة الى سوريا . وهذا الخطر القاتل قد يكمن لها كذلك عند حدود لبنان ـ فلسطين ! ولهذا السبب راجعت نفسى وضميرى اذ لم يكن فى استطاعتى أن أحكم بالنفى المؤبد على أسمهان فى القدس ، أو بالموت اذا هى حاولت مغادرة فلسطين الى سوريا أو لبنان..

راجعت نفسى وسمحت لها بدخول مصر والاقامة فيها وقد زارتنى فى مكتبى عقب وصولها الى القاهرة ؛

فحدثتها طويلا عن السبب الحقيقى الذى حملنى على السماح لها بدخول مصر ، ثم قلت لها : « اننا نعدك ابنة لمصر لأنك أمضيت فيها من سنى حياتك أكثر مما أمضيت فى وطنك .. ولا مانع عندنا مطلقا من أن تقيمى فى مصر ما طابت لك الاقامة فيها ، ولكن على شرط أن لا تسمع عنك السلطات الا ما يسر » ..

***

وهكذا عادت أسمهان الى مصر ..

ولقد فهمت هى من حديث الاستاذ زكى سعد معها ان السماح لها بالعودة الى مصر لم يكن بسبب عقدها مع ستديو مصر ، ولا بسبب زواجها من أحمد سالم .. وكانت تزوجته لكى تستطيع العودة الى مصر ..

ولكن هذا الزواج لا دخل له بموضوع اقامتها فى مصر ، ولا يقدم ولا يؤخر ، كما فهمت من حديث مدير الجوازات والجنسية ..

وكان لهذه الحقيقة أثر فى نفس أسمهان ، أثر لم يلبث أن بدأ فى سلوكها مع زوجها أحمد سالم ، وذلك أن أسمهان بدأت تضيق بحياة الزوجية وبقيود الزواج وبغيرة أحمد سالم وبسؤاله اين كانت ؟ وأين أمضت سهرتها ؟ ومع من ؟ ومن الذى كان يحدثها بالتليفون؟ ولماذا قطعت حديثها التليفونى عندما دخل ؟ !

وبدأ الخلاف والخصام بين الزوجين ..

وذات يوم ، ذهبت أسمهان الى مسكن تحية كاريوكا تطلب مقابلتها ..

وكان طبيعيا أن تعجب تحية وتدهش .. ما سر هذه الزيارة وما وراءها ؟..

لقد كانت آخر مقابلة بينهما ـ بين تحية وأسمهان ـ بفندق الملك داود بالقدس ، يوم عادت تحية من حلب

« سوريا » ووجدت أسمهان قد اختطفت منها أحمد سالم وتزوجته ..

وكان شتم وسب وخصام بين أسمهان وتحية !..

وها هى ذى أسمهان تزور تحية .. وتطلب مقابلتها ! وتحية طيبة القلب .. ولقد رحبت بأسمهان وأحسنت استقبالها ..

وقالت أسمهان :

ـ عاوزة منك خدمة ؟..

ـ بكل سرور ..

قالت :

ـ عاوزه تطلبى أحمد سالم اليوم بالتليفون فى الساعة كذا .. وسوف أرد أنا على التليفون .. وتطلبى منى أن تكلمى زوجى أحمد سالم ..

وشرحت أسمهان لتحية السر والسبب ..

ووافقت تحية .. وأية امرأة لا توافق فى مثل ظروفها على السخرية والهزء من رجل كان تخلى عنها من أجل امرأة أخرى ..

وكانت أسمهان وأحمد سالم يعيشان معا فى ذلك الوقت فى « فيللا » استأجرتها أسمهان بشارع الهرم ..

***

وفى الساعة المحددة دق جرس التليفون عند أسمهان وكان زوجها أحمد سالم موجودا معها .. وتناولت هى السماعة ..

وسمعها أحمد سالم تقول : « أيوه موجود !.. ومين عاوزه ؟ ! وعايزاه ليه ؟ طيب .. حاضر .. ما تزعليش آهو جاى يكلمك ! »

ثم التفتت الى أحمد سالم وقالت بابتسامة ذات معنى أو معان :

ـ تحية كاريوكا عايزه تكلمك ياسي أحمد !

وكانت مفاجأة للمسكين .. وقام وتنـــاول سماعة التليفون وقد وقفت بجانبــه اســمهان .. تنصت الى الحديث ..

ولم يكد أحمد سالم يقول : « آلو » حتى انطلقت تحية بصوت عال مجلجل تعاتبــــه وتوبخه على اخلافه وعوده ومواعيده وتقول له انها لم تطلب مقابلته ، وانه هو الذى طلب مقابلتهـــا وألح وألحف فى الرجاء حتى قبلت .. وحددت له الساعة .. فلماذا لم يحضر فى الميعاد المتفق عليه .. ودى مش أخلاق .. ومش آداب الى آخره ..

هذا .. والمسكين فاغر فاه ـ وقد أخذته المفاجأة ـ لا يعرف ماذا يقول ! ؟

وأنهت تحية حديثها وقطعت المواصلة التليفونية .. ولم تترك له أسمهان وقتا يفيق فيه من دهشته .. بل أخذت بخناقه تهزه بعنف وتقول له :

ـ يا أنا .. يا انت فى البيت ! مش ممكن أعيش معاك .. طلقنى !

ومشهد عاصف .. وبكاء ودموع .. واقسام وايمان وأسرع أحمد سالم ـ رحمه الله ـ الى غرفة الحمام ، وتناول زجاجة ما ، فيها مطهر مما يستعمله النساء فى بعض أمورهن وأفرغ ما فى الزجاجة فى جوفه ، يريد الانتحار ..

وعلا الصراخ والعويل .. ودقت تليفونات .. وأسرع الى « الفيللا » أصدقاء وصديقات الزوجين ..

وحضر الطبيب على عجل .. وغسلت معدة الزوج المسكين وتم الصلح بين أحمد وأسمهان ..

وخرجت أسمهان من المعركة .. فى شكل «شهيدة»

يخونها زوجها .. ويغازل امرأة أخرى .. ومع ذلك تصفح عنه وتغفر له وترضى بالحياة معه !..

ومن حق هذه الزوجة بعد ذلك أن تقول لزوجها : « حسبك » ولا تشدد معى فى الحساب أين كنت ؟ ومع من كنت ! ؟

ولكن أحمد سالم لم يكن ذلك الزوج .. فقد مضى يدقق فى الحساب ويحاسب زوجته عن كل كبيرة وصغيرة وعن كل ساعة لا تمضيها معه .. أين كانت ؟ ومع من كانت ؟ !

وأخيرا داخله الشك فى أمرها.. ولكنه لم يصارحها بشكوكه .. بل مضى يراقبها ويتبعها دون أن تعلم !..

ورآها ـ دون أن تراه ـ رآها تخرج من دار حسنين باشا بميدان عبد المنعم فى الدقى ..

وذهب الى دكان بقالة قريب ، وطلب حسنين باشا بالتليفون فى داره .. ولما رد حسنين قال له انه لايعرف كيف يبدأ حديثه ؟.. فهو يحترم حسنين باشا ويقدر صفاته الممتازة .. ولكنه كزوج يغار على زوجته وله حقوق .. ثم قال :

ـ ومن حقى أن أسأل رفعتك ماذا كانت تفعل زوجتى عندك ؟ ولماذا تزورك من غير علمى ومن غير اذن منى ؟ بل ـ وأنت جنتلمان ـ لماذا تستقبل فى دارك سيدة متزوجة من غير أن يكون زوجها معها ؟..

فاذا كنت دعوتها لزيارتك ، فان من حقى أن أسألك لماذا لم تدعنى معها ؟.. واذا كانت هى قد زارتك من غير أن تدعوها فان المسألة تحتاج الى تحقيق فى الاسباب والظروف ..

الى آخره ..

وأصغى حسنين الى «عتاب» أو حساب أحمد سالم

فى صبر حليم .. ولما تكلم كان فى صوته حزن وأسف !

حزن وأسف المظلوم البرىء الذى اتهمه أحمد سالم فى أغلى ما يعتز به وهو شرفه وعفته ونزاهته !

قال ـ رحمه الله ـ بصوت هادىء حزين :

ـ عيب يا أحمـد ! دا انت زى ابنى .. ومراتك زى بنتى .. وانا كنت فاكر انها قالت لك ، وانك عارف بزيارتها لى ..

ومضى حسنين يقول : انه ـ مثل جميع من فى البلد ـ يعجب بصوت آمال « اسم أسمهان الحقيقى » ويهمه حقيقة أن لا تغنى الا ما يوافق طبقات صوتها ..

ومضى حسنين باشا ـ رحمه الله ـ فى حديث فنى عن الموسيقى والاغانى والصوت وطبقاته ..

ثم قال : ان آمال زارته لـكى تسـتأنس برأيه فى أغانى فيلمها الجديد القادم : فيلم « غرام وانتقام » ..

وانتهت المحادثة !

وتظاهر أحمد سالم بأنه صدق حسنين واقتنع .. ولـكنه ـ طبعا ـ لم يصدق حرفا مما قاله حسنين ..

وعاد الى داره ، أو دار اسمهان ليسألها : لمـاذا زارت حسنين باشا ، ولماذا لم تستأذنه فى هذه الزيارة ؟

وأجابت : بأن حسنين صديق قديم ، وانها عرفته من قبل أن تعرف أحمد سالم ، وليس فى نيتها أن تقاطع أصدقاءها القدامى من أجله .. كما انه ليس من عادتها أو طبعها أن تستأذن أحدا فى زياراتها .. وانها حرة تزور من تشاء فى أى وقت تشاء ..

ـ واذا لم يعجبك .. فأنت حر ! وطلقنى وأرح بالك وبالى ..

وكلام كثير فى هذا المعنى ..

ومرة أخرى حاول المسكين الانتحار .. واسعفوه وانقذوه ..

وبدأ أحمد سالم يسرف في شرابه .. يحاول أن يخدر أعصابه الثائرة ..

وكانت أسمهان كذلك تدمن الشراب ..

وهكذا مضت الحياة بينهما فى شراب وعراك ..

وذات مساء انتصف الليل ولم تعد أسمهان.. وجلس أحمد سالم ينتظر ..

والساعة الاولي صباحا ، ولم تعد أسمهان ، وتناول أحمد سالم التليفون وسأل عنها فى دار صديقة لها ـ كانت تكثر يومئذ من التردد عليها ـ وقالت الصديقة المذكورة ان أسمهان كانت زارتها بعد ظهر اليوم ولكنها انصرفت قبل الثامنة مساء ..

وأخيرا .. وفى نحو الساعة الثالثة صباحا ، عادت أسمهان ووجدت زوجها قائما ينتظر ! وشيء ما فى عينيه أخافها وحبس ألفاظ التحدى فى فمها ..

سألها أين كانت ؟ فتلعثمت واضطربت .. وأخيرا قالت : انها كانت عند صديقتها فلانة !

وذكرت اسم الصديقة التى كان أحمد سالم سألها ، وعرف منها أن أسمهان تركتها قبل الساعة الثامنة مساء !

قال ـ رحمه الله ـ وهو يصر على أسنانه :

ـ كنت عندها لدلوقت ؟..

قالت : نعم ..

قال : ولكنى سألتها عنك فقالت انك انصرفت من قبل الساعة الثامنة ..

وسكتت أسمهان .. فقد أحست للمرة الاولى بالخوف من زوجها أحمد سالم !

وعاد يسألها :

ــ كنت فين لدلوقت ؟.. عند حسنين ؟

ووثب واقفا .. ولكنها كانت أسرع منه الى الباب ! وكان ــ رحمه الله ــ قد أخرج من جيبه مسدسا .. صوبه اليها وهى تجرى وأطلق النار . ولكنه لم يصبها وهربت أسمهان ولجأت الى دار أحد جيرانها حيث أمضت ما بقى من الليل ..

واتصلت بالتليفون باللواء سليم زكى حكمدار بوليس القاهرة يومئذ وكانت صديقة له ولأسرته وأبلغته أن زوجها أحمد سالم أطلق عليها الرصاص يريد قتلها ، وطلبت منه أن يحميها ..

وأوفد اللواء سليم زكى ــ رحمه الله ــ الاميرالاى امام ابراهيم ليحاول اصلاح الامر ما بين الزوجين . وكان سليم زكى يعرف بحكم صداقة أسرته لأسمهان او آمال الاطرش .. كان يعرف كل ما يحدث فى بيت الزوجية.

***

وذهب الاميرالاى امام ابراهيم الى « الفيللا » التى كانت أسمهان تقيم فيها هى وزوجها أحمد سالم ..

ووجد احمد سالم متمددا فوق فراشه .. وقد شد فوقه الغطاء .. وكأنه يحاول أن يخفى تحته شيئا ما كان بيده !

وانطلق أحمد سالم يسب ويشتم فى أسمهان وفى حسنين وحاول امام ابراهيم أن يهدىء من ثورته ، ثم حاول أن يقترب منه ولكن احمد سالم صاح به أن يقف فى مكانه ولايقترب وأعلن أن بيده مسدسا وانه سوف يطلق الرصاص على كل من يحاول القبض عليه !

ودارت مناقشة بين الرجلين ..

امام ابراهيم يتكلم بهدوء ولطف يحاول أن يهدىء من

ثورة أحمد سالم وأن يقنعه أن ليس هناك ما يخشاه .. ويحاول فى نفس الوقت أن يقترب قدما بقدم وخطوة بخطوة من الفراش الممدد فوقه أحمد سالم ..!

وأحمد سالم يصف أسمهان بأقبح النعوت ويروى ما فعلته وما تزال تفعله معه وكيف انها تخونه مع حسنين !

وفى لحظة ما .. اعتقد امام ابراهيم انه أصبح على قرب كاف من الفراش ، فوثب على أحمد سالم محاولا الامساك بيده التى تمسك بالمسدس ..

وانطلقت رصاصة أصابت الاميرالاى امام ابراهيم ، وأعقبتها رصاصة أخرى دخلت فى صدر أحمد سالم ، واستكنت فى احدى رئتيه !

***

وكانت الضجة الكبرى ، وخرجت الصحف تحمل العناوين بالبنط الكبير وتروى مأساة احمدسالم وأسمهان

ولكن الصحف لم تنشر شيئا من أقوال أحمد سالم عن احمد محمد حسنين باشا رئيس ديوان الملك .. لأن البوليس والسلطات كتمت الامر عن الصحف ..

ونقل احمدسالم تحت الحراسة — أو مقبوضا عليه — الى القصر العينى ، وقد بقى أياما طويلة فى خطر الموت..

وقد وجهت اليه تهمة الشروع فى قتل زوجته أسمهان

وتهمة مقاومة واطلاق الرصاص على الاميرالاى امام ابراهيم أثناء القيام بواجبه ..

***

قلت ان الصحف لم تنشر شيئا من أقوال احمدسالم عن احمد حسنين لأن البوليس كتم الامر عن الصحف ، والنيابة لم تستطع استجواب احمدسالم لخطورة حالته

ولكن الحكومة — حكومة الوفد أو وزارة ٤ فبراير — سمعت طبعا بكافة التفاصيل وكذلك سمع بها القصر

وجميع من فى القصر ..

وعرفت نازلى ان زوجها احمد حسنين قد «عاد» الى أسمهان .. أو أن أسمهان قد عادت الى حسنين !

أما الوفديون فقد سروا سرورا كبيرا وحمدوا الله الذى مكن لهم من عدوهم رئيس الديوان احمد حسنين

وأعود هنا بالقارىء الى الوراء ..

سبق أن قلت ان حسنين كان أقسم بعد حادث ٤ فبراير الذى عده لطمة على وجهه.. أقسم علىأن ينتقم للقصر ولنفسه من سفير بريطانيا ومن مصطفى النحاس

وانه اعتقد فى شهر ابريل ١٩٤٣ ان الفرصة مواتية للانتقام ولاقالة الوزارة ، ورد اللطمة للسفير وللنحاس

ولكن لندن أرسلت انذارا الى القصر تقول فيه : انها لا تسمح فى الظروف الحاضرة بتغيير الوزارة أو اجراء أى تعديل فى الاوضاع ..

وعرف الوفديون يومئذ انانقلابا أو اقالةكانت توشك ان تقع .. وان وراءها حسنين باشا رئيس الديوان !

وأضمروا الشر للرجل ..

وأصبح العداء سافرا بينحكومة الوفدورئيسالديوان وذات يوم ــ وقبلحادث أحمد سالم وأسمهان بشهور قليلة ــ ذات يوم تقدم نائب وفدى الى «معالى» وزير المعارف بسؤال عن المدارس الصناعية التابعة لوزارته وعن نشاط « ورشها » فى صناعة الاثاث والرياش .. وهل لهذه المدارس ديون عند بعض كبار الموظفين ؟..

ووقف وزير المعارف يجيب على السؤال ويقول ان الموظف الكبير الوحيد المدين لاحدى المدارس الصناعية هوصاحب المقام الرفيع احمدحسنينباشا رئيسالديوان وان رفعته كان أوصىأحدىالمدارسالصناعية على صنع طقم كذا وعدد موائد ومقاعد كيت ..

وان المدرسة الصناعية المذكورة انجزت الطلب وارسلت الاثاث المطلوب الى حسنين باشا.. وبعثت معه بالفاتورة وقدرها كذا جنيها وكذا مليمات ..

ولكن حسنين لم يدفع وان المدرسة طالبته مرة ومرتين .. فلم يدفع ..

وأخيرا حولت المدرسة الاوراق الى وزارة المعارف ومضى وزير المعارف يقول ان الوزارة قد بح صوتها من مطالبة حسنين باشا بسداد الدين .. ولكنه لم يدفع !

وكانت فرصة !.. ووقف أكثر من نائب وفدى ليخرج لسانه لرئيس الديوان ويسخر منه ويشمت به ويطالب الحكومة بأن تكون حازمة وأن تفعل كذا وكذا مع هذا المدين المماطل الذى اسمه أحمد محمد حسنين !

ووقف النائب الاستاذ فكرى أباظة يدافع عن حسنين باشا ويقول للنواب الوفديين ـ وكان صديقنا يومئذ كما كان دائما من نواب المعارضة ـ وقف يقول لهم ما معناه ان هذا الدين ينهض دليلا على شرف ونزاهة وأمانة أحمد محمد حسنين !.. وان هذا الرجل الذى يشغل هذا المنصب الكبير الخطير فى القصر والذى كان يمكنه أن يستغل منصبه ـ كما فعل آخرون غيره ـ ليجمع ثروة طائلة .. هذا الرجل عاجز عن سداد دين لايزيد عن مائة أو مائتين من الجنيهات ..

عاجز عن سداد الدين لأنه رجل فقير وشريف ونزيه وأمين ..

وهاج النواب الوفديون ضد صديقنا فكرى أباظة.. وعاد هو يقول ان حملتهم هذه ضد رئيس الديوان هى صغار فى صغار !..

واشتد هياجهم وصاح بعضهم ان فكرى أباظة يشتم المجلس ..

واستمر فكرى أباظة فى الـكلام ..
وأخيرا طلب منه رئيس المجلس أن يكف عن الـكلام وأن يجلس ..
ولـكن فكرى مضى فى كلامه ولم يجلس ..
هذا وثورة النواب تزداد وهياجهم يزداد وفكرى أباظة ماض فى الكلام والدفاع عن رئيس الديوان وأخيرا أمره رئيس المجلس بأن يخرج ويغادر قاعة المجلس ورفض فكرى أباظة أن يخرج ..
ودقت الاجراس.. وأسرع حرس المجلس.. وأمرهم الرئيس باخراج النائب المحترم فكرى أباظة من قاعة الجلسة ..
وحمل الحراس صديقنا فكرى أباظة .. وخرجوا به وهو يصيح بأعلى صوته مخاطبا نواب الوفد : «يامساكين انكم تلعبون بالنار .. انكم تلعبون بالنار ! »

***

وبعد ساعة واحدة من هذا الحادث فى جلسة مجلس النواب ذهب سير والتر سمارت الموظف الكبير يومئذ بالسفارة البريطانية وقابل رئيس الوزارة مصطفى النحاس وقال له مامعناه ان الحكومة البريطانية التى تؤيد بقاء وزارة رفعته ضد رغبات القصر تعد نفسها والحالة هذه مسئولة عن تصرفات الوزارة .. وانها لا تقر تصرفات نوابه فى جلسة اليوم وتنظر الى هذه الحملة ضد رئيس الديوان بعدم الارتياح .. وترجو من رفعة رئيس الوزارة أن يعمل شيئا يزيل به الاثر السىء الذى خلفته هـذه الحملة الظالمة فى النفوس ..
واقترح جنابه أن يحذف من مضبطة الجلسة كل ما دار وكل ما قيل حول هذا السؤال وحول حسنين باشا
ووافق السيد مصطفى النحاس ..

وفى اليوم التالى اجتمع مجلس النواب .. ووقف النائب فكرى أباظة وبيده مضبطة الجلسة السابقة وقال ان فى المضبطة نقصا يريد أن ينبه اليه !

وسأله رئيس المجلس عن النقص المذكور ، فقال :

ـ لم أجد شيئا فى مضبطة الجلسة عن حادث طردى من المجلس ! ..

وصاح النواب المحترمون :

ـ ماحصلش ..

وسألهم فكرى أباظة :

ـ ألم تطردونى من الجلسة ؟

ـ أبدا .. ماحصلش !..

ـ والكلام اللى قلتوه عن حسنين باشا ؟

ـ ما حصلش ...

ـ والكلام اللى قلته أنا ؟

ـ ما حصلش ...

وفهم فكرى أباظة .. وسأل قبل أن يجلس :

ـ يعنى ما حصلش سؤال .. وما حصلش جواب من وزير المعارف .. وما حصلش حاجه أبدا ؟..

وصاحوا جميعا :

ـ برافو عليك .. ادنت فهمت !.. ما حصلش !

وهكذا انتهت هذه المهزلة .. ولكنها خلفت وراءها فى نفوس الوفديين حقدا جديدا ـ ان جاز هذا التعبير ـ ضد رئيس الديوان حسنين باشا لأن حذف كل ما دار حوله فى الجلسة السابقة قد فوت على الوفديين غرضهم فى النشر والتشهير به !

ومن هنا كان سرورهم كبيرا بحادث أحمد سالم وبأسمهان .. وبالدور الذى لعبه عدوهم حسنين باشا فى الحادث المذكور ..

وأرسلوا أحدهم الى احمد سالم فى مستشفى قصر العينى يعرض عليه أن يوكل عنه احد كبار المحامين الوفديين

وكان غرض الوفديين هو أن يقف المحامى الوفدى الوكيل عن أحمد سالم .. يقف فى محكمة الجنايات ويروى علنا وعلى رءوس الاشهاد قصة حسنين واسمهان وكيف ان احمد سالم هو الضحية المسكينة لرئيس الديوان الى آخره .. الى آخره ..

***

وما من شك فى انها كانت تكون الضربة القاضية على احمد حسنين !

ولكن القدر شاء غير ما دبر الوفديون .. ذلك انه لم تمر أيام على الحادث المذكور حتى سافرت أسمهان بسيارتها الى رأس البر .. وانقلبت بها السيارة فى الترعة .. وغرقت ولاقت منيتها قبل الاوان ..

وكان هذا فى شهر يولية ..

وفى شهر اكتوبر ــ وقبل أن تعرض قضية احمد سالم على محكمة الجنايات أقيلت وزارة الوفد . وهكذا نجا احمد حسنين من أكبر فضيحة كان يمكن أن تهدد مستقبله ولكنه لم ينج من أثرها وكان من آثارها انه بعد أن كان فى شهر ابريل ١٩٤٣ المرشح الوحيد لرئاسة الوزارة التى تخلف وزارة الوفد .. عدل عن اختياره الى اختيار المرحوم الدكتور أحمد ماهر ..

وكانت ثورة الغضب فى صدر أحمد سالم قد ماتت بموت أسمهان .. ومن هنا لم يقل شيئا عن حسنين باشا عندما نظرت قضيته أمام محكمة الجنايات ..

الكتاب الثانى

أحمد محمد حسنين
فى الحياة العامة

علی ماهر.. والاعتداء على الدستور والحياة النيابية

المذكرات التي أدونها هنا نقلا عن أحمد حسنين باشا لم أسمعها منه فى جلسة واحدة أو فى جلستين بل فى عدة جلسات تمت بين عامي ١٩٤١ و ١٩٤٢ .

والذى لاحظته ــ وأسجله هنا ــ ان حسنين كان حريصا أو محترسا الى حد ما فى حديثه عن على ماهر أيام كان هذا رئيسا للديوان ثم رئيسا للوزارة . ولم يتحدث حسنين معى بصراحة ويفرغ ما فى صدره أو معظم ما فى صدره عن على ماهر الا بعد خروج على ماهر من رياسة الوزارة .

كذلك ربماكان لموقف المعارضة الشديدة الذى وقفته دائما من على ماهر أثر فى اطمئنــان حسنين الى وهو يتحدث عن صاحب المقام الرفيع .

***

١ ــ قال لى حسنين بصراحة انه هو المسئول الى حد كبير عن تعيين على ماهر رئيسا لديوان الملك وانه قال لفاروق ذات يوم : « أظن يامولانا انه قد حان الوقت لكى نعين على ماهر رئيسا للديوان » .

٢ ــ وان على ماهر أخطأ فى اقالة الوزارة النحاسية الوفدية فى ديسمبر ١٩٣٧ لأنه كان من رأيه ــ رأى حسنين ــ أن يبقى النحاس فى الحكم أطول مدة ممكنة

حتى «تبان» سيئات حكمه وحكم الوفديين أمام الشعب بشكل قاطع حاسم .

٣ ـ وان الملك فاروق كان يثق فى أول الامر فى على ماهر وكان لعلى ماهر عند فاروق نفس النفوذ الذى كان يتمتع به مكرم عند النحاس . ولكن على ماهر بدأ يدس لمحمد محمود رئيس الوزراء بعد أسبوعين اثنين من أيام وزارته ..

٤ ـ وان على ماهر كان دائما يدس لخصومه على أساس ان هذا ذو ميول انجليزية وان ذاك كذلك .. فبعد ثلاثة أسابيع بدأ على ماهر يصب فى أذن فاروق كلاما عن محمد محمود وكيف انه ذو ميول انجليزية . وهكذا نجح فى اضعاف ثقة فاروق فى محمد محمود .

٥ ـ وان على ماهر عندما تولى منصب رئيس الديوان كان له نفوذ كبير عند فاروق الى درجة ان فاروق كان يخافه ويعمل له حسابا . بل كان اذا تأخر دقائق عن موعد ما مع على ماهر أقبل يعتذر لعلى ماهر عن تأخره عن الميعاد .

ويقول احمد حسنين ان على ماهر نجح كرئيس للديوان فى أول الامر نجاحا كبيرا .. « ويومئذ حمدت الله » .. هكذا يقول حسنين .. فقد وفيت الدين الذى وضعه الملك فؤاد فى عنقى وأديت أمانتى وها أنذا قد نجحت فى تعيين رئيس ديوان يعرف واجبه .

٦ ـ يعتقد حسنين ان على ماهر كان أفضل رئيس ديوان وانه لولا مطامعه وشهوته فى تولى رياسة الوزارة لكان خيرا له ولفاروق وللبلد لو بقى رئيسا للديوان .

٧ ـ بعد أقل من شهر واحد من تولية محمد محمود رياسة الوزارة ـ بعد اقالة وزارة النحاس ـ بدأ على ماهر يدس له عند فاروق ويضع العراقيل فى طريق الوزارة

وعندما وضح الهدف الذى يسعى اليه على ماهر وهو اسقاط محمد محمود لكى يتولى هو رياسة الوزارة . وأدرك فاروق ماهنالك هبطت قيمة على ماهر فى نظره الى حد ما .. بعد أن عرف ان على ماهر له مطامع شخصية وشهوات وأغراض مثل غيره من زعماء مصر.

ومن هنا فقد على ماهر كثيرا من نفوذه عند فاروق وبعد أن كان فاروق يعتمد على «على ماهر» أمسى على ماهر هو الذى يعتمد على تأييد فاروق .

٨ ـ كان على ماهر هو الذى أشار باقالة وزارة النحاس فى شهر ديسمبر ١٩٣٧ وباسناد رئاسة الوزارة الى محمد محمود . ومع ذلك فقد سعى ـ بعد شهور قليلة ـ الى مقابلة النحاس سرا وفى ظلام الليل على كورنيش رمل الاسكندرية لكى يتآمر معه على اسقاط وزارة محمد محمود . ولما عرف فاروق بخبر هذه المقابلة مط شفتيه .. وتوالى هبوط أسهم على ماهر .

٩ ـ كان على ماهر وهو رئيس للوزارة يقول لفاروق « جاءنى السفير مايلز لمبسون اليوم وطلب منى كذا ولكننى رفضت وقلت له مش ممكن ..» ثم يعود بعد يومين ويقول لفاروق « جاءنى السفير اليوم وطلب منى كيت وكيت.. وأظن يامولانا نقدر نساوم ونعطيه ماكان طلبه منذ يومين فى مقابل أن يتنازل عن طلباته الاخيرة »

وهكذا أدركنا فى القصر ان على ماهر كان يلبى طلبات الانجليز بينما هو يتظاهر بأنه صامد أمامهم كالطود الشامخ

١٠ ـ لما توفى حسن صبرى باشا كان على ماهر هو السياسى الوحيد الذى استشاره فاروق يومئذ فى الموقف . ولم يعرف أحد بهذا الخبر أو بمقابلة على ماهر لفاروق لأن المقابلة لم تنشر فى بلاغ ديوان كبير الامناء .

ولقد خرج على ماهر يومئذ من مقابلة فاروق وقال

لخاصـته « الوزارة فى جيبى » ويظهر انه كان رشح لرئاسة الوزارة صديقه محمد محمود خليل الذى اشاع الخبر بين أصدقائه وتلقى منهم التهانى .

١١ ـ ولكن حسنين رشح لرئاسة الوزارة حسين سرى . وكانت مفاجأة غير سارة لعلى ماهر .

هذه هى المذكرات التى وجدتها مدونة فى كراسة . ولعل القراء قد لاحظوا انها مدونة بأسلوب أشبه مايكون بالاختزال .. بل هى تكاد تكون رءوس موضوعات .. كل رأس منها يصلح موضوعا لحديث مستفيض .

ولكننى أكتب هنا قصة أحمد محمد حسنين لا قصة على ماهر أو مصطفى النحاس أو محمد محمود . ومن هنا لن أعرض لأحد من هؤلاء الا بالقدر الذى يقتضيه الحديث عن المرحوم أحمد حسنين .

وأبدأ برئاسة الديوان ..

***

قلت فى الفصول السابقة ان المرحوم احمد حسنين كان ذا مطامع واسعة . وكان يسعى لأن يكون الرجل الاول فى الدولة بعد الملك .. وكان البرنامج الذى وضعه ذا خطوات ..

الخطوة الاولى رئاسة ديوان الملك .

الخطوة الثانية رئاسة الوزارة .

وبين الخطوتين .. خطوة لابد منها للتثبيت والتأمين ودعم المركز .. وهى الزواج من نازلى أم الملك ..

ولكن بعض أصدقاء حسنين ينكر على قولى انه كان ذا مطامع .. وانه كان يريد رئاسة الوزارة .. ويحاول أن يدفع عن حسنين هـذه « التهمة » كأنما الطموح نقيصة أو سبة يجب أن تدفع وتفند ..

وقد يجد هذا البعض من أصدقاء حسنين فى صدر

هذا الفصل مايؤيد قوله .. فيسألني لماذا أشار حسنين على فاروق بتعيين على ماهر رئيسا للديوان .. ولم يطلب المنصب لنفسه اذا كان ـ كما تقول ـ طموحا طامعا فى المناصب ؟

والجواب : ان حسنين كان يعرف يومئذ ـ فى أواخر عام ١٩٣٧ ـ ان الوقت لم يحن بعد لتوليه المنصب المذكور.. وان فاروق يحب على ماهر ويثق فيه الى حد كبير باعتباره « رجل أبيه » الملك أحمد فؤاد وموضع ثقته .. وان فاروق يريد أن يعين على ماهر رئيسا للديوان لكى يقف بجانبه كما وقف الى جانب أبيه أحمد فؤاد .

وكانت الخصومة وأسباب الخلاف قدظهرت وتعددت بين فاروق وحكومة الوفد برئاسة مصطفى النحاس.. وكانت رئاسة الديوان فى حاجة يومئذ الى رجل قوى أو « أزرق الناب » فى السياسة ومناوراتها لكى يستطيع الوقوف فى وجه الاغلبية الوفدية الكبيرة .. ولم تكن لفاروق ثقة كبيرة يومئذ فى كفاءة حسنين كسياسى ومناور أزرق الناب .

كذلك لم يكن من مصلحة احمد حسنين أن يصطدم يومئذ بالوفد وحكومة الوفد ومصطفى النحاس وهو الاصطدام الذى كان لابد من وقوعه بين الوفد وبين الذى يتولى رئاسة الديوان .

وأمر آخر يعرفه كل الذين عرفوا أحمد حسنين ودرسوا أخلاقه .. وهو انه كان يريد الشيء .. ولكنه ينكر انه يريده أو يشتهيه .. وكان يتطلع الى المنصب ولكنه يزعم انه زاهد فيه لايريده .

كانت سياسته ـ اذا أراد أو اشتهى أمرا ما ـ أن يناور ويداور ويحاول أن يحمل أصحاب الشأن على أن

يعرضوا عليه الامر أو الشيء الذى يريده ويشتهيه .. تماما كما فعل فى أمر زواجه من الملكة نازلى .

اما أن يطلب الشيء صراحة ، فلا .. لم يكن هذا من خلق أو سياسة حسنين .. وفى ضوء هــذه الحقائق وهذه الاخلاق وهذه السياسة نفهم لماذا تطوع حسنين وأشار على فاروق بتعيين على ماهر رئيسا للديوان .

لأن فاروق كان يحب ويثق الى حد كبير فى علىماهر ولأن على ماهر كان الوارث الطبيعى للمنصب المذكور.. ثم سبب آخر وهو أهمها جميعا .. كان حسنين يعرف على ماهر ، ويعرف عنه ما لايعرفه فاروق .. وكانت الوسيلة الوحيدة لأن «ينكشف» على ماهر أو «يكشف عن حقيقة نفسه » هى تعيينه فى منصب رئيس الديوان بالقرب من فاروق ..

أو بعبارة أخرىكان تعيين علىماهر فى رئاسة الديوان هو الخطوة الاولى للقضاء على نفوذ على ماهر عند فاروق

وقد صح ما توقعه حسنين .. ونجحت سياسته و «انكشف» على ماهر أمام فاروق .. وهبطت أسهمه هبطت أثناء توليه رئاسة الديوان .. وتوالى هبوطها بعد توليه رئاسة الوزارة ..

ثم لم يمض عام ١٩٤١ حتى كان على ماهر قد فقد نفوذه القديم عند فاروق ..

وأعود الآن الى بداية الحديث عن رئاسة الديوان ..

قلت فى فصل سابق ان الدكتور عباس الـكفراوى طبيب فاروق فاتحنى ذات يوم وكنا فى قصركنرى هاوس بالقرب من لندن ـ فى أمر منصب رئيس الديوان الشاغر واقترح على أن أفاتح حكومة الوفد فى أمر تعيين الاستاذ نجيب الهلالى فى المنصب المذكور .

وأعتقد ان عباس الكفراوى لم يرشح نجيب الهلالى

لرئاسة الديوان الا بعلم واذن فاروق . ولكن حكومة الوفد لم توافق على هذا الترشيح لأن الاستاذ نجيب الهلالى لم يكن يومئذ وفديا صميما بل كان لايزال حديث العهد بالوفدية ..

ولأنه كان خصما للأستاذ محمود فهمي النقراشي الذى كان له نفوذه ولم يكن قد خرج أو أخرج بعد من الوفد.

وثالثا وأخيرا لأن حكومة الوفد كانت ترغب فى تعيين الاستاذ عبد الفتاح الطويل المحامى المعروف رئيسا للديوان . وكان الاستاذ الطويل قد تولى من قبل منصب الوكيل البرلمانى لشئون القصر .

***

وكان حسنين ـ اذا عرضنا قبل عودتنا الى مصر لحديث المنصب الشاغر وأسماء المرشحين لرئاسة الديوان ـ كان يقول : « ياريتنى كنت أنفع . لكن ياخسارة ما انفعش ابدا لأنى يامحمد زى ما انت عارف ما افهمش حاجة فى السياسة . وده منصب سياسى عاوز واحد يفهم فى السياسة » .

وكان يكررها لعل وعسى أن أقاطعه وأقول : « بل أنت تنفع .. أو أنت خير من يصلح رئيسا للديوان » ؟

وعدنا الى مصر فى أواخر شهر يولية ١٩٣٧ وواجهت حكومة الوفد فى أول شهر من تولية فاروق سلطاته الدستورية عدة مسائل أو مشاكل منها حكاية المرحوم يوسف الجندى ويمين الولاء التى يقسمها الجيش وهل تكون للملك وحده أو للملك والدستور .. وحكاية التاج التى أشرت اليها فى فصل سابق .. ثم منصب رئيس الديوان ..

وقد رشحت حكومة الوفد على التوالى للمنصب المذكور الاستاذ عبد الفتاح الطويل . الاستاذ نجيب

الهلالى . الدكتور حافظ عفيفى . الاستاذ محمد أمين يوسف .

ورفض فاروق هذه الاسماء ورشح من جانبه على ماهر . ورفضت حكومة الوفد هذا الترشيح .

***

قالت نازلى ملكة مصر السابقة ذات يوم عقب وفاة زوجها الملك أحمد فؤاد .. قالت لشقيقها حسين صبرى :

ــ ان فاروق طفل وعنيد ، وأنا أخاف عليه من هذا « الطقم » القديم الموجود فى السراى «طقم» سعيد ذو الفقار وشوقى وعبد الوهاب طلعت وغيرهم .. وأخشى أن يملأوا رأسه بالكلام الفارغ ضد الوفديين أو يوغروا صدره ضد مصطفى النحاس كما كانوا يفعلون مع «المرحوم» أبيه .. وهذه تكون مصيبة لأن فاروق اذا اصطدم بالوفد فسوف يأكله مصطفى النحاس .. وأنا أعلم ان لك أصدقاء بين كبار الوفديين وأطلب منك أن تذهب وتقول لهم بلسانى ونيابة عنى ان نازلى تقول لكم : « فاروق ابنكم فخذوه وربوه وعلموه . وانها تضعه أمانة فى أيديكم ولكنها تنصحكم فى نفس الوقت أن تبعدوا عنه بل وعن السراى كل هذا « الطقم القديم » ..

وهكذا قدرت الملكة الأم أنها تستطيع أن تنقذ ابنها الغلام وتنقذ عرشه اذا هى أسلمته أمانة الى الوفديين الأقوياء أصحاب الحكم والاغلبية « يربونه ويعلمونه » .. ويبعدون عنه رجال « الطقم » القديم .

أو بعبارة أخرى لقد أرادت نازلى أن تلجأ الى شهامة الوفديين . وكان رجال « الطقم » القديم ــ كما أسمتهم ــ هم : سعيد ذو الفقار كبير الامناء ، وشوقى باشا السكرتير الخاص ، وعبد الوهاب طلعت باشا مدير الادارة العربية .

وذهب حسين صبرى باشا الى صديقه السيد عبد الحميد البنان وأبلغه رسالة شقيقته الملكة السابقة ونقل عبد الحميد البنان الرسالة الى أحمد ماهر ومصطفى النحاس ..

ولكن الوفد أو حكومة الوفد لم تعمل بمشورة نازلى فلم تطلب اقصاء أو طرد أى موظف كبير من موظفى القصر.. بل أبقوا القديم على حاله . ولو انهم كانوا عملوا بنصيحة نازلى وتقدموا الى مجلس الوصاية طالبين فصل أو نقل فلان وفلان وفلان من كبار موظفى السراى لأجابهم مجلس الوصاية الى طلبهم .. خصوصا ان رئيس المجلس المذكور الامير محمد على توفيق كان يكره جميع كبار موظفى السراى بالجملة والقطاعى .

وشريف صبرى عضو المجلس هو شقيق الملكة السابقة نازلى . وكان طبيعيا أن ينفذ مشورة شقيقته. والعضو الثالث عبد العزيز عزت باشا كان رجلا مسالما ويميل ــ اذا مال ــ الى جانب الوفديين .

ولكن حكومة النحاس الوفدية أهملت أولعلها استهانت بالامر كله ولم تر داعيا أو ضرورة لعمل أى شيء .

وكان الوفديون يعتقدون يومئذ ان الجو قد صفا لهم . وانهم باقون فى الحكم الى ما شاء الله .. فخصمهم القوى العنيد الملك أحمد فؤاد قد مات .. وأسباب الخصام والصدام بينهم وبين الانجليز الذين كانوا أصحاب الكلمة الاولى فى شئون مصر وحكم مصر .. هذه الاسباب قد زالت بعد عقد معاهدة عام ١٩٣٦ ، وعلى العرش غلام صغير أو «ولد» كما كانوا يصفون فاروق فى مجالسهم الخاصة ــ ولد صغير لايجرؤ على الوقوف أمامهم .. وهم أصحاب الاغلبية الساحقة فى مجلسى البرلمان .

صفا لهم الجو اذن وطاب .. فما الحاجة اذن وما

الضرورة لاجراء عملية قاسية مثل فصل أو طرد عدد من كبار موظفى السراى ..

وهكذا بقى « الطقم » القديم . وتولى فاروق سلطاته الدستورية وليس فى القصر كله مسئول واحد أو موظف كبير واحد يحب الوفديين أو يرضى أن يقول فيهم كلمة واحدة طيبة .. حتى ولو كانت كلمة يفرضها العدل والانصاف .. لأنهم جميعا كانوا من رجال الملك احمد فؤاد .. الطاغية المستبد الذى لم يكن يؤمن بشيء اسمه الشعب أو حقوق الشعب أو الدستور أو الحياة النيابية وكان «رجاله» هؤلاء من نفس رأى «مولاهم» احمد فؤاد

واقترحت حكومة الوفد أول ما اقترحت تعيين الاستاذ عبد الفتاح الطويل رئيسا لديوان جلالة الملك . وقالت فى تأييد أو فى تزكية هذا الاقتراح ان الاستاذ الطويل سبق له أن تولى منصب الوكيل البرلماني لوزارة شئون القصر .. وانه والحالة هذه على علم وخبرة بهذه الشئون وانه على علاقات طيبة مع جميع موظفى القصر .. الذين يذكرونه ويذكرون العمل معه بالحمد والثناء .

وهنـــا قال كبار موظفي القصر : نعوذ بالله من عبد الفتاح الطويل والعمل مع عبد الفتاح الطويل .

لقد كان كذا وكذا .. ولقد قاسينا من العمل معه كيت وكيت .. ثم .. ما معنى أن يكون رئيس الديوان وفديا من صميم الوفديين ..

وكان هذا هو اعتراض فاروق .. فقد قال : ان رئيس الديوان بطبيعة عمله ومنصبه هو حلقة الاتصال بين الملك أى رئيس الدولة وبين الوزارة .. وهو الحكم والميزان .. وهو مطالب بتسوية أى مشكلة أو خلاف فى الرأى قد يقوم بين القصر والوزراء .. ومن هنا يجب أن يكون رجلا مستقل الرأى محايدا لا يميل مع الهوى

لا رجل حزب قد اقسم يمين الولاء والطاعة لرئيس حزبه مصطفى النحاس .. والا فكيف يمكن لرجل حزبى مثل عبد الفتاح الطويل اذا اختلف القصر مع الوزارة فى أمر من الامور .. كيف يمكن له أن يتحرر من هواه الحزبى والا يميل بكفة الميزان ؟ غير معقول .

ثم قال فاروق :

ـ انا اريد أن يكون الى جانبى رئيس ديوان يقول دائما كلمة الحق .. ويسوى المشاكل ويصون حقوقى .. لا رجل وفدى سوف يكون همه أن يأخذ منى لكى يعطى حكومة حزبه .. واذا وقعت فى خلاف مع النحاس وجدت انني قد وقعت فى خلاف مع النحاس وعبد الفتاح الطويل .. وتصبح المشكلة مشكلة مع رئيس الحكومة ومع رئيس الديوان .

وطبعا لم يكن هذا الرد المنطقي القوى من تفكير فاروق الذى كانت سنه يومئذ ثمانية عشر عاما هلالية .. أو سبعة عشر عاما ميلادية .. والذى كان نصف أمى لم ينل من العلم الا قشورا بل أقل من القشور .. والواقع أنه كان الرد الذى لقنه اياه السيد عبد الوهاب طلعت

وكان عبد الوهاب طلعت لايزال يومئذ الصديق المخلص للسيد على ماهر .. وكان يقوم بدور همزة الوصل أو « ضابط الاتصال » بين على ماهر وفاروق .. ينقل الى على ماهر أولا بأول كل ما يدور بين القصر والوزارة .. ويعود بآراء على ماهر وفتاواه فى المشاكل وبما ينبغى أن يقوله فاروق لرئيس الحكومة .

وعدل مصطفى النحاس عن ترشيح الاستاذ عبد الفتاح الطويل . وعرض بدلا منه اسم دكتور حافظ عفيفى سفير مصر يومئذ فى لندن وهو يقول :

ـ لقد اعترضتم على تعيين رجل وفدى فى منصب

رئيس الديوان.. وهاهو حافظ عفيفى.. رجل مستقل كان موضع ثقة المرحوم الملك أحمد فؤاد .. ولم يكن وفديا فى يوم من الايام .. بل لقد كان فى وقت ما حرا دستوريا ومن ألد خصوم الوفد والوفديين .

وجاء الرد من القصر :

ـ كله الا كده .. كله الا حافظ عفيفى .. انه رجل متهم بالعيب فى الذات الملكية .

وكيف ذلك ؟

كان فاروق قد زار انجلترا صيف عام ١٩٣٧ قبل عودته الى مصر . وكان الدكتور حافظ عفيفى قد « تشرف » بالمقابلة بصفته سفير مصر هناك ..

وجاء « ابن الحلال » الذى قال لفاروق ان حافظ عفيفى خرج بعد المقابلة يقول : « ده لسه عيل صغير وبكره الوفديين يحطوه فىجيبهم » وهذه هى تهمة العيب فى الذات الملكية التى تمنع من تعيين حافظ عفيفى فى منصب رئيس الديوان .

وكيف تطلبون تعيين حافظ عفيفى رئيسا لديوان الملك وهو الذى قال عن الملك انه : « لسه عيل ؟ » .

وأثناء هذه المفاوضات والمناقشات حول رئيس الديوان ومن يرشح له.. كان الخلاف قد بدأ بين الاستاذ مكرم عبيد وعثمان محرم من جانب ، والنقراشى ومحمود غالب من الجانب الآخر .

وتطور الخلاف واشتد .. وقرر النحاس أو مكرم عبيد أو كلاهما معا ان التعاون مع النقراشى وزميله محمود غالب داخل هيئة الوزارة أصبح أمرا مستحيلا. وانتهى الامر بخروج الاثنين من الوزارة .

ورأى الوفد ـ أو النحاس ومكرم عبيد ـ ان من الصواب استرضاء النقراشى الذى كان معدودا يومئذ

من كبار أقطاب الوفد وله نفوذه وله أنصاره وخصوصا بين شباب الوفد وأعضاء الهيئة الوفدية .. رأوا أن يسترضوه فعرضوا عليهمنصبمندوب الحكومة المصرية لدى شركة قناة السويس وكان المنصب شاغرا يومئذ. ولمن يشغل هذه الوظيفة أو هذا المنصب مكافأة سنوية قدرها خمسة آلاف جنيه .

وتم العرض فى « بيت الامة » وفى مكتب سعد زغلول وكان الوفد لايزال يجتمع ويعقد اجتماعاته فى بيت سعد وكان رئيس الوفد مصطفى النحاس يستقبل زائريه فى مكتب سعد زغلول .

وفى هذا المكتب استقبل النحاس «زميله» النقراشى وعرض عليه المنصب المذكور وأبدىالنقراشى شكره وقد بدا عليه التأثر الشديد وقام وعانق مصطفى النحاس . واعتقد الجميع ان المسألة قد سويت .. وان السحابة انقشعت وان خروج النقراشى من الوزارة لن يؤثر على علاقاته مع زملائه أعضاء الوفد .. أو على مركزه فى هيئة الوفد .

ولكن جريدة « البلاغ » لم تسكت بل انتهزت هـذه الفرصة وخرجت بمقال لصاحبها الصحفى الكبير تعاتب فيه ــ أو تعيب فيه ــ على النقراشى قبوله للمنصب ذى الخمسة آلاف جنيه .

وجريدة « البلاغ » كانت معدودة يومئذ لسان حال القصر وكان صاحبها المرحوم الاستاذ عبد القادرحمزة قد بدأ يشن هجومه العنيف على الوفد ورئيس الوفد وحكومة الوفد ..

وقالت الجريدة فى مقالها المذكور انها لا تصدق هذا الخبر بل وترفض أن تصـدق ان رجلا مشـهودا له بالنزاهة والاعتزاز بالنفس مثل محمود فهمى النقراشى

يرضى أن يساوم على مبادئه وعلى نزاهته .. فيتراجع عن خطوة خطاها .. الى آخره .

وكلاما كثيرا فى هـذه المعـانى . وكان للمقال أثره المقصود .. وأعلن النقراشي ـ رحمه الله ـ انه لم يقبل المنصب المعروض وانه ماض فى سياسته وفى معارضـة مشروعات عثمان محرم وزير الاشغال .

وتكهرب الجو من جديد .. وعاد الخلاف الى ماكان عليه .. وبدا ان فصـل محمود النقراشي من عضوية الوفد المصرى أمر لابد منه .. وهنا ارتفعت أسـهم الاستاذ عثمان محرم الذى كان اختلف مع النقراشي .. ومكرم عبيد الذى كان اختلف مع محمود غالب .. وارتفعت كذلك أسهم نجيب الهلالى .. لأنه ـ كما ذكرت فى مقال سابق ـ كان خصما للنقراشي وكان بين الاثنين عداء أو كراهية لا يعرف أحد على وجه التحقيق كيف بدأت ..

ارتفعت أسهم الاستاذ الهلالى فى دوائر الوفد .. وبين يوم ويوم أصبح مقربا من رئيس الوفد مصطفى النحاس وسكرتير الوفد مكرم عبيد ومعدودا من كبار أقطاب الوفديين ..

وتذكر النحاس ومكرم عبيد ان محمد التابعى كان أرسل اليهما من انجلترا خطابا ذكر فيه خلاصة حديث دار بينه وبين الدكتور عباس الكفراوى طبيب فاروق الخاص .. وكيف ان طبيب الملك يرشح نجيب الهلالى لمنصب رئيس الديوان .. تذكرا هذا الخطاب وهـذا الترشيح .. فتقدما الى القصر يقترحان تعيين الاستاذ الهلالى رئيسا للديوان .

وقال فاروق : « اشمعنى دلوقت ؟ لقـد رفضتم تعيين الهلالى أيام كان مستقلا والآن ترشحونه بعد أن

اصبح وفديا ؟.. كلا .. »

وأصر فاروق على أن رئيس الديوان يجب أن يكون رجلا مستقلا .. ومن غير رجال الاحزاب ..

***

وعادت حكومة الوفد ورشحت لمنصب رئيس الديوان المرحوم الاستاذ محمد أمين يوسف الذى كان يشغل منصب وزير مصر المفوض فى واشنطون وكان موجودا يومئذ « فى اجازة » .

وعاد رسول الوفد يحمل رد القصر على هذا الترشيح بالرفض .. لماذا ؟ لأن فاروق كان قد اجتمع بمحمد أمين يوسف على ظهر الباخرة النيل أثناء عودة «جلالته» من رحلته الى أوروبا .. وعودة المرشح المذكور بالاجازة من أمريكا وقد لاحظ فاروق ان وزيره المفوض كثيرا ما يرفع الكلفة بينه وبين « مولانا » فيضحك مثلا أمامه بصوت عال . وفى كلمة واحدة فان «مولانا» لم يستخف دم الاستاذ محمد أمين يوسف ..

***

وانتهى الوفد الى هذه النتيجة وهى ان فاروق مصمم على رفض أى مرشح وكل مرشح تقدمه حكومة الوفد. لأنه يريد تعيين على ماهر رئيسا للديوان ..

وبعث مصطفى النحاس رسولا الى القصر يقول بلسانه ان على ماهر رجل «مستحيل» والتعاون معه أمر مستحيل كما تدل السوابق.. وان حكومة الوفد النيابية الدستورية لايمكنها أن تقر تعيين السيد على ماهر فى هذا المنصب الخطير لأنه رجل سبق له أن اشترك مع محمد محمود باشا ثم مع اسماعيل صدقى باشا ومن قبلهما مع أحمد زيور باشا فى الاعتداء على الحياة النيابية وعلى الدستور والوفد حامى الحريات وحامى الحياة النيابية وحامى

الدستور لايستطيع ان يوافق على تعيين هـذا الذى اعتدى على الحريات وعلى الحياة النيابية وعلى الدستور

وتأزم الموقف بين فاروق وحكومة الوفد . ولم يكن الخلاف حول الذى يعين رئيسا للديوان سوى سبب واحد أو مصدر واحد من مصـادر الخلاف فقد كان هناك أكثر من مصدر وأكثر من سبب واحد ..

كان هناك مثلا « القمصان الزرق » وهى الهيئة أو المنظمة التى أنشأها الوفد على غرار القمصان السود فى ايطاليا الفاشية و«القمصان البنى» فى المانيا النازية . وقال فاروق يومئذ ـ أو قيل له ـ ان النحاس باشا يمهد بقمصانه الزرق لاقامة نظام ديكتاتورى يحكم به مصر كما يحكم موسولينى فى ايطاليا وهتلر فى المانيا .

وكانت هناك مسألة التاج الذى يشتهيه فاروق وكان يريد أن تقام له حفلة كبرى يدعى اليها ملوك ورؤسـاء الدول فى العـالم .. وكان المفروض أن تكتتب جميـع الطوائف والطبقات بتكاليف صنع هذا التاج .

وكان الوفد ـ أو حكومة الوفد ـ يعارض أولا فى حكاية التاج هذه ويقول ان التاج أمر مخالف للشريعة الاسلامية ، ولكن فاروق طلب من المرحوم الاستاذ الشيخ المراغى شيخ الجامع الازهر يومئذ أن يعلن أن ليس فى « التاج » شىء يخالف الاسلام . وتحدث شيخ الازهر فعلا الى جريدة « المصرى » فى هـذا المعنى وأعلن ان الاسلام عرف ولايزال يعرف التاج والتيجان وأن ليس فى حمل التاج ما يخالف تعاليم الاسلام . « وكان الشيخ المراغى ـ رحمه الله ـ كما هو معروف رجل القصر » .

وهنا تراجع الوفد .. ووافق على مشروع التاج ، ولـكن موافقته كانت من طرف اللسان !

وخاف خصوم الوفد أن تكون حكاية التاج هذه سببا

فى اطالة عمر وزارة الوفد اذ ان جمع المال اللازم من طبقات الشعب قد يستغرق شهورا .. وعمل التاج ـ وكان المقرر أن يكلف بصنعه محل «كارتييه» الجواهرجى الشهير فى باريس ـ سوف يستغرق شهورا .. ثم الاستعدادات الضخمة لحفلة التتويج التى سوف يدعى اليها ملوك ورؤساء حكومات العالم .. الى آخره .. كل هذا قد يستغرق عاما أو عامين ..

خاف اذن خصوم الوفد أن يكون مشروع التاج سببا فى اطالة عمر وزارة مصطفى النحاس فقالوا لفاروق أن الوفد لم يعدل عن معارضته ويوافق على تقديم التاج الا لأنه يجد فيه فرصة طيبة لتحريض الشعب ضد « مولانا » ونشر أسباب التذمر والشكوى من صاحب الجلالة .. ذلك لأن فى البلاد أزمة اقتصادية واسعار القطن فى هبوط .. ولسوف يجمع اعوان الحكومة والوفد المال من الاهالى ومن الفلاحين بالقوة والاكراه ويقولون لهم ان هذه أوامر الملك الشاب لأنه يريد أن يضع على رأسه تاجا وتقام له « زفة » يدعى اليها ملوك العالم ؟

واقتنع فاروق .. وأمر باصدار بلاغ الى الصحف يعلن فيه عدم رغبته فى التاج مراعاة للحالة الاقتصادية فى البلاد وشفقة ورحمة برعاياه المخلصين .

ولكن فاروق أحس مرارة الخيبة فى فمه فقد كان يشتهى فعلا تاجا يضعه على رأسه ومن ثم ازداد كرهه للوفد ولمصطفى النحاس الذى كان السبب فى حرمانه من تاجه المنشود .

وادركت مما كنت أسمعه من أفراد الحاشية المقربين الى فاروق ان الامور تسير من سيىء الى أسوأ . وكنت يومئذ أقوم ـ بصفة غير رسمية ـ بما يشبه مهمة « ضابط الاتصال » بين فاروق وحكومة الوفد .

وكنا فى أوائل شهر سبتمبر . وذات مساء زرت «رفعة» رئيس الوفد ورئيس الحكومة فى داره فى سيدى بشر برمل الاسكندرية وكان يجلس مع «رفعته» الدكتور محمد صلاح الدين ..

ولكننى لم أكد أبدأ الحديث فيما جئت من اجله حتى أشار النحاس الى صلاح الدين أن ينسحب فانسحب .

وتحدثت طويلا الى « رفعته » وكان حديثى كله فى معنى واحد وهو ان « جلالة الملك » قد بدأ يسيء الظن بالوفد ورئيسه لأنه أصبح يعتقد ان النحاس باشا يكرهه ويريد الاعتداء على حقوقه .. وان بعض كبار الوفديين يتحدث فى المجالس الخاصة عن فرصة الانتقام من الملك فاروق لما فعله معهم أبوه الملك فؤاد .

ورفع النحاس باشا يديه واستعاذ بالله وقال ان هذه كلها أكاذيب من صنع خصومه وانه ــ واقسم بالله العظيم ــ « يحب فاروق ويستبشر به ويرى الخير فى وجهه » .

ثم استطرد يقول :

ــ وأنا لا أفكر ، ومعاذ الله أن أفكر فى الاعتداء على حق واحد من حقوقه الدستورية ، ولكننى فى نفس الوقت لا ولن أفرط فى حق واحد من حقوق الامة وحقوق حكومتها النيابية التى كفلها الدستور .

وكان « رفعته » يشير الى مسألة تعيين رئيس الديوان وحق الحكومة فى اختيار الذى يعين فى المنصب المذكور.

ثم قال انه لايستطيع أن يمنع « بالقوة » تعيين على ماهر باشا رئيسا للديوان ولكن ...

ــ وليكن هذا مفهوما منذ الآن .. ولكننى لن أوافق على هذا التعيين ..

قلت :

وامر آخر يأخذونه عليكم وهو ان الوزارة لم تقم حتى الآن بعمل ما تظهر به ارتياحها وسرورها بخطبة جلالة الملك .

وكان فاروق قد أعلن خطبة الآنسة صافينازذوالفقار قال وهو يدق بيده المائدة الصغيرة :

ـ أهى دى معاهم حق فيها .. أيوه معاهم حق .. تمام معاهم حق ..

ثم قال انه سوف يقيم بعد غد حفلة شاى فى حديقة انطونيادس ابتهاجا بالخطبة الملكية السعيدة .

واقيمت الحفلة ودعى اليها جميع الشيوخ والنواب وكبار موظفى القصر . وتخلف عن حضور الحفلة مكرم « باشا » عبيد بسبب وعكة أصابته .

وحضر الحفلة النقراشى « باشا » .. وما أن رآه الشيوخ والنواب الوفديون حتى أحاط به عدد كبير منهم يرحبون به ويرجونه أن يسوى الخلافات التى بينه وبين زملائه أعضاء الوفد .

وبينما هم كذلك أقبل مصطفى النحاس . ورأى النقراشى فتقدم منه ومد اليه يده ، وتصافح الرجلان ، وصفق الحاضرون وهتف الاستاذ حسن يس بحياة النحاس

وردد الحاضرون الهتاف ثم هتف بحياة النقراشى ، وردد الحاضرون الهتاف ، وهنا تعانق النحاس والنقراشى ودوى التصفيق الحاد وعلا الهتاف .

وتفاءل الحاضرون خيرا واستبشروا بعودة المياه الى مجاريها بين النقراشى ومصطفى النحاس .

وبعد الحفلة ذهبت أعود الاستاذ مكرم عبيد فى داره وصعدت اليه فى غرفة نومه وكان مستلقيا فى فراشه ولا بد ان أحدهم كان أبلغه بالتليفون خبر مقابلة النحاس مع النقراشى وكيف تصافحا وتعانقا وصفق لهما الشيوخ

والنواب ، لأنه سألني عن التفاصيل فرويتها له ..
وعلت فمه ابتسامة يعرفها أصدقاؤه .. وقال :
ــ كده .. طيب لما نشوف ..
ثم تناول سماعة التليفون الموضوع بجانب فراشه وطلب دار « رفعة » الرئيس ، وكان النحاس باشا قد عاد الى داره مباشرة بعد انتهاء حفلة الشاى ، وبعد حديث قصير عن وعكة مكرم وما الذى يشكو منه قال الاستاذ مكرم وهو يضحك ضحكته القصيرة المتقطعة :
ــ مبروك يا باشا ..
ولابد ان النحاس باشا سأله « مبروك على ايه ؟ » لأنه قال مع الضحكة القصيرة المتقطعة ــ مبروك الصلح مع النقراشى ..
ولم أسمع طبعا ماذا قال مصطفى النحاس ، ولكننى فهمت من رد مكرم عبيد ان النحاس أنكر أن هناك صلحا لأن مكرم قال :
ــ أنا كمان استغربت الخبر وقلت مش معقول ..
وانتهى الحديث ، وعادت الابتسامة الطبيعية المشرقة الى فم الاستاذ مكرم عبيد .. ذلك لأن الاستاذ مكرم عبيد كان لايزال يؤمن الايمان كله فى ذلك الوقت ان كل عضو يختلف مع رئيس الوفد مصطفى النحاس يجب أن يبتر من جسم الوفد بلا تردد أو رحمة ..
كان هذا هو مبدأ مكرم عبيد فى عام ١٩٣٧ وهو نفس المبدأ الذى طبقه عليه مصطفى النحاس فى عام ١٩٤٢ .
ولقد كان لاختلاف النقراشى مع مصطفى النحاس ومكرم عبيد نتيجة لم تخطر ببال أحد فى أول الامر .
لقد توقعوا مثلا ــ وهو ما حدث فعلا ــ أن يغضب أحمد ماهر لغضب صديقه وزميله النقراشى وأن يقف الى جانبه يؤيده ويدافع عنه وعن رأيه .. ولكن أحدا

لم يتوقع أن تغضب السيدة الجليلة صفية زغلول كل هذا الغضب من أجل النقراشي الى حد أن تهدد باغلاق بيت الامة أو بيت سعد فى وجه الوفد ومصطفى النحاس اذا استمر هذا الخلاف .. وهو ماحدث فعلا بعد ذلك ببضعة شهور .

ان أحدا من أعضاء الوفد لم يكن يتوقع هذه الغضبة من جانب « أم المصريين » . ولكنها غضبت ولم تخف انتقادها المر لمصطفى النحاس ومكرم عبيد وسياسة الاثنين التى توشك أن تمزق الوفد ـ تراث سعد ـ شيعا وأحزابا ..

وقيل يومئذ ان السيدة الجليلة لم تكن تنتظر سوى حادث ما ـ أى حادث ـ لكى تعلن سخطها وغضبها على مصطفى النحاس ومكرم عبيد .. وان حكاية النقراشى لم تكن السبب الحقيقى وان كانت السبب المباشر لغضب السيدة أم المصريين .

وقال لى الاستاذ مكرم عبيد فى حديث طويل ان السيدة الجليلة غاضبة من الوفد منذ زمن طويل وانها كانت تتحين الفرصة التى تعلن فيها هذا الغضب ..

قال : لقد أدخلوا فى روعها انها «جان دارك» مصر ..

سألته : من هم الذين أدخلوا هذا فى روعها ؟

قال : بعض أقاربها وأنسابها ..

ومضى الاستاذ مكرم عبيد فى حديثه فقال :

ـ لقد قالوا لها اننا أخطأنا فى حقها يوم سافرنا الى لندن لامضاء المعاهدة « معاهدة ١٩٣٦ » ولم نصحبها معنا لكى تشترك مع بقية زعماء مصر فى امضاء المعاهدة بصفتها أرملة سعد زغلول .. ولقد عاتبتنا حضرتها على هذا .. كما لامنا بعض الناس اننا لم نطلب من مجلس الوصاية الانعام عليها بالوشاح الاكبر من نيشان محمد

على .. أسوة بالذين أنعم عليهم منا بالوشاح المذكور..
وذات مرة استدعتنى الى مقابلتها وقالت لى انها لاحظت اننا لم نعد نستشيرها فى أمورنا وفى شئون البلد كما كنا نفعل من قبل .. وانها قد أصبحت فى نظرنا كمية مهملة
قال مكرم :
ـ واستغفرت الله وأكدت لها انها ما زالت عندنا كما كانت موضع الاحترام والتقدير ولكن اذا كنا لم نعد نستشيرها كما كنا نفعل فذلك لأنه ليس هناك ما نستشيرها فيه .. وقد كنا نسألها الرأى أيام كنا فى المعارضة وكنا نعرض عليها بيانات الوفد ونداءات رئيس الوفد الى الامة وما أشبه ..

اما اليوم ففى اى الامور أستشيرها أنا مثلا ؟ هل اذهب اليها كوزير للمالية واستشيرها فى امر الاعتماد المخصص لبناء دار جديدة لمحكمة مصر الشرعية ؟ أو يذهب اليها زميلى وزير الخارجية ويستشيرها فى أمر فتح قنصلية جديدة لمصر فى مدينة ميلانو ..
اذن فقد كانت السيدة الجليلة ــ يرحمها الله ــ غاضبة ساخطة على الوفد ورئيسه وسكرتيره ولم تكن تنتظر سوى الفرصة الملائمة لاعلان هذا الغضب ..
وقد سنحت الفرصة واعلنت أم المصريين غضبها وانها تقف الى جانب النقراشى وكان النقراشى ــ رحمه الله ــ من انسبائها وزوجا لسيدة كريمة من بنات الأسرة ..

وهكذا .. كسب النحاس ومكرم خصما جديدا قويا فى شخص زوج سعد وأم المصريين وكانت صفية هانم زغلول صديقة لنازلى ملكة مصر .. وكانت نازلى تحترم أم المصريين احتراما شديدا .. ولا عجب فقد كانت الآنسة نازلى صبرى تقبل يد صفية هانم زغلول قبل أن تصبح سلطانة مصر وزوج السلطان أحمد فؤاد ..

وزارت أم المصريين القصر .. واستقبلها فاروق وأمه نازلي بالتحية والاكرام ..

ولم تخف السيدة الجليلة رأيها وخيبة أملها في مصطفى النحاس ومكرم عبيد وسياستهما التى توشك أن تمزق الوفد شيعا وأحزابا ..

وأدرك فاروق انه اذا وقع خلاف بينه وبين الوفد وحكومة الوفد فان أرملة سعد زغلول أم المصريين سوف تقف الى جانبه وتؤيده أمام الشعب الذى كان ولايزال يقدس ذكرى زوجها الراحل العظيم .

***

وهكذا .. لم يكن قدمضى على عودة فاروق من رحلته الى أوروبا وممارسته لسلطاته وحقوقه الدستورية شهران اثنان — من ٢٨ يولية الى آخر سبتمبر ١٩٣٧— حتى كانت حكومة الاغلبية الوفدية تواجه جبهة قوية معارضة مكونة من :

رأس الدولة فاروق

جميع كبار موظفى القصر أو «الطاقم» القديم الذى ترعرع ونما فى عهد الطاغية أحمد فؤاد .

على ماهر وأعوانه وأذنابه فى القصر وخارج القصر .

أحزاب الاقلية . الاحرار الدستوريين والوطنيين والاتحاديين « ولم يكن حزب السعديين قد تكون بعد » .

وفوق هذا وذلك خلاف فى صفوف الوفد يوشك أن ينتهى بخروج النقراشى واحمد ماهر ومعهما عدد من الشيوخ والنواب .

كل هذه العوامل مجتمعة أضعفت هيبة الوفد فى نفس فاروق .

ومن ثم أقدم على ما كان مترددا فى الاقدام عليه خوفا من صولة الوفد وشوكته .. وتحدى حكومة الوفد ،

وأصدر أمره «الكريم» بتعيين على ماهر رئيسا للديوان.
وكان هذا فى شهر أكتوبر ١٩٣٧ ..

اذن فقد أقدم فاروق على اتخاذ الخطوة التى كان مترددا فى اتخاذها .. فأصدر أمره بتعيين على ماهر باشا رئيسا لديوانه .

وكان هذا التعيين أو هذه الخطوة ايذانا بسياسة التحدى التى سار عليها فاروق ورجاله .. سياسة التحدى للوفد ورئيس الوفد وحكومة الوفد وأغلبيتها الماحقة فى مجلسى البرلمان .. وايذانا بسياسة الاستهانة والاستهتار بسلطة البرلمان وحقوق الشيوخ والنواب ممثلى الامة.. أو بعبارة أخرى : سياسة استهانة القصر واستخفافه بالحكم النيابى وحقوق وحريات وسلطات الشعب .

ولسوف يقول التاريخ ان المسئول عن هذه السياسة وهذا الاتجاه الخطير الذى سارت فيه سياسة القصر ابتداء من خريف عام ١٩٣٧ .. المسئول هو رئيس الديوان السيد على ماهر ...

ولقد سمعتها بنفسى من جميع كبار موظفى القصر ولا أحب أن أذكر هنا أسماء حتى لا أحرج أحدا منهم .

وكان احمد حسنين ــ رحمه الله ــ قال لى ذات يوم ونحن على ظهر الباخرة « النيل » فى طريق عودتنا مع فاروق الى مصر ــ وقد أكون أشرت الى هذا الحديث ــ قال :

ــ ان أخشى ما أخشاه أن يسير فاروق فى نفس الطريق التى سار فيها أبوه من قبل.. ولقد صحبتنا خمسة شهور وعرفت الملك ودرست أخلاقه عن قرب ولعلك لاحظت انه عنيد وانه اذا داس أحد على طرفه شب على قدميه وضرب المعتدى بشدة وعنف.. ولهذا

أرجوك أن تقنع أصحابك الوفديين بأن فؤاد قد مات.. وان فاروق لا ماضى له معهم وانه فى امكانهم بشىء من السياسة والكياسة أن يكسبوه . وعليهم أن يقدروا مركزه وشعوره بأنه لايزال غلاما وان أقاربه الأمراء سوف يضحكون ويسخرون منه ويعيرونه بحداثة سنه وقلة خبرته اذا هو أظهر ضعفا امام الوفديين ويعقدون المقارنات بينه وبين أبيه .. قل للوفديين أن يجعلوا لهذه المسألة تقديرا فى حسابهم فلا يقدموا على عمل يكشف عن ضعف هذا الملك الشاب أو يثير سخرية اقاربه الأمراء .. والا فانه لن يسكت بل سوف يشب على قدميه ويرد الصاع صاعين .. ويوم يسير فاروق فى نفس الطريق التى سار فيها أبوه الملك أحمد فؤاد أى طريق اقالة الوزارات وحل مجالس النواب فانه سوف يسير فى الطريق ويندفع فيها الى نهاية الشوط لأنه شاب وعنيد ومعتز بحب الشعب له والتفافه حوله .. وليس له ـ ما كان لأبيه ـ من خبرة ومرونة ودهاء ..

وهذه هى خلاصة حديث أحمد محمد حسنين على ظهر الباخرة « النيل » قبل وصولنا الى الاسكندرية بيومين اثنين .

وفى اليوم السابق على وصولنا الى الاسكندرية .. وكنت متكئا بذراعى على حاجز السفينة شعرت بيد على كتفى فالتفت واذا به فاروق. وألقيت فى الماء بالسيجارة التى كانت فى يدى .

وقال فاروق :

ـ لعلك كنت «سارحا» فى مصر التى نصل اليها غدا وأنا أيضا أفكر فيها كثيرا فى هذه الايام وفى المسئوليات التى سوف أحملها على كتفى .

ثم قال ـ من حديث طويل ـ انه لايعرف شيئا عن

أحوال البلد ولم يدرس بعد سياسة البلد وسياسة الاحزاب وان أمامه خمس سنوات سوف يقضيها فى الدرس والبحث .. وانه لن يتدخل فى شئون الحكم الا بأقل قدر ممكن ثم ــ وهذه كلماته بحروفها :

ــ وفى البلد أغلبية تحكم وسوف أتركها تحكم .. والشعب وحده هو الذى يغيرها اذا شاء ..

***

ووصلنا الى الاسكندرية فى صباح اليوم التالى . وارتدى فاروق ورجال حاشيته سترة الردنجوت .

وكان أول من صعد الى ظهر الباخرة المرحوم سعيد ذو الفقار باشا كبير الامناء وخلفه المرحوم مراد محسن باشا ناظر الخاصة ..

وأسرع فاروق ليقابل كبير أمنائه الشيخ فى منتصف الطريق احتراما من الفتى للشيخ العجوز ورحمة به..

ومد فاروق يده ليصافح كبير أمنائه وعلى فمه ابتسامة ترحيب .. واذا بالشيخ كبير الامناء ينحنى فوق يد فاروق ويلثمها .. وأشهد ان فاروق حاول فى رفق أن يسحب يده حتى لايلثمها الشيخ العجوز.. ثم تركها ..

وتقدم مراد محسن باشا ولثم بدوره يد الملك .. وتراجع الرجلان بظهريهما الى الوراء ..

ثم صعد رئيس الوزراء والوزراء .. وبعضهم اكتفى بالانحناء فوق يد الملك الغلام .. وبعضهم الآخر لثم « اليد الكريمة » .

وأعتقد ان هذه اللحظة كانت نقطة التحول فى أخلاق فاروق أو فى نظرته الى البلد وكبار البلد من ساسة وزعماء .. فقد كانت هذه أول مرة ينحنى فيها شيوخ مسنون فى مثل سن أبيه أو جده ويلثمون يده .

ثم لم يمض يومان أوثلاثةحتى تحدث مصطفىالنحاس رئيس الوزراء عن « حكمة جلالة الملك المحبوب وعن ارشاداته السامية ونصائحه الغالية » ..

حكمة وارشادات ونصائح غلام أمى أو نصف أمى ؟ وكان فاروق يعرف عن نفسه وعن جهله أكثر مما يعرف الناس.. ماذا كان ينتظر من شاب حديث السن والخبرة ورث الملك والعرش والسلطان والثروة الطائلة والصحة والشباب والوسامة ـ يومئذ ـ ووجد من حب الشعب وتهليله ما وجد.. ومن خضوع كبار البلد وزعمائه ولثمهم ليده وتراجعهم بظهورهم الى الوراء أمامه ..

ماذا كان ينتظر منه الا أن يدور رأسه وتنقلب فيه الاوضاع والموازين ؟! ..

وأعود الى أصل الحديث : كان تعيين على ماهر رئيسا للديوان بالرغم من معارضة حكومة الاغلبية الدستورية ايذانا ببدء سياسة التحدى والاستهانة بالحكم النيابى وبالدستور .

وبدأت سياسة المرمطة المقصودة ، وراسم خطوطها « رفعة » رئيس الديوان على ماهر « باشا » .

كل طلب تتقدم به حكومة الوفد مرفوض ، المراسيم التى ترسلها الوزارة الى القصر للامضاء .. تعطل وتبقى فى الديوان .

وفى الصحف ـ بين الحين والحين ـ غمز ولمز فى حكومة الوفديين

وفى جريدة «البلاغ» بالذات ـ وكانت يومئذ كماسبق أن قلت لسان حال القصر وعلى ماهر رئيس الديوان ـ فيها وبقلم صاحبها الصحفى الكبير القدير مقالات نقد مرير لمصطفى النحاس وحكومته .

مثلا : مصطفى النحاس رجل مصاب بلوثة فى عقله !

ومصطفى النحاس يهدف لقلب نظام الحكم ويسلح عصابات قمصانه الزرق بالخناجر ! ومصطفى النحاس قليل الادب فى حق «سيد البلاد» لأنه يتأخر عن مواعيده مع فاروق ، ولأنه يخلع طربوشه ويمسح عرقه أمام فاروق .. الى آخره .. الى آخره .

وكنا نعرف ان وراء هذه الحملة السيد على ماهر رئيس الديوان ، ثم بدأ الخلاف بين الوزارة ورئيس الديوان حول مدى حقوق الملك الدستورية .. وما هى التعيينات التى تتم بمراسيم والتعيينات التى ينفرد بها الملك ويصدر بها « أمرا ملكيا كريما » .

وتمسكت الوزارة بنصوص الدستور .. وخصوصا بالنص القائل ان الملك يحكم بواسطة وزرائه ، لانه غير مسئول .. وان الملك يسود ولا يحكم ..

وقال على ماهر ان الملك يسود ويحكم معا .

وهكذا مضى رئيس الديوان « ينفخ » فى راس الملك الشاب ، ويفهمه — بالقول والعمل — أن ليس فى البلد كله مخلص لجلالته سواه ، لأنه حريص على حقوقه.. ولأنه ينزع له فى كل يوم حقوقا جديدة تزيد فى سلطة الملك وسلطانه .

وهكذا وضع على ماهر أساس سياسة المزايدة فى حقوق الملك على حساب حقوق الشعب والبرلمان .

هذا بينما وقفت أحزاب الاقلية المعارضة وزعماؤها يتفرجون شامتين فى الوفد وحكومة الوفد مسرورين فرحين بالمرطة التى يتلقاها مصطفى النحاس .

ولقد نسوا انه اذا كان هذا هو نصيب الاغلبية من الاحترام والتقدير أو الهزء والاستهانة فماذا يكون مصيرهم ونصيبهم هم اذا تولوا الحكم ؟

ولكنهم لم يفكروا ولم يقدروا ، أولم يهتموا لأنشهوة

الحكم كانت عندهم أقوى من كل شيء .. وكان كل همهم أن يحطموا الوفد والوفديين حتى ولو حطموا معهم حقوق البلد ودستور البلد أو باعوها للجلاد تمنا لرءوس الوفد والوفديين .

***

وكان الخلاف بين الوفد والنقراشي باشا قد بلغ مداه وأصدر الوفد قرارا بفصل النقراشي من عضوية الوفد .

واتخذ النقراشي «مكتبا» له بشارع المدابغ ــ شريف الآن ــ ولم يكن المكتب للتجارة أو السمسرة أو المحاماة أو لعمل ما مما تفتح المكاتب من أجله ، ولكنه كان للمعارضة

وهكذا كان مكتب المرحوم النقراشي باشا أول مكتب فيما أعلم يفتح للمعارضة .. وكان النقراشي يقابل أنصاره في المكتب المذكور ..

وبدأ الناس يتحدثون عن أحمد ماهر وكيف انه ضالع مع صديقه وزميله النقراشي وانه ينتظر الفرصة لاعلان خروجه على زعامة مصطفى النحاس ..

وكان المرحوم أحمد ماهر يومئذ رئيسا لمجلس النواب

***

وكانت الوزارة تتخبط في سياستها أو قل ان شئت انه لم تكن لها سياسة مرسومة . كانت مثلا تعارض فاروق في مسائل صغيرة وكانت ترفض له طلبات صغيرة وتقف منه موقف « العناد » ومن ثم تحمله على الاعتماد على دعاة السوء من خصوم الوفد وتغريه بالاصغاء اليهم والي مشورتهم . هذا بينما كانت في نفس الوقت تتساهل في أمور خطيرة وترفض أن تتخذ قرارات حاسمة أو تخطو خطوات جريئة يفرضها الموقف المضطرب مخافة أن يكون في هذه القرارات أو هذه الخطوات ما يخالف نصوص الدستور أو روحه ومعناه .

وضعفت هيبة الحكومة ، وارتفع مقام القصر وراح كل موظف كبير فى الدولة يتطلع الى القصر ويلتمس رضا القصر ، وعمت الفوضى .

وأذكر اننى كتبت يومئذ مقالا فى «آخرساعة» وجهت فيه الحديث الى «رفعة» مصطفى النحاس باشا وقلت فيه ما معناه : « أخشى من فرط حرصك على الدستور ان تضيع الدستور » .

وكان أعوان على ماهر باشا يتحدثون صراحة فى كل مجلس عن قرب سقوط وزارة الاغلبية البرلمانية الوفدية وكان الاحرار الدستوريون يتحدثون عن قرب عودتهم الى الحكم ..

وسافرت انا الى أوروبا فى مساء ٢٧ نوفمبر عام ١٩٣٧ على ظهر احدى البواخر . وفى صباح اليوم التالى دخل على خادم الباخرة يحمل الشاى ونسخة من البرقيات التى أذاعها ماركونى أثناء الليل .

وبينها برقية من القاهرة تقول ان مصريا اسمه كذا اطلق الرصاص على رئيس وزراء مصر ، بينما كان فى سيارته فى طريقه الى حفلة عامة .

وارسلت برقية الى النحاس باشا هنأته فيها بنجاته ثم قلت له : « احكم أو اترك الحكم » .

***

وفى يوم ٣١ ديسمبر ١٩٣٧ أصدر فاروق أمره الملكى باقالة وزارة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا.

وهكذا تحققت مخاوف أحمد محمد حسنين . وخطا فاروق اول خطوة فى نفس الطريق التى سار فيها أبوه أحمد فؤاد .

خطاها بمشورة رئيس ديوانه السيد على ماهر .

ونفس السيد على ماهر كان مستشار الملك احمد

فؤاد ورجله الاول فى حزب الاتحاد أو حزب السراى او حزب « القش » كما سماه الزعيم الخالد سعد زغلول. وكان هو صاحب الفتوى فى اقالة وزارة النحاس الاولى فى يونية عام ١٩٢٨ . وكانت هذه أول اقالة فى تاريخ الحكم النيابى فى مصر . فالسيد على ماهر الذى أفتى وفتح باب الاقالات أمام أحمد فؤاد فى عام ١٩٢٨ ، هو نفس السيد على ماهر الذى أفتى وكتب صيغة الاقالة وفتح نفس الباب أمام فاروق فى آخر ديسمبر ١٩٣٧ .

واندفع فاروق فى نفس الطريق حتى بلغ نهاية الشوط فلا حرمة للدستور ولا للبرلمان ولا للشعب وممثليه ولا لحقوق الاغلبية ..

أمر كريم مكتوب بخط جميــل على ورق مصـــقول وممهور بامضاء «سيدالبلاد» فاروق يكفى لشل الدستور وتعطيل نصوصه لفظا ومبنى ومعنى وطرد الحكومة التى اختارها الشعب لغير ما سبب سوى السبب الذى يفتى به رئيس الديوان .. على هواه .

***

ولم يفاجأ الوفديون بهذه الاقالة ، فان شائعات اقالة الوزارة كانت قد ملأت الجو . كما كان أنصار على ماهر وزعماء الاحرار الدستوريين ــ كما سبق ان ذكرت ــ قد ملأوا البلاد أخبارا عن قرب سقوط حكومة الوفد ، وعودتهم هم الى الحكم .

ولكن الوفديين لم يكونوا قد فقدوا كل أمل .. ذلك ان موظفا من موظفى وزارة المالية اسمه أمين عثمان كان نجمه بدأ يلمع لا لسبب الا لأنه صديق شخصى للسفير البريطانى سير مايلز لامبسون ولرجال السفارة ولكبار رجال الانجليز فى مصر .

وكان هذا الموظف أو النجم الصاعد من «محاسيب»

الاستاذ مكرم عبيد الذى كان أتى به من وظيفته المتواضعة فى الاسكندرية وأسبغ عليه رعايته وعطفه .

وكان أمين عثمان يقوم بدور الوسيط ويسهل أو يسوى الأمور بين الوزارة والسفير البريطانى وقال أمين عثمان للوفديين : « لا تصدقوا هذه الشائعات . وعندى تأكيد من سير مايلز لمبسون انحكومته لن تسمح باقالة الوزارة » .

قالها المرحوم أمين عثمان لمصطفى النحاس . وقالها لمكرم عبيد . وقالها لكل من قابله من أعضاء الوفد ..

وبدا يومئذ ان الأمر سباق بين على ماهر رئيس الديوان وبينأمينعثمان وسيط الوفد أيهما الذى يسبق صاحبه ويفوز بثقة وتأييد السفارة البريطانية . هل يفوز على ماهر فتطلق السفارة يده فى اقالة الوزارة وتقف على الحياد ؟ أو يفوز أمين عثمان وتتدخلالسفارة وتحول دون الاقالة ؟

وهكذا كان الأمر .. أكبر سلطتين فى الدولة .. القصر والوزارة الدستورية البرلمانية كلاهما يلتمس تأييد السفارة والسفير البريطانى .

وفاز على ماهر فوزا مبينا .. على أمين عثمان .. وكانت الاقالة ..

***

واجتمع مجلس النواب .. وأمر رئيس المجلس أحمد ماهر بتلاوة مرسوم الاقالة ثم قال انه لايسمح بالتعليق عليها .. وهاج النواب الوفديون .. ووقف أكثر من واحد منهم يعلق ويعقب على الاقالة ..

وأحمد ماهر يدق جرس الرياسة ويطلب من النواب عدم الكلام .. واشتد هياج النواب .. وكانت جلسة صاخبة .. وأخيرا أمر احمد ماهر بوليس المجلس باطفاء

الانوار .. ورفع الجلسة وغادر منصة الرئاسة .

واضطر النواب ان يغادروا المجلس، ومن هناك ذهبوا الى النادى السعدى ، ولم يتردد المرحوم احمد ماهر فى الذهاب معهم فقد كان رحمه الله لا تنقصه الشجاعة

ووقف أحمد ماهر بين صيحات الغضب والاستنكار والسخط والشتائم والاتهام بالخيانة وقف يهاجم سياسة مصطفى النحاس الخاطئة التى ادت الى اقالة الوزارة ..

واشتد هياج النواب وهياج أعضاء الوفد ..

وغادر احمد ماهر قاعة الاجتماع ، وانسحب معه تسعة وعشرون شيخا ونائبا من أعضاء الهيئة الوفدية.

خرج ، وخرجوا ولم يعودوا لأنهم أسسوا الحزب السعدى وانتخبوا أحمد ماهر رئيسا للحزب ومحمود فهمى النقراشى وكيلا للحزب .

وأعلنت المغفور لها صفية هانم زغلول انها كانت فتحت بيت الامة أو بيت سعد لأبناء سعد يجتمعون فيه .. ولكنهم ــ وقد اختلفوا وتفرقوا ــ فانها تغلق بيت سعد ولا تسمح لأحد منهم بعقد أى اجتماع فيه ..

واقيلت وزارة الاغلبيــة الوفدية بفتوى من رئيس الديوان على ماهر .. وكانت الفتوى « ان أعمال الوزارة تجافى روح الدستور » .

لأن الوزارة قالت : ان الملك يسود ولا يحكم .. بينما روح الدستور ــ هكذا يزعم رئيس الديوان ــ تنص على ان الملك يسود ويحكم .

واذن ففى موقف الوزارة مجافاة لروح الدستور .. وهكذا اقيلت وزارة مصطفى النحاس وخلفتها فى الحكم وزارة مؤلفة من الاحرار الدستوريين ومن كبار المستقلين برياسة المرحوم محمد محمود باشا .

وكان محمد محمود هو « الوريث » السياسي الطبيعي لمصطفى النحاس . فقد كان حزبه هو حزب المعارضة. وكان ـ رحمه الله ـ زعيم المعارضة .

ومن هنا لم يكن فى استطاعة على ماهر ان يقفز الى رياسة الوزارة مباشرة بعد اقالة مصطفى النحاس . والا لكانت المسألة « مكشوفة » ..

ترك « رفعته » اذن محمد محمود يتولى رياسة الوزارة .. ولكن الى حين !

***

واستصدرت الوزارة أمرا بحل مجلس النواب .. وأجريت انتخابات جديدة وكانت «جديدة» حقا فى نوعها فان التنافس بين المرشحين الوفديين وخصومهم من رجال الاحزاب الاخرى لم يكن يدور حول مبادىء او اختلاف فى السياسة الداخلية او الخارجية . كلا . بل كان يدور حول مدى اخلاص الطرفين لفاروق ..

وكان بعض المرشحين يلصقون اعلانات الدعاية لأنفسهم على جدران القاهرة مكتوبا فيها « انتخبوا فلانا مرشح السراي » ، أو « لا تنتخبوا فلانا لأنه مغضوب عليه من جلالة الملك المحبوب » ، ولم تجر الحكومة المؤتلفة هذه الانتخابات فى يوم واحد.. بل أجرتها على عدة أيام ..

أجرتها أولا فى الوجه القبلى ثم اجرتها فى الوجه البحرى ..

وحشدت قوات من الجيش ورجال البوليس وبعثت بها الى مراكز الانتخابات فى الوجه القبلى للمحافظة على الامن العام ..

ثم عادت ونقلت نفس القوات الى الوجه البحرى للمحافظة على الامن العام وكان واضحا ان قصد الحكومة هو الارهاب والتأثير فى حرية الانتخابات.. وادرك رجال

الادارة فى الاقاليم ان المطلوب هو اسقاط مرشحي الوفد فعملوا على اسقاطهم .. واسفرت نتائج الانتخابات الاولى – فى الوجه القبلى – عما يشبه الفوز لحزب الاحرار الدستوريين دون السعديين ..

وهنا شكا السعديون الى السراى من أن رجال الادارة المؤتمرين بأوامر رئيس الوزارة وزعيم الاحرار الدستوريين محمد محمود يضطهدونهم ويعملون على اسقاطهم لكى ينجح مرشحو الاحرار الدستوريين .

***

وصدرت الاوامر من رياسة الديوان رأسا الى مديرى الاقاليم « بمساعدة » مرشحى حزب السعديين ..

وانقلبت الموازين فى انتخابات الوجه البحرى ورجحت كفة السعديين . اما حزب الوفد فقد سقط جميع مرشحيه فى الوجهين البحرى والقبلى ماعدا اثنى عشر مرشحا فقط ..

اثنى عشر نائبا للوفد بعد أن كان له فى المجلس السابق المنحل فوق المائتى نائب .. وسقط فى هذه الانتخابات زعيم الوفديين مصطفى النحاس وسكرتير الوفد مكرم عبيد وجميع أعضاء الوفد وكبار الوفديين ..

ولم ينجح من الوفديين البارزين سوى الاستاذ عبد الحميد عبد الحق الذى تولى زعامة المعارضة فى مجلس النواب الجديد ..

واجتمع المجلس الجديد فى شهر ابريل عام ١٩٣٨ .

وفى شهر يولية – على ما أذكر – بعث السيد على ماهر رئيس الديوان الى السيد مصطفى النحاس رئيس الوفد يطلب منه أن يقابله سرا على الكورنيش فى مكان ما برمل الاسكندرية .. وفى ظلام الليل ..

أما لماذا طلب أن تكون المقابلة على الكورنيش .. لا فى

دار احدهما فان السبب بسيط ..

خاف «رفعته» أن يراه أحد وهو يدخل دار مصطفى النحاس .. أو ان أحدا يرى النحاس وهو يدخل داره وسوف يكون من الصعب تفسير أو تبرير هذه الزيارة.

أما اذا رآهما أحد معا وهما يتحدثان على الكورنيش فان من السهل أن يقال ساعتئذ ان المقابلة تمت بطريق الصدفة ..

النحاس باشا يحب المشي على قدميه .. وكذلك « رفعة » رئيس الديوان فأية غرابة فى أن يلتقى الاثنان مصادفة على الكورنيش بينما كل منهما يتنزه سائرا على قدميه ؟

***

وكان غرض على ماهر من هذه المقابلة هو «التفاهم» مع زعيم الوفديين . والتفاهم على أساس اسقاط وزارة محمد محمود خصم الوفد العنيد !

وهكذا ولما يمض على وزارة محمد محمود ستة شهور بدأ السيد على ماهر يعمل على اسقاط الوزارة التى كان قد جاء بها وداس بها على الاغلبية البرلمانية وعلى جسد الدستور !..

لماذا ؟ لكى يتولى هو رياسة الوزارة ..

ولا اطيل الحديث ...

نفس العقبات ونفس العراقيل التى كانت توضع فى طريق مصطفى النحاس .. وضعت فى طريق محمد محمود .. ونفس الاشاعات التى كان يذيعها ويروج لها أعوان واذناب على ماهر فى عهد وزارة مصطفى النحاس، عادت وبعثت من جديد ..

وأحس محمد محمود ــ رحمه الله ــ وكان المرض أنهك قواه وأعصابه ــ أحس أن بقاءه غير مرغوب فيه فاستقال

ونال علي ماهر مشتهاه ، وانتقل من رياسة الديوان الى رياسة الوزارة . وكانت الحرب العالمية الثانية على الابواب .. وهتلر يدق طبول الحرب فى كل صباح ، وموسولينى يخطب فى كل يوم عن حرابه التى عددها ثمانية ملايين والتى تنتظر اشارة منه بالهجوم ..

***

وكان وضع على ماهر فريدا فى بابه فهو رئيس وزارة حزبية برلمانية ولكنه لاينتسب الى حزب ما وليس له فى البرلمان حزب ما ..

على من كان يعتمد اذن ؟ على من كان اعتماده فى بقائه رئيسا للوزارة ؟ على فاروق.. وعطف فاروق.. لا على البرلمان . فقد كان الاحرار الدستوريون ــ أحد شقى حكومته المؤتلفة ــ ناقمين عليه بسبب مؤامرته ضد زعيمهم محمد محمود . وكان نفس شقيقه المرحوم الدكتور أحمد ماهر زعيم السعديين أى الشق الآخر من حكومة على ماهر . كان أحمد ماهر ضده فى السياسة فقد كان ينادى بوجوب دخول مصر الحرب الى جانب الحلفاء بريطانيا وفرنسا .. بينما كان شقيقه على ماهر يقول بوجوب تجنيب مصر ويلات الحرب . ولم يكن هذا رأيه فى أول الامر كما سوف نرى ..

ولكن الحزبين ــ الاحرار الدستوريين والسعديين ــ صدعا بأمر القصر وأذعنا لمشيئة فاروق وأيدا سياسة على ماهر ..

ومن هنا أصبح على ماهر يعتمد على فاروق.. بعد أن كان فاروق يعتمد على السيد على ماهر ..

واصبح فرضا على رفعة رئيس الوزارة أن يعمل ما يمكن عمله استبقاء لعطف فاروق اذا هو شاء الاحتفاظ بمنصبه فى رياسة الوزارة ..

وأعلنت الحرب فى أول سبتمبر ١٩٣٩ ، وفى اليوم التالى دعا على ماهر باشا مجلس الوزراء للاجتماع .. وقال لزملائه الوزراء انه دعاهم للاتفاق على صيغة قرار اعلان الحرب ضد ألمانيا !..

وبهت الوزراء .. وقال أحدهم وهو الاستاذ عبد الرحمن عزام :

ـ ولكن لماذا نعلن الحرب يا رفعة الباشا ؟ !

أجاب رفعة الباشا :

ـ طبقا لنصوص معاهدة عام ١٩٣٦

وانبرى الاستاذ عبد الرحمن عزام يفند هذا الرأى ويفسرمواد معاهدة ١٩٣٦ وأن ليس فىالمعاهدة المذكورة شيء يلزم مصر بدخول الحرب الى جانب بريطانيا ؟ !

***

وبعد مناقشة طويلة طلب عبد الرحمن عزام من على ماهر أن يترك له هذه المسألة ليسويها مع السفير البريطانى سير مايلز لامبسون ..

ووافق على ماهر ، وذهب عبد الرحمن عزام وقابل مايلز لامبسون وناقشه طويلا فى نصوص المعاهدة ، واستطاع أن يقنعه ان من مصلحة بريطانيا نفسها عدم اعلان مصر الحرب ... على ألمانيا ..

وهكذا سويت المسألة ..

ومع ذلك فان السيد على ماهر زعم فيما بعد انه صاحب الفضل فى تقرير سياسة تجنيب مصر ويلات الحرب . ولقد رأيتم كيف كان يريد أن تعلن مصر الحرب ضد ألمانيا غداة اعلان الحرب !..

والواقع ان على ماهر باشا لم تكن له سياسة معينة ازاء الحرب العالمية الثانية .. أو لعل سياسته ازاء الحرب والدول المتحاربة كانت مثل سياسته الداخلية

ازاء الاحزاب وزعماء الاحزاب أى سياسة انتهازية ..
كان يعتقد فى أول الامر ، أى فى أول شهور الحرب ان النصر لبريطانيا وفرنسا ومن هنا أراد كما رأينا أن تعلن مصر الحرب ضد ألمانيا ثم عدل عن هذا الرأى مكتفيا بتقديم جميع المساعدات والتسهيلات الممكنة لبريطانيا.

ولقد أعلن فيما بعد ـ وبعد خروجه من الوزارة ـ أعلن ان السيد على ماهر تلقى خلال الشهور العشرة التى تولى فيها الحكم ثلاثة وثلاثين خطاب شكر من الجنرال ويلسون القائد العام للقوات البريطانية فى الشرق الاوسط ..

وقد شكر فيها القائد البريطانى رفعة رئيس وزراء مصر على الولاء الصادق والتعاون المخلص الذى يلقاه منه

ولقد ظل على ماهر على ولائه واخلاصه لبريطانيا وقضية بريطانيا من شهر سبتمبر سنة ١٩٣٩ الى شهر يونية ١٩٤٠ ..

أما من شهر يونية والشهور التالية فان رفعته نقل ولاءه واخلاصه من بريطانيا وحلفائها الى المانيا وحليفتها ايطاليا ..

لماذا ؟..

كان على ماهر يعتقد فى أول الحرب كما قلت ان النصر لبريطانيا وفرنسا.. ولكن انتصارات المحور بدأت تتوالى وراحت دول أوروبا تسقط واحدة بعد واحدة تحت سنابك جحافل هتلر ..

بولندة ، الدانمرك ، النرويج ، هولندة ، بلجيكا ، وظل على ماهر على ولائه واخلاصه لأنه كان يعقد الامل على فرنسا وخط دفاعها المشهور « ماجينو » ..

ولكن هتلر حطم «ماجينو» وانهارت فرنسا واستسلمت ولم يحل منتصف يونية ١٩٤٠ حتى كان هتلر يدخل

باريس والى جانبه جورنج مارين من تحت قوس النصر فى ميدان « الاتوال » ..

وهنا تحول على ماهر باخلاصه وولائه الى المانيا . ولا أستطيع أن ألوم الرجل . فلعله كمصرى مخلص كان يطلب الخير والامان لبلاده ومن هنا حرص على أن يقف دائما الى جانب الفريق الغالب المنتصر ..

وعلى كل حال فان على ماهر باشا لم يضيع وقتا قبل أن يطلق لسانه بالسخرية والتشهير ببريطانيا وفرنسا وضعف جيوشهما ..

وصرح ذات مساء فى مجلسه الخاص بأنه لن يمضى شهر واحد حتى تستسلم بريطانيا ..

ورد عليه وزير حربيته اللواء صالح حرب باشا :

ــ بل شــــهران يا رفعة الرئيس ، فسوف تقاوم انجلترا شهرين ، ثم تسقط ..

واتصل خبر هذا الحديث بالسلطات البريطانية فى مصر

وكان فاروق بدوره قد بدأ يسخر من بريطانيا وفرنسا و«ينكت» عليهما فى مجالسه . وكان يحيط به يومئذ بعض الامراء الشبان من المتحمسين لألمانيا النازية مثل عمر الفاروق وعباس حليم ..

كذلك كان خدمه الخصوصيون من الايطاليين مثل بوللى وبيترو . ويروى أن فاروق خرج مرة للصيد . وكان معه بعض رجال السلك السياسى الاجنبى ومنهم السفير البريطانى مايلز لامبسون ..

وأراد سير مايلز لامبسون أن يطرى مهارة فاروق فى اصابة الهدف . فقال له عبارة اعجاب فى هذا المعنى ..

وعلى الفور قال له فاروق :

ــ طبعا لأن بندقيتى صناعة المانية ..

ثم قهقه فاروق .. وقهقه معه مدعووه من الامراء الشبان

ورأت حكومة لندن ان علي ماهر باشا الذى كان قائدها جنرال ويلسون قد شكره فى ثلاثة وثلاثين خطابا على صادق ولائه وحسن تعاونه .. قد انقلب الى النقيض وأخذ يقيم العراقيل والعقبات أمام السلطات البريطانية العسكرية فى مصر ..

وها هو ذا ملك البلاد يقفو أثره .. وأرسل وزير خارجية بريطانيا يومئذ لوردهاليفاكس برقيته المشهورة « علي ماهر يجب أن يخرج » ..

وكان هذا أول انذار بريطانى أو أول تدخل مكشوف واعتداء مفضوح علي سيادة مصر المستقلة منذ عقد معاهدة ١٩٣٦ أومعاهدة الشرف والاستقلال كما أسموها

وذهب السفير البريطاني سيرمايلزلامبسون الي القصر وقابل فاروق وأبلغه نص البرقية أو الانذار ، ثم قال :

انه ينصح بقيام وزارة وفدية أوعلي الاقل وزارة يرضي عنها الوفد ويؤيدها وبادر فاروق وأرسل عبد الوهاب طلعت « باشا » لمقابلة النحاس « باشا » فى كفر عشما وعرض ظروف الموقف عليه ..

وكان رفعة رئيس الوفد قد ترك القاهرة خوفا من الغارات الجوية ولجأ الى ضيافة أصهار السيدة زوجته فى كفر عشما ..

وقابله عبد الوهاب طلعت «باشا» وأبلغه نص برقية لورد هاليفاكس ونصيحة سيرمايلزلامبسون ، ثم قال ان « جلالة الملك » يستشيره فيما يجب أن يفعله ..

ولكن .. بينما كان مصطفى النحاس «باشا» يتأهب للعودة الى القاهرة وجمع أعضاء الوفد وعرض الامر عليهم واستصدار قرار برأى الوفد وما يجب عمله .. اذا بالامر الملكى يصدر الى حسن صبرى بتشكيل الوزارة

وكانت مفاجأة للوفد ، ومفاجأة للسفير البريطانى ..

مفاجأة أغضبت النحاس كما أغضبت سير مايلز لامبسون.

واسرع أحمد حسنين الى السفارة وقابل السفير ليسأله عن سبب غضبه ؟ وقال سير مايلز : « وهذه التفاصيل التى أرويها هنا قصها على المرحوم حسنين » قال :

ـ لقد كان كلامي واضحا وهو ان الحكومة البريطانية تنصح باسناد الحكم الى وزارة وفدية أو على الاقل الى وزارة يؤيدها الوفد ..

وقال حسنين وقد تظاهر بالدهشة :

ـ ولكن حسن صبرى باشا صديقكم .. وقد اخترناه بالذات لهذا السبب ..

قال السفير :

ـ نعم حسن صبرى صديقى .. ولكن يا باشا الصداقة شيء والسياسة شيء آخر .. ووزارة حسن صبرى لا هى وزارة وفدية ولا هى وزارة يؤيدها الوفد

وأجاب حسنين وهو يمعن فى اظهار الدهشة والاسف :

ـ اذن فهذه غلطتى أنا ، وأنا المسئول عن هذا الخطأ ولكننى أقول انصافا لنفسي اننى حرصت عند اختيار أعضاء الوزارة على أن يكونوا جميعا من أصدقائكم .. حرصا على توافر التعاون الذى لابد من وجوده فى الظروف الحاضرة بين السلطات البريطانية والسلطات المصرية.. ومن هنا اخترنا حسن صبرى.. ومحمود فهمى القيسى أليس صديقا لكم ؟..

وراح حسنين باشا يذكر أسماء أعضاء الوزارة الجديدة ويشفع كل اسم منها بنفس السؤال : « أليس صديقا لكم ؟» ثم أنهى حديثه ودفاعه بأن الغلطة غلطته هو.. وانه المسئول عن هذا الخطأ المؤسف ولكن يشفع له حسن نيته ..

ورضى سير مايلز أو تظاهر بالرضا ، ووقفت المسألة عند هذا الحد ..

***

وكان على ماهر باشا مغيظا حانقا .. بسبب ارغامه على الاستقالة وترك الحكم ..

وأشاع أنصاره وذيوله انه ذهب ضحية شجاعته ووطنيته ومواقفه ضد مطالب الانجليز .. وصدق فريق كبير من الجمهور هذه الدعوى .. وتمتع على ماهر باشا « بالبطولة » ولقب « البطل » بضعة أسابيع ..

ولكن الحقائق لم تلبث أن تكشفت فعرف الجمهور ان السيد على ماهر كان يريد ــ غداة قيام الحرب ــ أن تعلن مصر الحرب ضد ألمانيا وتقف الى جانب بريطانيا وفرنسا .. وان السيد على ماهر تلقى خلال الشهور التى أمضاها فى رئاسة الحكم ثلاثة وثلاثين خطابا من الجنرال ويلسون يشكر فيها رفعته على ولائه وضادق تعاونه مع السلطات البريطانية ..

تكشفت هذه الحقائق .. وسقط ثوب البطولة عن رفعة الرئيس السابق ..

ومع ذلك فان على ماهر « باشا » لم يسكت .. بل انطلق يقيم العراقيل ويخلق المتاعب فى طريق وزارة حسن صبرى وكان رفعته لايزال محتفظا بشىء من نفوذه عند فاروق ..

وذهب عبد الوهاب طلعت «باشا» صديق على ماهر أو الذى كان صديقه الى يوم استقالته من رياسة الوزارة . ذهب الى حسن صبرى باشا وقال له أن على ماهر يشنع عليك ويتهمك بأنك صنيعة الانجليز .. وانك ..

ولكن المرحوم حسن صبرى باشا لم يتركه يتم حديثه بل قال له :

ــ ان علي ماهر صديقى .. وأنا لا أسمح لك بأن تطعن فى أخلاقه أمامى.. وخصوصا أنك كنت صديقا له

***

وقال حسنين باشا وهو ينهى هذه التفاصيل :

ــ وهكذا ألقى حسن صبرى باشا درسا فى الاخلاق على عبد الوهاب طلعت .. وعلى ماهر فى الوقت نفسه.

ثم حدثنى ــ رحمه الله ــ عن سبب اختيار حسن صبرى باشا رئيسا للوزارة .. وعدم الاخذ بنصيحة سير مايلز لامبسون وهى اسناد الحكم الى وزارة وفدية أو وزارة يؤيدها الوفد .. قال :

ــ لقد كان رأيى دائما أن الوفد هو القوة الشعبية الوحيدة فى هذا البلد وانه بهذه الصفة أحق بالحكم من جميع الاحزاب الاخرى لأنه يتمتع بثقة الناخبين . وأنا اعتقد كذلك أن الوفد قوة يمكن استغلالها فى استخلاص حقوق البلاد من الانجليز.. ولقد عملت ولا ازال أعمل على تسوية جميع الخلافات بين الملك ومصطفى النحاس وازالة أسباب سوء التفاهم التى خلفها عام ١٩٣٧ وما تلاه .. وهذه خطوة لابد منها قبل عودة المياه الى مجاريها الطبيعية أى قبل عودة الوفد الى تولى الحكم . ومن هنا تفهم لماذا رفضت أن أعمل بنصيحة سيرمايلز لامبسون .. لأن العمل بهذه النصيحة كان معناه أن الوفد .. وهو القوة الشعبية الوحيدة ، وقوتها فى استخلاص حقوقنا من انجلترا ، انما يعود الى الحكم بارادة الانجليز وهذا أمر ليس فى مصلحة البلاد ولا فى مصلحة الملك ولا فى مصلحة الوفد نفسه .. واظن انك توافق على انه من مصلحتنا جميعا انه اذا عاد الوفد الى الحكم فيجب أن يعود بالطريق الشرعى السليم أو بموافقة صاحب العرش .. لا بارادة الانجليز ...

ثم قال ــ رحمه الله ــ وهو يبتسم :

ــ ورأيت أن نقوم بمناورة تمويه وتضليل ذرا للرماد فى عيون السفير البريطانى فطلبت من الملك أن يوفد عبد الوهاب طلعت لمقابلة النحاس «باشا» فى كفرعشما .. لكى ألفت أنظار السفارة وعيونها الى كفرعشما وأصرفها عما يجرى فى القاهرة .. وهكذا بينما كان عبد الوهاب طلعت فى كفرعشما كنت أنا قد اتصلت بحسن صبرى وأعضاء وزارته وأعددت المراسيم بتشكيل الوزارة .. وفوجىء السفير البريطانى بوزارة حسن صبرى وبالامر الواقع.. صحيح أن حسن صبرى باشا صديق للسفير وللانجليز ولقد اخترناه لهذا السبب كسرا لحدة التحدى فقد كان اغفال نصيحة السفير البريطانى تحديا منا لاشك فيه .. ولكن حسن صبرى مع ذلك مصرى وطنى مخلص لبلاده قبل كل شىء ..

***

هذا هو مجمل حديث المرحوم احمد محمد حسنين عن الظروف والاسباب التى دعت لاختيارالمرحوم حسن صبرى باشا رئيسا للوزارة فى شهر يونية عام ١٩٤٠ ، وللتاريخ وحده أن يحكم على سياسة حسنين باشا .. وهل أصاب فيها أو أخطأ ؟.. وهل قيام وزارة وفدية أو وزارة يؤيدها الوفد فى يونية ١٩٤٠ ، كان يجنب مصر مذلة حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ، وهل اغفال «نصيحة» السفير البريطانى كان السبب فى وقوع الحادث المشئوم المذكور أم لا ؟..

كل هذه الاسئلة فرضية سوف يجيب عنها التاريخ.

تولت اذن وزارة حسن صبرى باشا الحكم .. وكان أول طلب جاءها من السلطات البريطانية هو « اعتقال على ماهر بسبب نشاطه العدائى ضد بريطانيا وحلفائها»

ورفض حسن صبرى هذا الطلب بالرغم مما كان يعرفه عن نشاط علي ماهر ضد وزارته ومساعيه لاسقاطها ، والاشاعات التى كان يذيعها عنه وعن الوزارة ..

ولكنه ـ أى حسن صبرى ـ أوفد رسولا الى علي ماهر يبلغه ماحدث وينصحه بالاخلاد للسكينة والكف عن « التشنيع » فى مجالسه الخاصة على بريطانيا وحلفائها

ولم يعمل السيد على ماهر بالنصيحة .. بل استمر فى نشاطه العدائى ضد الانجليز وضد حسن صبرى الذى رفض أن يعتقله ..

وعاد المرحوم حسن صبرى وأوفد رسولا آخر الى السيد على ماهر وكان الرسول فى هذه المرة هو الدكتور أحمد ماهر شقيق على ماهر ..

وكانت النصيحة هذه المرة أن يغادر علي ماهر باشا القاهرة الى قصره الاخضر فى ريف البحيرة ..

وعمل على ماهر بالنصيحة وسافر الى القصر الاخضر وأقام فيه يومين اثنين ثم عاد الى القاهرة ..

***

ولا أعرف لماذا أو كيف ؟ ولكن حسن صبرى باشا ـ وبعد شهر واحد من توليه الحكم ـ تقدم الى فاروق يلتمس تعيين أحمد حسنين باشا رئيسا للديوان .. وكانت حجته ان المنصب المذكور شاغر منذ عام .. وانه ما دام حسنين باشا هو الذى يقوم فعلا بأعمال رئيس الديوان فان من المرغوب فيه أن يعين رسميا فى المنصب المذكور ..

واعتقد ـ وان كنت أعترف أن ليس تحت يدى دليل يبرر هذا الاعتقاد ـ أعتقد أن حسن صبرى باشا انما تقدم بهذا الطلب استجابة لرغبة وتلميح من حسنين باشا . أو لعله أراد أن يكافىء حسنين على حسن صنيعه

يوم اشار باختياره رئيسا للوزارة التى خلفت وزارة علي ماهر ..

وعلى كل حال فان فاروق رفض فى أول الامر أن يعين حسنين رئيسا للديوان .. لأنه كان يريد أن يحتفظ بالمنصب المذكور لعلى ماهر باشا .. ولم يكن ينتظر سوى الفرصة المناسبة التى تتحسن فيها العلاقات بين الانجليز وعلى ماهر.. لكى يعيده رئيسا للديوان ..

ولكن حسن صبرى لم يسكت بل مضى يكرر هـذا الطلب أو هذا الترشيح .. وفاروق يرفض .. حتى نشأ ما يشبه الازمة الوزارية لأن حسن صبرى جعل بقاءه فى رئاسة الوزارة رهنا بتعيين احمدحسنين رئيسا للديوان ..

وأخيرا ـ وكان ذلك فى شهر أغسطس ١٩٤٠ على ما أذكر ـ وافق فاروق وصدر الامر بتعيين احمد محمد حسنين باشا رئيسا لديوان « جلالة الملك » ..

وتحقق لحسنين باشا ما كان يتمناه منذ عام ١٩٣٧

***

ولكن الأجل لم يطل بالمرحوم حسن صبرى باشا.. فبينما كان يلقى « خطاب العرش » فى يوم السبت الثالث من شهر نوفمبر ١٩٤٠ أصيب بنوبة قلبية .. وفاضت روحه ـ رحمه الله ـ فى قاعة مجلس النواب.

وفى مساء نفس اليوم صدر مرسوم ملكي يكل الى عبد الحميد سليمان باشا القيام بأعمال رئيس الوزارة. ريثما تتم المباحثات والاستشارات بشأن اختيار الذى يخلف حسن صبرى باشا فى رئاسة الوزارة ..

وكان هذا المرسوم مناورة تمويه وتضليل أخرى من حسنين باشا رئيس الديوان لأن السـفارة البريطانية فهمت ـ كما فهم الناس ـ من انابة عبد الحميدسليمان

باشا للقيام بأعمال رئيس الوزراء أن أمر اختيار الرئيس الجديد للوزارة قد يطول ويستغرق بضعة أيام ..

ولكن السفارة والسفير والوفد والاحزاب .. كل هؤلاء فوجئوا بعد يوم واحد باختيار حسين سرى « باشا » رئيسا للوزارة ..

***

وقص على حسنين ـ رحمه الله ـ تفاصيل ماحدث فى مساء يوم وفاة حسن صبرى باشا ، فقال :

ـ كلمني الملك بالتليفون فقلت له : « هل يأذن لى مولانا بمقابلته ؟ » . فقال : « أيوه .. لكن خليك فى مكتبك وأنا جاى عندك » ..

وجاء فاروق وجلس وقد تكلف هيئة الجد.. وعرض على رياسة الوزارة .. وكان علي ماهر باشا هو السياسى الوحيد الذى استقبله الملك سرا بعد وفاة حسن صبرى باشا واستشاره فى الموقف .. وأدركت أن ترشيحى لرياسة الوزارة جاء من جانب على ماهر.. وانه مقلب من رفعته .. لكى يتخلص منى نهائيا .. يعنى أبقى رئيسا للوزارة أسبوعين أو شهرا ، ثم أقال أو أرغم على الاستقالة وأخرج من السراى الى دارى لأبقى فيها نهائيا

أدركت هذا بالبديهة.. ولأن فاروق الذى كان يعارض ويرفض تعيينى رئيسا للديوان لايمكن أن يكون هو صاحب فكرة تعيينى رئيسا للوزارة .. الفكرة اذن فكرة على ماهر ولغرض خفى ..

ومضى حسنين فى حديثه ، فقال :

ـ واعتذرت بأدب من عدم قبول المنصب الكبير..

وقال لى الملك : « لا تتسرع .. فكر شويه كمان ، وسوف أعود اليك » ..

وتركنى وانصرف .. وهنا دخل على عبد الوهاب

طلعت باشا فطلبت منه أن يواتينى بدوسيهات رؤساء الوزارات والوزراء السابقين ..

وفى ادارة المحفوظات بقصر عابدين ملف أو«دوسيه» خاص لكل رئيس وزارة سابق وكل وزير سابق وكل زعيم سياسى من الساسة المصريين ..

وعاد الملك وسألنى :

ـ هيه ؟..

وقلت له :

ـ يا تقعدنى جنبك .. يا تخرجنى من السراى ...

قال : يعنى ايه ؟..

قلت : أنا لا أصلح لهذا المنصب .. ثم ان الناس سوف تقول ان حسنين ربى فاروق وكسب نفوذا عنده لكى يستغل هذا النفوذ ويعمل نفسه رئيس وزارة .. بينما فى البلد عشرات ممن يصلحون خيرا منه لهذا المنصب

وهنا تساءل فاروق : زى مين يعنى ؟..

قال حسنين : هذا ما أبحث فيه الآن ..

قال فاروق : ضرورى هذا المساء .. تقول لى مين..

قلت : سمعا وطاعة .. سوف أقدم اسم المرشح هذا المساء ..

***

وخرج فاروق.. ووضعت أمامى «الدوسيهات» التى كان جاءنى بها عبد الوهاب طلعت.. وفتحت بعضها.. حتى يظن من يدخل وينظر اليها اننى كنت أبحث فيها.. ولكننى لم أحاول أن أبحث لأننى كنت اخترت فعلا اسم المرشح لرياسة الوزارة ..

وعاد فاروق بعد نحو ساعة وسألنى : « مين بقي ياسيدى الذى ترشحه ؟ »

قلت : حسين سرى ..

وصاح فاروق : « أعوذ بالله ، ده راجل بتاع الانجليز مش ممكن .. شوف لك حد تانى .. »
وتركنى وخرج ..
وجلست أنتظر عودته .. وكنت أعرف ان فاروق لايستريح الى حسين سرى ولا يحبه رغم وجود صلة النسب العائليـة ورغم اجتماعه به مرارا فى سـهرات الأسرة ، فقد كان حسين سرى زوجا للسـيدة خالة « الملـكة فريدة » ..
كنت أعرف هذا ولكننى مع ذلك صممت على التمسك بترشيح حسين سرى لرياسة الوزارة ..
وعاد فاروق وسـألنى : « هيه ؟ وجدت مين غير حسين سرى ؟ »
قلت : مش لاقى حد تانى يامولانا .. مافيش أمامى غير حسين سرى ..
وانفجر فاروق غضبا وصاح :
ـ ايه الحكاية ؟ دى مؤامرة انجليزية والا ايه ؟..
وطفرت دمعة من عينى ـ هكذا قال لى حسنين .. ولا أدرى هل كانت دمعة صادقة أم كانت دمعة تمثيل ، فقد كان حسنين ـ رحمه الله ـ يجيد التمثيل ويعرف كيف يندمج فى دوره ..
وتأثر فاروق ـ فقد كنا لانزال فى عام ١٩٤٠ وكان قلب فاروق لم يتحجر بعد ـ تأثر فاروق وتقـدم من حسنين وقبله واعتذر اليه ..
ثم قال : لـكن ياحسـنين مش فاهم سر تمسكك بحسين سرى .. اشمعنى يعنى حسين سرى وده بتاع الانجليز ؟
وأجاب حسنين :
ـ معاذ الله ان أرغم مولانا على قبول أمر ما ، ولكننى

اعتقد اننى استطيع أن أخدم جلالتك واخدم البلد وانا فى منصب رئيس الديوان وحسين سرى فى منصب رئيس الوزراء .. فاذا لم يوافق مولانا فانى التمس منه أن يتركنى أروح بيتى ..

ــ يعنى أيه .. تفوتنى ؟..

قال حسنين :

ــ لا يامولانا .. وانما علشان يكون مولانا حر فى اختياره وفى سياسته ..

وعاد فاروق يتساءل :

ــ يعنى عايز تسيبنى دلوقت ؟..

وهنا انطلق حسنين يتحدث عن حبه واخلاصه لفاروق وعن الخدمات التى أداها له .. وعن كيف كان يأمل انه قد كسب ثقة «مولاه» الملك.. ولكنه قد أدرك مع الاسف من حديث اليوم أن « مولاه » لا يثق فيه ..

واغرورقت عيناه مرة اخرى ..

واغرورقت عينا فاروق .. وقبل حسنين مرة أخرى وهنا راح حسنين يشرح لفاروق سبب ترشيحه لحسين سرى .. فقال :

ــ يعرف مولاى ان سياستى هى هى لم تتغير منذ اول يوم استلمتك فيه وانت أمير . وسياستى هى أن تكون لك حقوقك.. وحسين سرى مهما يكن رأى مولانا فيه فانه نسيبك وهو أحرص الناس على حقوقك .. ونحن فى ظروف حرب عالمية ومفاجآت دولية خطيرة.. والحكم الآن فى أيدى أحزاب أقلية لا تمثل البلاد . . والوفد صاحب الاغلبية الحقيقية مقصى عن الحكم .. وتعيين رجل مستقل غير حزبى مثل حسين سرى فى رياسة الوزارة قد يخفف ولو قليلا من حدة خصومة الوفد للسراى . ثم ان حسين سرى رجل مقبول عند الانجليز .

وسوف يسكتون على تعيينه كما سبق ان سكتوا على تعيين حسن صبرى ولا يلحون ولا يندرون بوجوب قيام وزارة وفدية .. يعنى اننا بتعيين حسين باشا سرى نتفادى الاصطدام الآن بالانجليز.. وحسين سرى كذلك هو الوحيد الذى سوف يرضى بتنفيذ سياستى ، بل ويرضى بمساعدتى فيها .. وسياستى هى التمهيـــد لعودة الوفد الى الحكم بعد أن يقدم الوفد لمولانا الترضية الكافية والضمانات الكافية على عدم تكرارما فعلوه فى سنة ١٩٣٧ ..

ولمـــا انتهى حسنين من بيانه أو من دفاعه .. هز فاروق رأسه موافقا وقال :

ـ وهو كذلك .. فتشوا على حسين سرى ..

وكان الوقت بعد منتصف الليل ..

وراح الرسل والتليفونات تبحث عن حسين سرى.. ووقف عبد الوهاب طلعت باشا بباب السراى ينتظر وصول رئيس الوزارة الجديد .. فلما وصل استقبله بالاحضان وهنأه .. فكان أول المهنئين ..

قال حسنين : « ويظهر أن عبد الوهاب باشا أراد أن يفهم حسين سرى انه هو صاحب الفكرة أو صـــاحب الفضل فى اختياره لرياسة الوزارة .. »

وأشهد ان حسنين ـ رحمه الله ـ كان مخلصا فى تنفيذ سياسة التمهيد لعودة الوفد الى الحكم .. وكان يصارح بها الساسة والزعماء الذين يطمئن اليهم ويثق فى سلامة تقديرهم وحكمهم ومنهم الدكتور محمدحسين هيكل رئيس حزب الاحرار الدستوريين ..

روى لى حسنين ان الدكتور هيكل زاره ذات يوم بعد قيام وزارة حسين سرى وقال له :

ـ قل لي بقى يا أبو الحسن .. وسيبك من شغل

المشيخة والدروشة بتاعتك .. ايه بالضبط سياستك دلوقت ؟..

فشرحت له سياستى وهى التمهيد لعودة الوفد الى الحكم لأنه صاحب الاغلبية الحقيقية .. هذا مع قيام حياة نيابية سليمة ووجود معارضة صالحة قوية تؤدى مهمتها على الوجه الصحيح .. هذا مع الحد من طغيان الاغلبية والعمل على وجود معارضة قوية ..

ووافقنى الدكتور هيكل على سياستى هذه وتمنى لى التوفيق فى تنفيذها ..

***

قامت وزارة حسين سرى فى نوفمبر عام ١٩٤٠ ، وأقبل صيف ١٩٤١ ، وذهب مصطفى النحاس باشا ، ومكرم باشا الى مصيف رأس البر ليمضيا الصيف .. فى أمان من الغارات الجوية ..

وذات يوم هبط على رأس البر الاستاذ مصطفى أمين الذى كان يومئذ رئيسا لتحرير مجلة « الاثنين » ..

وقال مصطفى أمين للأستاذ مكرم عبيد انه جاء يحمل رسالة من رئيس الديوان أحمد حسنين باشا . وفحوى هذه الرسالة انه اذا التمس « رفعة » رئيس الوفد مصطفى النحاس باشا مقابلة «جلالة الملك» فان التماسه سوف يجاب فى الحال ..

وكان مصطفى النحاس لم يقابل الملك فاروق منذ أقيلت وزارته فى ديسمبر ١٩٣٧ وكان المعنى الواضح من هذه الرسالة أو هذه المقابلة المطلوبة ان السراى تخطو الخطوة الاولى فى سبيل التمهيد لعودة المياه الى مجاريها بين صاحب العرش ، وبين الوفد صاحب الاغلبية فى البلاد

ورحب الاستاذ مكرم عبيد بهذا الطلب .. وذهب لفوره وأبلغه للسيد مصطفى النحاس ..

ولكن النحاس باشا تشكك فى صدق الرسالة وفى صدق الرسول مصطفى أمين وقال ما معناه : « ان هذا كله كلام فارغ وتخدير أعصاب » ..

وكان رفعته ولاشك متأثرا بمناورة كفر عشما يوم زاره عبد الوهاب طلعت باشا ليستشيره باسم فاروق فى الموقف السياسى بعد تلغراف لورد هاليفاكس .. وكيف فوجىء بعدها بتأليف وزارة حسن صبرى باشا

تشكك اذن مصطفى النحاس باشا فى جدية رسالة الاستاذ مصطفى أمين ..

وأخيرا قال الاستاذ مكرم عبيد : ان الدليل على جدية أو عدم جدية الرسالة هو أن يطلب الاستاذ مصطفى أمين بالتليفون حسنين باشا ويحدثه أمامنا فى الموضوع

ووافق مصطفى النحاس باشا وطلب مصطفى أمين قصر عابدين بالتليفون .. وقال : اعطونى حسنين باشا وأعطوه حسنين باشا ..

وقال مصطفى :

ـ مكرم باشا واقف جنبى وعاوز يسمع منك الكلام الذى طلبت منى ابلاغه لمصطفى النحاس باشا ..

وناول مصطفى أمين سماعة التليفون لمكرم باشا عبيد وقال حسنين لمكرم نفس الكلام الذى كان نقله اليه مصطفى أمين . وأضاف ان مقابلة النحاس للملك أمر مرغوب فيه وخطوة أولى لابد منها ..

وسأله الاستاذ مكرم عبيد :

ـ وهل أحضر أنا أيضا الى القاهرة مع مصطفى باشا ؟

وقال حسنين باشا :

ـ نعم .. يستحسن لو معاليك حضرت كمان ..

وهنا قال مكرم باشا :

ـ اذن وأنا التمس مقابلة جلالة الملك باسم مصطفى

النحاس وباسمى ..
وأجاب حسنين باشا :
ـ والالتماس مقبول ..
وحدد حسنين موعدا للمقابلة « الملكية الكريمة » .

***

وغادر النحاس باشا ومكرم باشا مصيف رأس البر الى القاهرة ..
وفي القاهرة عرف مكرم باشا ان المقابلة مقصورة على النحاس باشا وحده ..
وغضب مكرم وتساءل عن معنى دعوته للحضور الى القاهرة وهل دعوه للحضور لكي يبلغوه ان الملك يريد أن يستقبل النحاس باشا وحده ؟..

***

وتمت المقابلة .. بين فاروق والنحاس ..
وتحدث فاروق عن الموقف وعما يلقاه من عنت الانجليز واضطهادهم له وسأل رئيس الوفد هل يقف الوفد الى جانبه اذا اصطدم يوما بالانجليز ؟..
وتحمس مصطفى النحاس وأعلن انه وجميع الوفديين يفتدون « الملك » بدمائهم ورقابهم ..
ومرر «رفعته» يده على عنقه تأكيدا لمعنى الفـــداء ، ثم أخرج من جيبه مصحفا وأقسم عليه انه ورجال الوفد مخلصون لفاروق وانهم .. وانهم .. الى آخره ..
وهكذا محت هذه المقابلة جميع الآثار السيئة التى كانت خلفتها اقالة وزارة النحاس باشا فى ديسمبر ١٩٣٧.
وخرج النحاس باشا من مقابلة فاروق ، وهو يدعو له ولعرشه بالعز والتأييد ..

***

وعاد النحاس ومكرم الى مصيف رأس البر ..

ولم يمض على عودتهما أيام معدودة حتى أقام بعض كبار الوفديين من المصيفين حفلة تكريم لمصطفى النحاس ـ ولعلها كانت حفلة موعزا باقامتها ـ وقام النحاس وألقى خطبة شن فيها على الانجليز حملة شعواء . وأذكر انه قال بين ما قاله ان انجلترا تزعم انها تحارب من أجل الديمقراطية والحريات ، بينما هى تحارب الديمقراطية وتضطهد الحريات فى مصر ..

ثم دعا رئيس الوفد لجلالة الملك المفدى .. فاروق ، وأعلن اخلاصه واخلاص الوفديين لصاحب العرش المجيد

***

وكان هذا ـ كما قلت ـ فى أواخر صيف عام ١٩٤١ واهتزت مقاعد وزارة حسين سرى تحت أصحابها .. وحسب الناس ان أيام هذه الوزارة «الائتلافية» المؤلفة من أحزاب الاقليات .. حسبوا ان ايامها معدودة وأن الوفد يوشك أن يعود الى الحكم ولكن ..

***

ولكننى أعود اليوم الى الحديث عن سياسة حسنين وهى التمهيد لعودة الوفد الى الحكم وكيف سار فيها وكيف عمل على تنفيذها .. وهل هو أخطأ فى مماطلته وتسويفه ؟..

قال لى المرحوم حسنين باشا فى حديث طويل فى مساء يوم ٩ مارس عام ١٩٤٢ :

ـ لقد كان دائما من رأيى أن نظام الحكم القائم فى مصر نظام غير طبيعى وغير مأمون ولا مرغوب فيه ، اذ ان الحكم كان فى يد أحزاب الاقلية .. بينما تقوم الاغلبية بمهمة المعارضة .. وهذا وضع مقلوب ومن هنا بدأت أعمل لتصحيح الاوضاع واعادة الامور الى سيرها الطبيعى .. أى أغلبية تحكم واقلية تعارض ..

وذات يوم ــ وقد أحسست ان الجو المناسب مهيأ تماما قلت للملك : « أظن يامولانا ان وزارة حسين سرى تعبت خلاص »

فقال لى : « أيوه.. والورقة اللى فاضلة هى مصطفى النحاس » ..

***

وكنا فى اواخر صيف ١٩٤١ وكانت أحاديث الخلاف بين السعديين والدستوريين وبينهم وبين رئيس الوزارة حسين سرى على الالسنة فى الاندية والمجتمعات.. وكان حسين سرى يرسل من وقت لآخر لسانه بكلام مقذع شديد فى حق بعض أقطاب السعديين حتى انه تحدث مرة أمام بعض الكبراء فقال عن قطب سعدى كبير انه يأوى اللصوص فى عزبته ويحميهم وان له دوسيها خاصا بين دوسيهات المشبوهين بوزارة الداخلية .. ومع ذلك ــ هكذا قال حسين سرى ــ ومع ذلك فان السعديين يطلبون منى تعيين « المشبوه المذكور » وزيرا ! ؟..

ومضى حسنين يقول : وكانت أخبــار هذا الخلاف تصل الى الملك أولا بأول . ومن هنا وافقنى على رأيى عندما قلت له ان وزارة حسين سرى تعبت خلاص..

ثم قال حسنين :

ــ لكن الملك دخل على فى صباح اليوم التالى لحديثنا وقال انه يرحب بقيام وزارة على رأسها مصطفى النحاس بس بشرط أن تكون وزارة ائتلاف تمثل فيها جميع الإحزاب ..

ولابد ان يكون الملك قد أفضى برأيه هذا ــ أو بحديثنا كله ــ الى آخرين من رجال الحاشية لأن الخبر بلغ رئيس الوزارة حسين سرى باشا فقد زارنى فى مكتبى وقال لى بلهجة غضب وعتاب مر :

ـ طيب يا أخى ما تجيب اصحابك الوفديين فى الحكم وتخلص مرة واحدة بدل ما تمرمط فى كده ..

***

والآن نلخص الموقف فى أواخر صيف ١٩٤١ :

فاروق تصالح مع مصطفى النحاس ..

مصطفى النحاس يخطب ويمتدح « المليـــك المفدى فاروق » ويسب الانجليز أعداء البلاد ..

فاروق يفوض رئيس ديوانه حسنين فى اعادة الوفديين الى الحكم على شرط أن تكون الوزارة ائتلافية تمثل فيها الاحزاب تحت رئاسة مصطفى النحاس ..

وبدأ حسنين فى تنفيذ الخطوات الاخيرة وهى اقناع الوفد والاحزاب الاخرى بالاتفــاق على هدنة وقبول الاشتراك فى الحكم ..

وقيـــل يومئذ ان الاستاذ مكرم عبيد تعهد باقناع النحاس باشا بقبول رئاسة الوزارة الائتلافية ..

واقتنع النحاس باشا فى وقت ما وأعلن فى حديث له انه يمد يده الى الجميع من أجل العمل فى هذه الظروف الخطيرة لمصلحة البلاد العليا ..

ولما لم تجب الاحزاب على هذه الدعوة عاد «رفعته» وأعلن انه « قبض يده الممدودة» وان الحكم للأمة وللناخبين اى انه رفض الائتلاف وتوزيع كراسى الوزارة .. وعاد الى طلبه القديم وهو الاحتكام للشعب فى انتخابات تجرى والحكم يكون لمن يفوز ..

***

ومر عام ١٩٤١ ..

واقبل عام ١٩٤٢ ، وقد بدأ ثعلب الصحراء المراوغ ماريشال روميل كما وصفه يومئذ ونستون تشرشل .. بدأ يتحرك من مكمنه ..

وكان الانجليز قد سمعوا طبعا وعرفوا بمساعي حسنين لاعادة الوفديين الى الحكم .. وسمعوا طبعا وعرفوا بمقابلة فاروق لمصطفى النحاس.. وسمعوا طبعا بخطبة النحاس باشا فى رأس البر وكيف انه حمل عليهم وأسماهم أعداء الديمقراطية وجلادى الحريات .. وان رفعته ألقى هذه الخطبة بعد مقابلته لفاروق ..

اذن .. فان فاروق ضدهم ، والوفد ورئيسه ضدهم ، والرأى العام فى مصر ضدهم ..

***

وأحس حسنين أنه فى سباق مع الزمن فذهب الى فاروق يقول ان السعديين والدستوريين قد ركبهم الغرور أو لعلهم قد استعذبوا الحكم بعد بقائهم فيه أربع سنوات ، ومن هنا لايريدون أن يخطوا من جانبهم خطوة الى الوفديين ، بل ذهبوا يتدللون ويشترطون قبل قبولهم الائتلاف أن ينزل لهم الوفد عن كذا وكذا من الدوائر، وأن يكون لهم فى الوزارة كذا وكذا من المقاعد .. وأن النحاس باشا يرفض وقد عدل عن رأيه وعاد واسترد يده الممدودة .. فماذا نعمل ؟..

وقال فاروق .. « وهذا كلام حسنين باشا » :

ـ اذن هات النحاس باشا على شروطه ..

أى ان فاروق رضي بعودة النحاس باشا والوفد الى الحكم بلا قيد ولا شرط ..

ولكن حسنين لم يصدع بأمر فاروق.. ولم يبادر الى الاجهاز على وزارة حسين سرى المتعبة.. والعمل على عودة النحاس الى رياسة الحكم بدون قيد أوشرط بل استأنف مساعيه عند الوفد وعند الاحزاب من أجل الاتفاق والائتلاف ..

وكأنما عز عليه أن يسلم بفشله فى تأليف الوزارة

القومية .. ومن هنا عاود الـكرة ..

وقد يتساءل قارىء : ولماذا اذن كان قد ذهب الى فاروق وأبلغه ان النحاس قد استرد يده الممدودة وانه يرفض الائتلاف؟ وبالغ فى وصف الصعوبات التى يلقاها ؟

والرد : لكى يحمل فاروق على اعطائه تفويضا مطلقا بالعمل .. أو بعبارة أخرى لـكى يحصل على تفويض على بياض ..

اذا نجحت مساعيه وأفلح فى حمل الوفد والاحزاب على الاتفاق فيما بينهم وتأليف وزارة قومية عاد الى فاروق ـ وقد تضاعف فوزه وقدره ـ وقال : « لقد حققت لمولانا رغبته ومع ان مولانا قد فوضنى فى عودة النحاس الى الحكم على شروطه فاننى قد نجحت فى عودة النحاس الى الحكم على شروط مولانا .. »

واذا لم تنجح مساعيه وأصرت الاحزاب على موقفها ومساوماتها .. وأصر النحاس باشا على استرداد يده التى كان مدها الى الاحزاب .. عاد حسنين الى فاروق وقال : « لقد صدعت بأمر مولانا وأعدت النحاس باشا الى الحكم بدون قيد أو شرط »

فى الحالة الاولى : يكسب حسنين كثيرا لأنه جاء فاروق بكسب يفوق ماكان يطلبه. وفى الحالة الاخرى ، لايخسر حسنين شيئا لأنه لم يفعل شيئا سوى تنفيذ أوامر « مولانا » فاروق ..

تلك أخلاق حسنين .. أو تلك كانت سياسته ..

حــادث ٤ فـبـرايـر

وهكذا .. مضت الايام ، وحسنين يسعى ويفاوض ويساوم رجال الاحزاب ، لأنه كان حريصا على الفوز وعدم الهزيمة ..

ولكن خوفه من هذه الهزيمة كان سببا فى اصابته بأكبر هزيمة حلت به فى حياته السياسية ، وأعنى حادث ٤ فبراير ..

ذلك انه أغفل الحقيقة التى كان أدركها منذ أسابيع أو منذ شهور قليلة ، وهى انه فى سباق مع الزمن .. أو لعله لم يقدر سرعة هذا الزمن ..

أو لعل انتصاره على مايلز لامبسون يوم فاجأه بالامر الواقع وتعيين حسن صبرى باشا رئيسا للوزارة ، ويوم فاجأه مرة ثانية بوزارة حسين سرى .. لعل انتصاره فى هذين الحادثين ملأه ثقة بنفسه ، ومن ثم أراد أن يفاجىء الانجليز بقيام الوزارة الوفدية التى طالما الحوا فيها وتمنوا قيامها .. ولكنها وزارة وفدية تأتى الى الحكم بارادة فاروق ..

وبفضل من فاروق لا بارادة الانجليز أو بمشورتهم أو بفضل منهم ..!

ويا له من انتصار لأحمد محمد حسنين !.. هاكم وزارة الوفد برياسة مصطفى النحاس ..

هاكم الوزارة التى تطلبونها وتقدمون لنا الانذارات بسببها .. ولكنها وزارة تلى الحكم وهى تلعنكم وتلعن

سياستكم وتتهم حكومتكم بأنها تحارب الديمقراطية والحريات ..

نعم يا له من انتصار لأحمد حسنين .. أو هكذا قدر أحمد حسنين ..

ولكن رئيس الديوان المناور الداهية أخطأ هذه المرة في الحساب ، وفي تقدير مدى خبث السياسة البريطانية أو المدى الذي يمكن أن تذهب اليه اذا تحرجت الامور وأحست ان مصالح بريطانيا في خطر ..

أخطأ في الحساب والتقدير وترك الانجليز يسبقونه.

***

قلت ان ثعلب الصحراء ماريشال روميل تحرك من مكمنه ..

وفي شهر يناير سنة ١٩٤٢ بدأ روميل هجوما عنيفا على الجيش البريطاني في الصحراء ، وأوفدت لندن وزير الدولة مستر ليتلتون الى القاهرة لكي يساعد وجوده في منطقة الخطر على اتخاذ قرارات سريعة من غير حاجة الى استشارة لندن في كل كبيرة وصغيرة ..

وطلب مايلز لامبسون من السراى تحديد موعد يتشرف فيه وزير الدولة البريطاني مستر ليتلتون بمقابلة «جلالة الملك » ..

ولكن السراى أبقت وزير الدولة والسفير ثلاثة أيام في انتظار الرد ..

وكانت اهانة أغضبت الوزير والسفير .. أو هكذا قال لي حسنين رحمه الله وهو يشرح لي أسباب حادث ٤ فبراير ..

روميل يشن هجوما عنيفا في الصحراء الغربية وهزائم الجيش البريطاني تتوالى .. ومواقعه الحصينة تسقط تباعا في أيدي جيش روميل ..

النحاس باشا يخطب ضد الانجليز.. وزارة حسين سري استقالت بسبب الازمة التى كان بطلها الاستاذ صليب سامى وزير الخارجية يومئذ وهى الازمة التى عرفت باسم أزمة وزير فيشى المفوض .. الرأى العام فى مصر هائج ضد الانجليز.. يصفق ويهتف لكل انتصار يحرزه روميل وكل هزيمة تقع بالانجليز.. والمظاهرات تطوف بشوارع القاهرة تهتف بسقوط انجلترا وحياة روميل ..

وكان انقلاب بطله رشيد عالى الكيلانى وقع منذ شهور فى العراق .. واضطر الوصى على العرش يومئذ الامير عبد الاله أن يغادر بغداد ويلجأ الى البصرة .. والسيد نورى السعيد أن يسافر من بغداد ويلجأ الى القاهرة .. لأن الانقلاب كان ضد الانجليز وضد أعوانهم فى العراق ..

وخشى الانجليز أن تمتد هذه النار أو هذه المظاهرات من القاهرة الى الارياف .. وأن يحدث فى مصر ماحدث فى العراق.. فتكون الضربة قاضية على خطوط مواصلاتهم الخلفية بينما هم يحاربون روميل .. ومن هنا قرروا أن يعملوا .. وبسرعة ..

والمصرى الوحيد الذى كان على علم سابق بما ينوى الانجليز عمله هو المرحوم أمين عثمان .. بل لعلهم استشاروه أو لعله هو الذى أشار عليهم بما يفعلونه..

أريد أن أقول ان مصطفى النحاس ومكرم عبيد كانا بريئين تماما من جريمة تدبير حادث ٤ فبراير ..

ولكننى لا أستطيع أن أنفى عن مصطفى النحاس انه استفاد من الحادث المذكور ..

***

وعقد كبار الانجليز فى مصر مجلسا برئاسة مستر

ليتلتون وحضور السفيرمايلزلامبسون وكبارقواد الجيش البريطانى .. وفى الجلسة المذكورة تقرر تقديم الانذار البريطانى المعروف الى فاروق بوجوب تكليف مصطفى النحاس بتشكيل الوزارة .. والا ..

وحاصرت الدبابات البريطانية قصر عابدين ..

وقبل النحاس باشا رياسة الوزآرة رغم الحاح الزعماء عليه بعدم القبول فى هذه الظروف أو على الاقل بتأليف وزارة قومية انقاذا للمظاهر لوجه مصر وحتى لا يقال اننا خضعنا .. للانذار البريطانى ونفذناه بحروفه ..

***

واليكم التفاصيل :

قلت فى الفصول السابقة ان السفير البريطانى كان طلب من رئيس الديوان أحمد محمد حسنين قيام وزارة وفدية أو على الاقل وزارة يؤيدها الوفد.. وأن حسنين ناور وداور وفاجأ مايلزلامبسون بوزارة على رأسها حسن صبرى باشا .. ومرة أخرى بوزارة حسين سرى باشا وسكت السفير البريطانى ، ولكن على مضض .. وقد أضمر فى نفسه شيئا ..

وفى نفس الوقت كانت الهزائم تتوالى على الجيش البريطانى فى الصحراء الغربية.. وكانت المظاهرات تطوف بشوارع القاهرة تهتف بحياة المانيا وسقوط بريطانيا.. وسقوط جورج السادس ..

وأحس الانجليز ان الشعب ـ شعب مصر ـ ضدهم وفاروق ضدهم .. وصديقهم مصطفى النحاس قد مل الانتظار .. فانقلب هو بدوره ضدهم ..

ومن هنا قرروا ـ وبنصيحة أمين عثمان غفر الله له ـ قرروا أن يضربوا ضربتهم ..

وفى نفس الوقت – ومرة أخرى ! – كان احمد محمد حسنين يسعى لتأليف وزارة قومية .. هذا وبالرغم من ان مصطفى النحاس كان أعلن مرة ومرارا انه يرفض أن يضع يده فى يد خصومه السياسيين.. ويرفض الاشتراك فى وزارة قومية.. وانه لا يرأس الا وزارة وفدية خالصة

وكذلك بالرغم من ان فاروق كان قد رضي بقيام وزارة وفدية وقال لحسنين : «فليكن.. وهات النحاس باشا على شروطه» ..

رغم هذا كله لم يشأ احمد محمد حسنين أن يسلم بالهزيمة أمام مصطفى النحاس أو مايلز لامبسون ، فقد كان من خلقه عدم اليأس وعدم التسليم بالهزيمة.. وما دام فاروق كان يفضل قيام وزارة قومية أو وزارة ائتلافية فليحاول حسنين المستحيل من أجل تحقيق رغبة مولاه !..

وبينما حسنين باشا لا يزال فى محاولاته ومداولاته ومفاوضاته مع زعماء الاحزاب .. وبعض كبار الوفديين – وكأنما نسى انه فى سباق مع الزمن – بينما هو كذلك ضرب الانجليز ضربتهم ..

وفى يوم الاثنين ٢ فبراير ١٩٤٢ استقالت وزارة حسين سري باشا ، وأرسل مايلز لامبسون الى فاروق يطلب منه أن يكلف مصطفى النحاس باشا بتأليف الوزارة.. أو يقبل اسناد رياسة الوزارة الى من يختاره مصطفى النحاس ويعد بتأييده ..

وأرسل فاروق واستدعى لمقابلته رؤساء الوزارات السابقين ، ورؤساء الاحزاب والرؤساء السابقين لمجلس الشيوخ ومجلس النواب .. الى آخره ..

وشاورهم فى الامر وطلب منهم أن يختاروا من بينهم وزارة قومية تواجه الاحداث الخطيرة التى تمر بالبلاد.

وقبلوا جميعهم ان يشتركوا فى وزارة يراسها مصطفى النحاس ..

ولكن مصطفى النحاس أصر على موقفه أو على رفضه

وفى اليوم التالى ــ الثلاثاء ٣ فبراير ــ ذهب مايلز لامبسون الى قصر عابدين وقابل رئيس الديوان احمد محمد حسنين وقال له انه علم انمصطفىالنحاس باشا يرفض الاشتراك فى وزارة قومية ولهذا فانه ــ السفير البريطانى ــ يطلب من حسنين باشا أن يقدم هذه النصيحة للملك فاروق وهى أن يعهد الى النحاس باشا بتأليف وزارة وفدية ..

ومرة أخرى عز على حسنين باشا أن يسلم بالهزيمة ! ومن ثم فقد قال للسفير البريطانى ان المشاورات لاتزال جارية مع رؤساء الاحزاب لتأليف وزارة قومية وانه واثق من ان وطنية الزعماء سوف تتغلب على كل شىء .

وانصرف مايلز لامبسون ..

انصرف لكى يعود عند ظهر اليوم التالى ــ الاربعاء ــ ويسلم حسنين باشا هذا الانذار ..

وهذا نص الانذار :

اذا لم أعلم قبل السادسة مساء ان النحاس باشا قد دعى لتأليف وزارة فان الملك فاروق يجب أن يتحمل تبعات ما يحدث ..

***

ومرة أخرى لم ييأس احمد محمد حسنين .. ولم يشأ أن يسلم بالهزيمة ــ بل لم يتردد فى مواجهة الموقف الخطير ..

واستدعى الزعماء للاجتماع بقصر عابدين ..

وطال اجتماعهم .. وطالت مناقشاتهم ..

ودخل عليهم حسنين باشا مرة ومرتين لكى يذكرهم

ان عليه أن يرد على الانذار البريطاني وأن يرسل جواب الملك فاروق قبل السادسة مساء ..

ولكن اجتماع الزعماء لم ينته الى النتيجة المرجوة بسبب اصرار النحاس باشا على موقفه ..

والوحيد بين رؤساء الوزارات السابقين الذى انضم فى الرأى الى مصطفى النحاس كان احمد زيور باشا صاحب العبارة المشهورة : « انقاذ ما يمكن انقاذه » ..

وغادر الزعماء والرؤساء السابقون قصر عابدين على أن يستأنفوا الاجتماع مرة أخرى .. ولكن ..

حوالى الساعة التاسعة مساء امتلأ ميدان عابدين « ميدان الجمهورية الآن » بآلاف الجنود البريطانيين ، وهم بملابس الميدان .. وبعشرات الدبابات ..

وطوقت الدبابات البريطانية قصر عابدين من جميع الجهات .. وصوبت اليه مدافعها .. وتقدمت احداها وحطمت الباب الرئيسي ــ أو كما كان يسمى « الباب الملكى » ــ ودخلت منه الى حرم القصر ..

ودخلت وراءها سيارة تحمل السفير البريطانى ومعه جنرال ستون قائد القوات البريطانية فى مصر ..

ووقفت السيارة أمام باب القصر الداخلى ونزل منها مايلز لامبسون والقائد البريطانى ..

ودخلا القصر ، بينما كان يسير أمامهما ثمانية ضباط بريطانيين ومسدساتهم فى أيديهم ..

وتقدم كبير الامناء بالنيابة يومئذ اسماعيل تيمور باشا يسألهم ماذا يريدون .. ولكن مايلز لامبسون نحاه بيده من طريقه وهو يقول :

ــ أنا أعرف طريقى !..

وكان الجنود البريطانيون قد هاجموا حراس القصر وجردوهم من السلاح ، وحاصروا ثكنات الحرس ..

وقاوم بعض أفراد الحرس ، ولكن البريطانيين تكاثروا وتغلبوا عليهم واصيب بعض جنود الحرس بكسور فى العظام وبجروح مختلفة ..

وصدر أمر من القصر الى رجال الحرس بعدم المقاومة حتى لا تحدث مذبحة أمام قصر عابدين !..

وفى نفس الوقت كانت الطائرات البريطانية واقفة على قدم الاستعداد للتحليق فوق ثكنات الجيش المصرى ومعسكراته وقذفها بالقنابل وتدميرها اذا بدرت من الجيش أية مقاومة ..

وحاصر الجنود الانجليز كذلك أقسام البوليس فى القاهرة وقطعوا جميع الاسلاك التليفونية بين قصر عابدين والخارج ..

كما حاصروا محطة الاذاعة المصرية لكى يمنعوا وصول الخبر الى الشعب ..

***

ودخل سير مايلز لامبسون « الذى كوفىء فيما بعد على عدوانه الشنيع بلقب لورد كليرن » .. دخل على فاروق وكان واقفا فى غرفة مكتبه والى جانبه رئيس ديوانه أحمد محمد حسنين ..

وكان يقف وراء السفير البريطانى جنرال ستون . بينما وقف خارج الغرفة الضباط الانجليز يحرسون الباب وفى أيديهم المسدسات ..

وقال السفير البريطانى لفاروق ما خلاصته انه يخيره بين التنازل عن العرش .. أو تكليف مصطفى النحاس باشا بتأليف الوزارة ..

وقبل فاروق أن يعهد الى رئيس الوفد بتشكيل الوزارة ..

وقال مايلز لامبسون :

ـ الآن .. هذا المساء

ووعده فاروق بذلك !

وانصرف مايلز لامبسون ومن معه ..

ولكن الدبابات البريطانية ظلت تحاصر القصر وثكنات الحرس ..

***

ومرة أخرى ـ وفى نفس المساء ـ أرسل حسنين باشا واستدعى الزعماء والرؤساء السابقين .. الى آخره

وتوافدوا على قصر عابدين ورأوا الدبابات البريطانية تحاصر القصر ..

وقال لهم فاروق انه قد قبل الانذار البريطانى وانه يعهد الى مصطفى النحاس باشا بتأليف الوزارة ..

وهنا قال الدكتور أحمد ماهر :

ـ اسمع يامصطفى باشا .. اننى أقول لك أمام جلالة الملك وزعماء مصر انك تتولى الحكم مسنودا بالدبابات والحراب البريطانية ..

وقال اسماعيل صدقى باشا :

ـ نعم .. مسنودا بالحراب البريطانية حقيقة لامجازا وقد رأيناها بأعيننا فى الميدان ..

وهنا قال مصطفى النحاس باشا انه لم ير شيئا من هذا .. لأن الدنيا كانت ضلمة !

ثم قال فاروق :

ـ ولى عندك رجاء يامصطفى باشا .. وهو أن تذهب الآن الى السفير البريطانى وتبلغه اننى قد عهدت اليك بتأليف الوزارة ..

قال مصطفى النحاس :

ـ ولكن الوقت متأخر يامولاى ..

ولكن فاروق الح .. وقال :

ـ سوف تجد سير مايلز فى انتظارك !

***

ومنعت الرقابة نشر أى خبر عن هذا العدوان فى مصر كما انها منعت ارسال أية برقية فى هذا الموضوع الى خارج مصر ..

وفى صباح اليوم التالى ـ ٥ فبراير ١٩٤٢ ـ توجه مصطفى النحاس الى مكتبه برياسة مجلس الوزراء ..

وكانت اللجان الوفدية قد استدعيت من مختلف جهات القطر لتهنئة « الرئيس الجليل » ..

وكان الشعب يجهل تماما ما حدث فى مساء ٤ فبراير

وانطلقت المظاهرات .. وسارت الى دار الرياسة تهتف بحياة النحاس باشا ..

وأقبل السفير البريطانى ليهنىء النحاس باشا ..

ثم خرج الاثنان معا الى الشرفة .. مصطفى النحاس ومايلز لامبسون وأيديهما متشابكة ..

وهنا خرج أحد أذناب الوفد يصيح بجموع المحتشدين أن تهتف بحياة السفير البريطانى الصديق ! ! !

وهتفت الجماهير .. ولما غادر مايلز لامبسون دار رياسة مجلس الوزراء حمله بعض شباب الوفد على الاعناق

وأسرعت محطة اذاعة لندن وأذاعت هذا الخبر وقالت ان الشعب المصرى قد حمل سفير بريطانيا على الاعناق!

***

وفى يوم ٧ فبراير ـ أى بعد الحادث بثلاثة أيام ـ تناولت الغداء مع حسنين باشا فى داره ، وقص على كثيرا من التفاصيل التى أوردتها هنا .. ومن بينها ان فاروق ـ عندما رأى اصرار مصطفى النحاس على الانفراد بالحكم ورفض كل اقتراح خاص بقيام وزارة قومية أو ائتلافيـــة أو محايدة تجرى انتخابات جديدة ـ قال

لحسنين باللغة الانجليزية :

ــ يظهر ان النحاس باشا واثق من الارض التى يقف عليها ..

أى واثق من تأييد الانجليز له !..

وقال : ان فاروق قال لرجال حاشيته عقب الحادث :

ــ يظهر ان الانجليز وقد خسروا معركة بنى غازى أرادوا أن يكسبوا معركة عابدين !..

وكان الجيش البريطانى قد أخلى مدينة بنى غازى وتراجع أمام جيش روميل ..

وأقف قليلا عند حادث ٤ فبراير ..

على كثرة ما كتب ونشر عن حادث ٤ فبراير ١٩٤٢، فانه لا تزال هناك تفاصيل وأسرار لم تنشر بعد . كما ان أحدا من الذين كتبوا عن الحادث المذكور لم يحاول أن يجلو هذه النقطة وهى :

هل كان اعتداء الانجليز على السيادة المصرية وعرش مصر فى حادث ٤ فبراير نتيجة قرار اتخذ فجأة عندما توالت انتصارات قوات المحور بقيادة الماريشال روميل فى الصحراء الغربية واشتد خطر غزو المحور ؟..

أم كان هذا الاعتداء ــ حادث ٤ فبراير ــ نتيجة سياسية تقررت ورسمت قبل ذلك بوقت طويل ؟.. بعامين أو بعام واحد على الاقل ؟..

ثم من هم الذين رسموا أو قرروا هذه السياسة أو هذا الاعتداء على سيادة مصر وعرشها ؟..

هل هم الساسة.. تشرشل وايدن فى لندن.. ووزير الدولة مستر ليتلتون وسفير بريطانيا سيرمايلزلامبسون فى القاهرة ؟.. أو رجال الجيش البريطانى فى مصر والشرق الاوسط .. جنرال ويلسون وزملاؤه ..؟

ثم ما هو السبب أو الاسباب التى حاولت السياسة

البريطانية أن تبرر بها هذا الاعتداء الشنيع على سيادة وعرش بلد مستقل ؟

هذه النقطة أو النقط لا تزال ملفوفة فى غموض كثير .

***

ذات يوم فى أوائل شهر يونية عام ١٩٤٠ تقابلت صدفة فى محل « جروبى » مع مستر جرافتى سميث السكرتير الشرقى وقتئذ بالسفارة البريطانية ..

وجلسنا نتحدث عن معركة فرنسا وانهيار مقاومة الجيش الفرنسى وعن دخول ايطاليا الحرب . وشكا جرافتى سميث مما تلقاه السلطات البريطانية من معاكسات السلطات المصرية وكيف ان الحكومة المصرية قد انقلبت فى الايام الاخيرة من حكومة صديقة تنفذ المعاهدة ـ معاهدة ١٩٣٦ ـ باخلاص وتعاون .. الامر الذى شكرها عليه الجنرال ويلسون فى نحو ثلاثين خطابا أرسلها الى رئيس الحكومة « صاحب المقام الرفيع » على ماهر باشا .. انقلبت من هذا الى حكومة تضع العقبات والعراقيل ولا تبالى فى طريق السلطات البريطانية . ومن ذلك انها رفضت اعتقال عدد كبير من وكلاء المحور ممن كانوا يشغلون مناصب مدنية أو يقومون فى الظاهر بأعمال تجارية بريئة بينما هم فى الحقيقة يؤلفون شعبة تابعة لأقلام مخابرات العدو السرية .. أى الجاسوسية ..

ثم قال مستر جرافتى سميث : ان سنيور دودونى مدير وكالة الانبـــاء الايطاليـــة هو فى الحقيقة رئيس الجاسوسية الايطالية فى مصر ، ولقد طلبت السلطات البريطانية اعتقاله وعدم تمكينه من مغادرة مصر والعودة الى ايطاليا لأن المعلومات التى جمعها أثناء اقامته فى مصر تفيد ولا شك القيادة العليا للمحور فائدة كبيرة ..

ومضى جرافتى سميث فى حديثه يقول :

ـ ولقد قدر حسن فهمى رفعت باشا وكيل وزارة الداخلية طلبنا هذا حق قدره وفهم الاسباب التى تبرره ولهذا فانه ماطل سنيور دودونى عندما تقدم بطلب تأشيرة الخروج من مصر وأبقى طلبه تحت البحث والنظر ورفض فى نفس الوقت أن يعيد اليه جواز سفره . ولقد أراد حسن فهمى باشا من هذه المماطلة والتسويف أن يتيح للسلطات البريطانية الوقت الكافى لاقناع الحكومة المصرية بوجهة نظرها وهى وجوب اعتقال سنيور دودونى

ولكن رئيس الحكومة على ماهر باشا تكلم بنفسه مع ادارة الجوازات وألح فى استعجال اتمام اجراءات (الفيزا) او الاذن بمغادرة الاراضى المصرية الى سنيور دودونى !

بل لم يكتف على ماهر باشا بهذا وذهب بنفسه الى ادارة الجوازات ولم يبرحها الا بعد أن تمت اجراءات (الفيزا) وغادر المكتب ومعه جواز سفر سنيور دودونى وقد سلمه اليه بيده . واستطاع السنيور أن يغادر مصر تحت أنفنا وبصرنا ونحن مكتوفو الأيدى لانستطيع شيئا

وكان الغيظ واضحا فى نبرات صوت السكرتير الشرقى للسفارة البريطانية وهو يروى لى هذه القصة ثم يتساءل اين الاخلاص والتعاون اللذان كانت السلطات البريطانية تلقاهما من قبل من حكومة على ماهر؟ ! وهل هذه العقبات والعراقيل التى تضعها حكومة مصر أمام المجهود الحربى البريطانى مما يتفق مع المعاهدة المعقودة بين البلدين ؟..

وانصرف مستر جرافتى سميث وهو يقول لى ما معناه ان للصبر حدودا ، وان دوام هذه الحال من المحال

***

ولقد تلقت السلطات البريطانية فى مصر يومئذ تقارير فحواها ان الوزارة المصرية قد قلبت سياستها رأسا على عقب . وان سياستها التى كانت تجرى ـ قبل انهيار

فرنسا ـ على أساس الاخلاص والتعاون مع انجلترا قد انقلبت وأصبحت تقوم على أساس ان النصر لدولتى المحور ألمانيا وايطاليا .. وان الهزيمة لبريطانيا . وان بعض الوزراء المصريين قدصرحوا فى مجالسهم وفىحضور وبموافقة «رفعة» رئيسهم بما يفهم منه هذا ، بل لقد ذهب أحدهم وهو صالح حرب باشا الى حد القول بأن أيام بريطانيا معدودة وأن مقاومتها لالمانيا لن تزيد على شهرين اثنين ..

وكان أن خطت انجلترا خطوتها الاولى فى الاعتداء على سيادة مصر واستقلالها وأرسلت انذارها الاول مصحوبا بالبرقية المشهورة التى أرسلها لورد هاليفاكس وزير الخارجية البريطانية الى سفير بريطانيا فى مصر سير مايلز لامبسون وفيها يقول :

وترجمتها حرفيا : « على ماهر يجب أن يذهب ».. أى يترك الحكم !..

***

واستقالت وزارة علىماهر باشا.. وفوجىء الانجليز كما سبقأنقلت باختيارحسنصبرى باشا رئيسا للوزارة

***

وهكذا يمكن القول بأن الاعتداء على سيادة مصر وعرشها كان قد بدأ فعلا ـ وبصورة ما ـ فى صيف عام ١٩٤٠ ، ولم يكن هناك يومئذ خطر داهم على مصر لأن القائد البريطانى الجنرال ويفيل كان منتصرا فعلا على الجيش الايطالى فى الصحراء الغربية ..

والتفكير فى فرض وزارة مصرية معينة وزعيم مصرى معين يتولى الحكم كان قد بدأ فى صيف عام ١٩٤٠

ومن ثم يمكنالقول وعلىأساس من الاستنتاج المنطقى السليم ان حادث ٤ فبراير لم يكن نتيجة قرار أوسياسة

اتخذت فجأة وتحت ضغط خطر داهم.. وانما كان الفصل الاخير، أو الخاتمة لسياسة مرسومة كان قد بدأ تنفيذها

أو قل ان شئت ان حادث ٤ فبراير كان تحقيق أو تنفيذ الفكرة أو « المشورة » التى تقدم بها مايلز لامبسون فى يونية عام ١٩٤٠! وهى أن تتولى الحكم وزارة يؤيدها الوفد

***

وفى منتصف شهر ابريل عام ١٩٤٥ – وكانت الحرب العالمية لاتزال دائرة – قمت برحلة الى تركيا مارا بلبنان

وتفضل صاحب الدولة السيد حسين العوينى – وقد قابلته فى بيروت – وأعطانى خطاب تقدمة وتوصية الى صديقه سعادة السيد فؤاد حمزة وزير المملكة السعودية العربية فى انقرة ..

وكان السيد فؤاد حمزة – رحمه الله – مستودع أسرار كبير ولا أعرف بين دبلوماسيى العرب وساستهم من يفوقه علما والماما بأسرار ما يجرى وراء الستار . ولعل مما ساعد على هذا الالمام واتقانه لأكثر من لغة أجنبية واحدة ، وهو لبنانى الاصل، وكان مفرما بالاسفار

وكان أثناء الحرب العالمية الاخيرة وزيرا مفوضا لدولته لدى حكومة ماريشال بيتان فى فيشى وحكومة الاتحاد السويسرى فى برن .. ثم لدى حكومة تركيا فى انقرة .

ولقد تمكن فى هـذه المناصب فى البلدان الثلاثة من الوقوف على أسرار كثيرة منها ما يتصل مباشرة بحادث ٤ فبراير .. وأنا هنا أنقل مباشرة عن مذكراتى :

حدثنى سعادة فؤاد حمزة بك الوزير المفوض للمملكة العربية السعودية فقال انه لما كان فى زيوريخ (سويسرا) فى عام ١٩٤٢ – بعد وقوع حادث ٤ فبراير – قابله اللورد .... الذى كان يدير فى الخفاء قلم المخابرات البريطانية فى سويسرا وقال : ان الحكومة البريطانية قد هالها ما

يجرى ويقع فى مصر فقررت خلع الملك فاروق وان الصعوبة كانت فى اختيار الذى يخلفه على العرش.. ولقد فكرت الحكومة البريطانية فى أول الامر فى حفيد الخديو عباس حلمى ـ أى نجل الامير السابق محمد عبد المنعم وكان لايزال يومئذ فى سن الرضاعة ـ على أن يكون هناك وصى كما هو الحال فى العراق ، ثم انتهى الرأى الى مفاوضة الخديو عباس حلمى فاتصلوا به فى سويسرا وسافر سموه ـ رحمه الله ـ الى استانبول لكى يكون على مقربة من مجرى الحوادث !..

وفى استانبول قابله مستر مرتون وسلمه رسالة من الحكومة البريطانية ..

ومستر مرتون هذا عاش معظم سنى حياته فى مصر وكان يعرف البلاد ويعرف أعيانها وساستها حق المعرفة كما كان يجيد الحديث باللغة العربية .. وكان فى أول أمره موظفا بوزارة الزراعة المصرية ثم استقال وعمل مندوبا لجريدة المورننج بوست ثم مندوبا لجريدة الديلى تلغراف ..

وكان بحكم عمله الصحفى أثناء الحرب كثير التجول والتنقل بين ميادين الحرب فى الشرقين الادنى والاوسط وقد قتل فى حادث انقلاب سيارة فى الصحراء الغربية. وقتل معه فى نفس الحادث قائد انجليزى مشهور اسمه جون كامبل ..

***

قلت ان الخديو عباس حلمى غادر سويسرا الى استانبول حيث قابله مستر مورتون وتحدث معه وسلمه رسالة من حكومة لندن ..

وأقام الخديو السابق ينتظر « الاشارة » أو الخطوة الثانية .. ولكن قلم المخابرات الالمانية أحس أن هناك

شيئا مريبا يجرى ..

وكذلك أحس الخديو ان الالمان يشكون فيه .. وان عيونهم فى استانبول يرقبون حركاته .. ويشكون فى سبب قدومه الى استانبول واتصاله بأعدائهم الانجليز، فخشى الخطر على نفسه ، وأسرع بمغادرة استانبول عائدا الى مقره الامين فى سويسرا ..

وقلت لفؤاد حمزة بك :

ـ ولماذا لم يرشح الانجليز لعرش مصر «ولى العهد» الامير محمد على توفيق وهو صديقهم الحميم ..؟

قال : فى الواقع ان ترشيح البرنس محمدعلى للعرش لم يكن محل تفكير فى أى وقت لأن الانجليز كانوا يعرفون انه غير محبوب وليست له أقل شعبية فى مصر .. ولقد فكروا فى الخديو عباس حلمى لأنه كان محبوبا الى حد ما وكانت له شعبية .. ثم هو الرجل الذى كان الانجليز اغتصبوا منه العرش وأعطوه لحسين كامل ثم لأحمد فؤاد .. ومن هنا رأوا أن يعيدوه أو يعيدوا اليه عرشه ترضية لشعب مصر حتى لايثور أو يقوم باضطرابات عند خلع الملك فاروق المحبوب ؟ !..

***

قلت ان حسنين باشا أكد للسفير البريطانى مايلز لامبسون الذى لم يكن قد أنعم عليه بعد بلقب لوردكلين انه قد روعى فى اختيار حسن صبرى باشا وجميع أعضاء وزارته انهم أصدقاء مخلصون لبريطانيا والا لما كان الاختيار قد وقع عليهم ..

وسكت مايلز لامبسون او اطمأن الى هذا التفسير . ولكن رئيس الحكومة الجديدة حسن صبرى باشا لم يطل به الامر حتى بدأ يشكو لمن يلقاهم من كبار الانجليز

من انه لايستطيع القيام بكل ما يقتضيه تنفيذ المعاهدة بصدق وتعاون واخلاص لأن خصومه السياسيين أقوى منه وأوسع نفوذا وان على رأس هؤلاء الخصوم علي ماهر

وطلب منه الانجليز اعتقال علي ماهر باشا ولكنه رفض ثم توفى حسن صبرى باشا فجأة بينما كان يلقى خطاب العرش فى حفلة افتتاح البرلمان فى نوفمبر عام ١٩٤٠

ومرة أخرى طلب فاروق من أحمد حسنين البحث عن رئيس جديد للحكومة ..

ومرة أخرى فوجيء الانجليز بقيام وزارة ليست وفدية أو يؤيدها الوفديون كما كانوا يطلبون ..!

***

ولكن حسين سرى ـ هو أيضا ـ لم يكد يسير فى الحكم أسابيع حتى ذهب يشكو لكل من يلقاه هنا وهناك من كثرة العراقيل التى توضع فى سبيله ومن مناورات ودسائس بعض الساسة المصريين بقصد اضعافه وشل يده

وكانت السلطات البريطانية فى ذلك الوقت كثيرة الشكوى من نشاط بعض الساسة والكبراء المصريين فى مصر .. وفى خارج مصر وهو نشاط وصفه الانجليز يومئذ بأنه نشاط «محورى» يعمل لمصلحة دول المحور .. أو على الاقل هو نشاط معاد للسياسة البريطانية ومعرقل لجهودها الحربية ضد أعدائها ..

وكان بين أسماء الكبراء الذين يقومون بهذا النشاط خارج مصر: «سعادة مراد سيد احمد باشا» ـ رحمه الله ـ الذى كان وزيرا مفوضا لمصر فى روما عند اعلان الحرب .. ولقد رفض يومئذ أن يعود الى مصر .. ومضى يتنقل بين ايطاليا وسويسرا والمانيا ! وتركه الالمان والايطاليون حرا بينما اعتقلوا مئات من الرعايا المصريين

هذا وقد لفت أنظار أقلام المخابرات البريطانية الى

نشاط مراد سيد أحمد باشا ..

وهنا تذكرت السلطات البريطانية ان مراد سيد احمد باشا صديق حميم لعلي ماهر باشا ، وانعلى ماهر باشا كان اختاره وزيرا فى وزارته ثم وزيرا مفوضا لمصر ..

وازداد الشك وسوء الظن فى على ماهر ..

وتساءلت السلطات البريطانية يومئذ لماذا لا تتخذ السلطات المصرية اجراء ما ضد سيد احمد باشا ونو بوصفه موظفا كبيرا فى المعاش ؟..

واذا كان كونت شيانو ـ وزير خارجية ايطاليا يومئذ وصهير موسوليني ـ قد كتب فى مذكراته التى نشرت بعد وفاته ونشرت ترجمتها زميلتنا الاهرام ، شيئا عن حديث دار ـ أثناء الحرب طبعا ـ بين مراد سيد احمد باشا وبين وزير ايطاليا المفوض لدى الفاتيكان وقد قال مراد سيد أحمد باشا فى هذا الحديث ان الملك فاروق يميل الى المحور ويكره البريطانيين « وقد أغفلت جريدة الاهرام يومئذ نشر ترجمة هذا القسم من المذكرات».. فان أقلام المخابرات البريطانية كان لديها أقوال أكثر خطورة منسوبة ان صدقا وان كذبا الى مراد سيد احمد باشا ..

ولقد كان فى مقدور السلطات البريطانية أن تفهم وتقدر نشاط هؤلاء الكبراء المصريين .. لا على انه خيانة لقضية بريطانيا وحلفائها.. وانما على انه اخلاص لقضية مصر واستقلالها ، وان المصريين هؤلاء ذوى النشاط «المحورى» لا يحبون المحور لسواد عينيه ولا يكرهون الانجليز لذاتهم .. ولكنهم كانوا يعملون لمصر ولتحقيق ما يعتقدون باخلاص انه فى مصلحة مصر . ولقد كانت الدول المحايدة أو معظمها على الاقل تؤمن يومئذ ايمانا راسخا بأن النصر للمحور، وان الهزيمة مكتوبة لبريطانيا

ولم يكن اذن هذا النفر من الساسة والكبراء المصريين هم وحدهم الذين يؤمنون بانتصار ألمانيا ومحورها.. فقد كان هناك اخوان لهم فى فلسطين والعراق وسوريا يرون نفس الرأى ..

بل وفى اسبانيا والبرتغال وسويسرا والسويد وأمريكا الجنوبية.. وفى الهند ، بل وفى فرنسا نفسها كان يوجد كثيرون ممن يؤمنون بأن النصر لدول المحور ..

وفى جميع هذه الدول كان يوجد ساسة يحبون بلادهم ، وكانوا يرون من بعد النظر وحسن الاحتياط أن يؤيدوا المحور ويعملوا معه لكى يضمنوا السلامة لبلادهم ويضمنوا معها استقلالها وتحقيق أمانيها المشروعة يوم يتم النصر للمحور ويعود السلام ..

لم تكن هناك اذن خيانة لقضية الديمقراطية ، وانتصار أو تعاون مع قضية النازية والفاشية وانما كان هناك اخلاص لقضية البلاد وحرص على تحقيق أمانيها فى العزة والسيادة والاستقلال ..

والبريطانى الكبير الوحيد الذى فهم الموقف على حقيقته وقدر وجهة نظر هؤلاء الساسة المصريين. كان الجنرال «الآن فيلد مارشال» هنرى ميتلاند ويلسون ومن هنا فقد نظر الى نشاطهم «المحورى» ـ كما وصفوه يومئذ ـ بشىء غير قليل من سعة الصدر وقال عن الصدام الذى وقع بين السياسة البريطانية وبين هذا النشاط المصرى المحورى انه نشاط بين ولاءين !..

بين ولاء الساسة المصريين لقضية بلادهم واستقلالهم وبين ولائهم لقضية الحلفاء والديمقراطية ..

ولكن زملاءه وأنداده من القادة البريطانيين سواء فى لندن أو فى القاهرة لم ينظروا الى الموقف بنفس العين. بل نظروا الى نشاط هذا النفر من الساسة والكبراء

المصريين على انه نشاط خطر بالغ الخطورة ..

واستدارت بريطانيا فى سياستها نحو مصر وكان هذا في اوائــــل يونية عام ١٩٤٠ ، وأرسلت برقية وانذارا بوجوب تخلي السيد علي ماهر عن رئاسة الوزارة .. واسناد الحكم الى وزارة وفدية برئاسة السيد مصطفى النحاس أو على الاقل وزارة يؤيدها الوفد ومصطفى النحاس ..

وكان منطق حجة بريطانيا فى هذا ان مصطفى النحاس هو المساهم الاول فى عقد معاهدة ١٩٣٦ ، وانه اذن المسئول الاول عن تنفيذها نصا وروحا بولاء ووفاء واخلاص

ولكن السلطات البريطانية فوجئت باختيار المرحوم حسن صبرى باشا رئيسا للوزارة ..

ثم فوجئت مرة أخرى باختيار حسين سرى باشـــا خلفا له فى رئاسة الوزارة ..

ثم جاءت حكاية البوليس الخاص ووضعه تحت قيادة محمد طاهر « باشا » ..

وطاهر « باشا » كان من بين الذين طلبت السلطات البريطانية اعتقالهم بدعوى «نشاطهم المحورى» وكانت هذه السلطات تتلقى تقارير يومية عما يجرى فى نادى السيارات « الملكى » وعن الاحاديث المنسوبة الى بعض كبار أعضائه مثل النبيل «السابق» عباس حليم ومحمد طاهر « باشا » .. وكانت التقارير المذكورة تزعم أن الرجلين وغيرهما يفضون بأحاديث مملوءة بالعـــداء المر للانجليز وبالتأييد الصريح لدول المحور ...

فلما شكل البوليس الخاص وعلى رأسه طاهر «باشا» رفضت السلطات البريطانية أن تصدق ان مهمة هـــذا البوليس الخاص هى مساعدة البوليس المصرى أثنـــاء الغارات.. الى آخر ما قيل ونشر يومئذ عن الغرض

من تشكيله ..

رفض الانجليز أن يصدقوا هذا وزعموا ان هذا البوليس الخاص انما أنشىء خصيصا لكى يسهل على قوات المحور مهمتها يوم تدخل مصر .. ويمهد لها ويعاونها أثناء فترة الانتقال المضطربة وهى الفترة التى لابد منها أثناء انسحاب البريطانيين.. ودخول الالمان والايطاليين ..

وان هناك ـ كما جاءهم من استانبول ـ نظاما خاصا للاشارات والتعليمات متفقا عليه بين هذا البوليس الخاص وبين الالمان .. وكان الانجليز يعتقدون ـ فوق هذا وذاك ـ ان فى مصر محطات لاسلكية سرية للاستقبال والارسال .. أى محطات تستطيع أن نلتقط الرسائل وترسل الرسائل من مصر بدون أن تمر الرسائل المذكورة بالرقابة العسكرية ..!

وان هذه المحطات اللاسلكية السرية كانت ترسل الى « وكلاء المحور وسلطاته الحربية » تفاصيل عن بعض ما يجرى فى مصر وما تحرص السلطات البريطانية كل الحرص على كتمانه كل الكتمان ، كما انها ـ اى هذه المحطات السرية ـ كانت تتلقى من وكلاء المحور وسلطاته الحربية التعليمات عما يجب عمله ..

وبعبارة أخرى كانت السلطات البريطانية تعتقد أن هذه المحطات اللاسلكية السرية جزء من «النشاط المحورى» الذى يقوم به « طابور خامس » يتزعمه نفر من كبار الساسة المصريين ..

وأثناء هذا وذاك ـ اى فى الفترة ما بين يونية ١٩٤٠، وأواخر عام ١٩٤١ ـ تلقت السلطات البريطانية تقارير من أقلام مخابراتها فى مصر وفى انقرة واستانبول ولبنان وقد جاء فيها :

١ – ان سمير ذو الفقار بك التشريفاتي السابق – وأحد أصدقاء على ماهر باشا – قد سافر أكثر من مرة الى تركيا بحجة التجارة فى الجلود والتبغ وانه اجتمع بسفير ألمانيا فى انقرة فون بابن عدة مرات ، وانه قابل أيضا بعض وكلاء الالمان فى لبنان وانه لما عاد الى مصر اجتمع بفلان وفلان من الساسة وكبار رجال الدولة !

٢ – وان شوقى الهان وزير تركيا المفوض يومئذ فى مصر قد سافر أكثر من مرة الى تركيا بحجة الاجازة أو مراجعة حكومته فى بعض الشئون ، بينما هو سافر فى الحقيقة موفدا من « سلطات مصرية عليا » للاتصال بالسلطات الالمانية فى تركيا وابلاغها كذا وكيت .. لكى تبلغها هى بدورها الى « السلطات العليا » فى برلين .

وكانت تركيا يومئذ أى فى عام ١٩٤١ على الحياد.. ولكنه كان حيادا مشوبا بالميل لألمانيا وتأييد المحور .. وكان فريق كبير من ساستها وقوادها العسكريين يؤمن بأن النصر للمحور ..

٣ – وان الآنســـة دولورس دى بدروزو الملحقة السياسية بمفوضية اسبانيا فى القاهرة كانت «واسطة» اتصال بين فريق الكبراء المصريين الموالين للمحور .. وبين سفارة المانيا فى مدريد ..

وكانت اسبانيا يومئذ على الحياد .. ولكنها كانت تؤيد المحور صراحة ..

٤ – وان مسيو بوتزى الوزير المفوض لحكومة فيشى الفرنسية فى القاهرة يقوم بنفس الدور ..

وحكومة فيشى كانت تتعاون مع الالمان ...

كانت السلطات البريطانية تتلقى هذه التقارير فى عام ١٩٤١ ، وكانت تؤمن بصحة ما فيها .. هذا بينما كانت الحرب تمر بمرحلة من أخطر مراحلها ، بالنسبة لانجلترا

وحلفائها فقد كانت بريطانيا تحارب فى الواقع وظهرها الى الجدار وقد توالت عليها الهزائم .. ثم اذا باليابان تقوم بهجومها المفاجىء فى نهاية العام ــ عام ١٩٤١ ــ وتجتاح المعاقل البْريطانية فى الشرق الاقصى ..

وتوالت انتصارات اليابان فى البر والبحر ضد البريطانيين وحلفائهم الامريكان. وسقطت جزر الباسفيك والملايو وجزر الهند الشرقية وبورما وسنغافورة .. ثم بدأ زحف اليابانيين صوب الهند ..

واضطرت بريطانيا أن تعيد توزيع قواتها المنهكة ..

كان هذا هو الموقف فى الشرق الاقصى ..

أما فى أوروبا فان الجيوش الالمانية كانت تحاصر موسكو ولينينجراد .. وتعدو عدوا صوب آبار البترول فى القوقاز

وفى كلمة موجزة كان هتلر قد سحق أوروبا تحت حذائه العسكرى من النرويج الى اليونان ومن شاطىء الاطلنطى الى نهر الفولجا وجبال الاورال ..

وفى افريقيا وعلى حدود مصر الغربية كان الثعلب المراوغ المارشال روميل ــ كما أسماه يومئذ تشرشل ــ كان لايتراجع مرة الا ليرتد بعدها ــ مثل وتر القوس ــ وهو أكثر شدة وقسوة وعنفا ليكيل للبريطانيين ضربات قاصمة !

وكانت انجلترا قد هرعت خلال العام ــ عام ١٩٤١ ــ الى التدخل فى العراق لتحبط الانقلاب الذى قام به السيد رشيد عالى الكيلانى الذى كان متهما بأنه ضالع مع المحور ..

وتدخلت كذلك فى ايران ــ بالاتفاق مع حليفتها روسيا ــ وخلعت شاه ايران رضا بهلوى ونفته الى جزر سيشل

وفى كلمة موجزة كانت أعصاب الانجليز متوترة .. وصوابهم يكاد أن يطيش .. ما بين هزائم متوالية ..

وانقلابات فى بلدان صديقة موالية ..

وكانت السلطات البريطانيـــة فى مصر تخشى أن يقع هنا انقلاب كالذى وقع فى العراق ..

انقلاب يخرج به الامر نهائيا من أيدى الساسة المصريين «أصدقاء» بريطانيا الى أيدى الساسة المصريين خصومها الذين يعملون على احباط مجهودها الحربى فى مصر وفى الشرق الاوسط ويمهدون لانتصار المحور ..

وكانت تقارير أقلام المخابرات البريطانية كما سبق أن ذكرت تزعم ان ساسة وكبراء مصريين يترقبون الفرصة للقيام بانقلاب فى الوقت الذى يتفق عليه بينهم وبين وكلاء المحور وعيونه فى مصر .. وان الغرض من هذا الانقلاب هو احراج البريطانيين فى الوقت المناسب الذى يشن فيه روميل هجوما عنيفا على مصر فيضطر البريطانيون الى توزيع قواتهم بين مصر وميدان القتال فى الصحراء الغربية .. وتضطرب خطوط التموين وتقطع خطوط المواصلات مع جبهة القتال ...

كان الموقف اذن خطيرا بالغ الخطورة وكانت السياسة البريطانية قد فقدت اتزانها وطاش صوابها وكانت تتعثر وهى تتلمس أسباب النجاة .. وكان ساسة بريطانيا وقوادها ورجال سفارتها فى مصر يشعرون ان شعب مصر يكرههم وان عواطفه كلها مع المانيا وهتلر .. وكانت عيون السفارة ورجال أقلام المخابرات البريطانيون يقدمون تقارير فيها ان رواد المقاهى فى الاحياء الشعبية فى القاهرة واسكندرية ومدن القطر يجتمعون كل مساء حول أجهزة الراديو وينصتون للاذاعات العربية من محطات المحور، وخصوصا محطة برلين ..

وتناقلت الالسن يومئذ نكتة أو عبارة مشهورة قالها المرحوم احمد زيور باشا عندما سئل عن رأيه فى الحالة.

فقد قال : « حالة ايه يا مونشير ! ·· شعب مصر المانى ·· وملك مصر طليانى ·· والحكومة انجليزية »

أى ان عواطف الشعب مع الالمان ..

والملك السابق فاروق ضالع مع الايطاليين بحكم نشأة أبيه والصداقة الموروثة والحاشية الايطالية التى تحوطه بينما الحكومة تتعاون مع الانجليز !

كان الانجليز يدركون هــذا ويشعرون ان المصريين ضدهم .. والملك فاروق ضدهم ..

وان هناك « نشاطا محوريا » ـ كما وصفوه ـ يقوم به نفر من كبار المصريين فى مصر وفى خارج مصر .. وان هناك اتصالات سرية تجرى بين السلطات المصرية العليا ـ أى فاروق ورجاله ـ وبين السلطات العليا فى برلين .. وان بين الذين يقومون بهذه الوساطة ويسهلون هــذه الاتصالات وزير تركيا المفوض فى مصر شوقى الهان .. والآنسة بدروزو الملحقة بالمفوضية الاسبانية ، ومسيو بوتزى وزير حكومة فيشى المفوض فى مصر ..

وان هناك خطة مرسـومة لاحداث انقلاب فى مصر عندما يشدد روميل هجومه على مصر ..

كانت هذه هى حال البريطانيين وكان هذا موقفهم .. والمعلومات التى تجمعت لديهم ..

ومن ثم كانوا يوجسون شرا ويخشون أن يقع فى مصر ما سبق أن وقع فى العراق وأن يفاجأوا فى ساعة الخطر ـ وهجوم روميل ـ بوقوع انقلاب فى مصر يتولى على أثره الحكم أحد الساسة الموالين للمحور ذوى « النشاط المحورى » الذى سبق أن أشرت اليه ..

وكان الانجليز يرون أن الحل الوحيد لعلاج الموقف هو أن يتولى الوفديون الحكم .. وهو ما سبق أن أشاروا به فى صيف عام ١٩٤٠ ثم عادوا وأشاروا به بعد وفاة

المرحوم حسن صبرى باشا .. ولكن مشورتهم لم يعمل بها فى المرتين ..

وكان الاعتقاد السائد فى لندن وفى الدوائر البريطانية فى القاهرة ان «رفعة» مصطفى النحاس باشا هو وحده الزعيم الشعبى القادر على «تحويل الدفة» دفة عواطف الشعب .. من الاتجاه الى المانيا الى الاتجاه الى بريطانيا وحلفائها !

ومرت شهور الصيف.. والخريف.. وأقبل الشتاء وبدأ روميل يتحرك بجيوشه فى الصحراء الغربية صوب مصر ...

واستعرض الانجليز الموقف فاذا به :

الملك ضدهم ...

والشعب المصرى أو الرأى العام فى مصر ضدهم ..

وحزب الاغلبية الشعبية ـ أى الوفد ـ ضدهم بعد خطبة النحاس باشا المشهورة فى رأس البر. وانه ـ أى الوفد ـ ينتظر من فاروق ـ ومن يوم لآخر ـ أن يعيده الى الحكم ..

وكان الانجليز ـ طبعا ـ يعرفون جميع الخطوات التى تمت من أجل عودة المياه الى مجاريها بين الملك فاروق وحزب الاغلبية الوفدية ..

ومن هنا قدرت السياسة البريطانية انه اذا تولى الوفد الحكم فسوف يتولاه وهو يشعر بأنه مدين بهذا « الفضل » لفاروق !..

فاروق الذى كان ممالئا أو نصيرا لسياسة المحور.. وان الوفد والحالة هذه سوف يسيرعلى نفس السياسة أى سياسة العداء لبريطانيا وممالأة أعدائها دول المحور!

وأسرع الانجليز وانتهزوا فرصة حوادث آخر يناير ١٩٤٢ ـ أزمة فيشى واستقالة وزارة حسين سرى باشا

ـ أسرعوا وضربوا ضربتهم التى فرقوا بها بين الملك ، والوفد .. وكسبوا فيها الوفد وأغلبيته الى جانبهم ..

وفى غداة حادث ٤ فبراير ، هتف الشعب ـ شعب الوفد ـ لسفير بريطانيا وهو فى طريقه الى رياسة مجلس الوزراء ..

وهتف وصفق له طويلا عندما أطل عليه السفير سير مايلزلامبسون والى جانبه رئيس الوزراء مصطفى النحاس باشا من شرفة رياسة مجلس الوزراء !

وأحس الوفديون يومئذ أنهم مدينون فعلا «بالفضل» فضل توليهم الحكم ـ بعدحرمانهم منه زهاء أربع سنوات ـ مدينون بهذا « الفضل » لبريطانيا وسفيرها سيرمايلز لامبسون .. لا لفاروق أو أحمد حسنين !

وكانت أكبرهزيمة منى بها حسنين فى حياته السياسية فقد ترك الانجليز يسبقونه وينتزعون منه النحاس والوفديين من بين يديه ..

وقال لى يوم قابلته بعد حادث ٤ فبراير بثلاثة أيام :

« القلم » كان جامد يامحمد .. لسه بيرن على صدغى .. شغل ثمانية اشهر راح فاشوش ..

وكان يقصد مساعيه من أجل عودة الوفد الى الحكم .. ولكن لا بهذه الطريقة بل بالطريق الشرعى السليم .

وتنهد حسنين وقال :

ـ آه لو كنت قابلت ليتلتون قبلها ولو بأربع وعشرين ساعة بس .. ما كنش حصل حاجة من دى ..

وحدثنى طويلا عن تفصيلات الحادث والانذارات التى سبقته وعن اجتماعات الزعماء فى قصرعابدين ثم محاصرة الدبابات البريطانية للقصر وحضور السفيرمايلزلامبسون .. الخ ..

ولقد خرجت يومئذ من هذا الحديث بهذا الاثر وهو

ان حسنين كان لايزال حائرا لايعرف كيف وقعت هذه الضربة .. ولا من أين جاءت ؟ هل من السفير ، أو من مستر ليتلتون وزير الدولة ؟ وهل النحاس باشا برىء كما يقول من تبعة هذا الحادث ومن الاشتراك فى تدبيره ؟ واذا كان هو بريئا ، فهل مكرم ، وأمين عثمان بريئان كذلك؟ أم تراهما اتفقا مع الانجليز من وراء ظهرمصطفى النحاس .. الى آخره ؟..

كان حسنين لايزال حائرا يوم قابلته عقب الحادث فى يوم ٧ فبراير.. ولكنه عاد بعد أيام وفى مقابلة آخرى وقال انه اقتنع بأن النحاس ومكرم بريئان وانه أفلح فى اقناع فاروق بذلك ..

ولكننى أتساءل اليوم — وفى ضوء تصرفات حسنين التالية مع مصطفى النحاس — أتساءل هل كان حسنين قد اقتنع حقا ببراءة النحاس أو انه قال لى هذا الكلام لكى أنقله الى مصطفى النحاس فيطمئن الى حسنين ولا يأخذ منه حذره ؟

وأخرج من هـذا السؤال أو هذا التساؤل بحقيقة قررها ويشهد كثيرون على صحتها وهى ان حسنين باشا — رحمه الله — أقسم بعد حادث ٤ فبراير على الانتقام من مايلز لامبسون ومن مصطفى النحاس ..

القسم على الانتقام من رئيس الوفد ينهض دليلا على ان حسنين لم يكن يؤمن ببراءة مصطفى النحاس ..

ولكننى أترك المنطق والاستنتاج وأروى حديثه أو أحاديثه كما سمعتها منه ..

فى حديث له أفضى به الى فى جلسة لنا بداره فى مساء ٢٧ مارس عام ١٩٤٢ ، قال : ان فاروق قال له عقب الحادث مباشرة : « حصل اللى حصل وعلى كل حال أنا أعطيت النحاس كلمة انى سوف أساعده .. وجم

الحكم خلاص ولازم أشتغل معاهم » ..

قال حسنين :

ـ وكان على بصفتى رئيسا للديوان أن أقيم سياستى على هذا الاساس.. وهو التعاون مع حكومة الوفد .. والتعاون مع السلطة التى جاءت بها الى الحكم .. أى الانجليز .. وان أنسى عواطفى الشخصية ..

وأشهد انه قال هذه العبارة بمرارة فلم تكن الهزيمة أمرا سهلا على حسنين وأية هزيمة أكبر وأشنع من هزيمته السياسية فى حادث ٤ فبراير.. وهو الذى طالما باهى وفاخر بانتصاره على السفير لامبسون وكيف كسب منه الجولة يوم فاجأه بوزارة حسن صبرى باشا ..

ويوم كسب منه الجولة الثانية يوم واجهه بالامر الواقع ووزارة حسين سرى .. وها هو ذا السفير مايلز لامبسون يكسب الجولة الاخيرة الحاسمة ويفاجئه بالدبابات تحيط بالقصر .. وبوزارة الوفد بفرضها على فاروق فرضا والا ..؟

وزاد فى مرارة حسنين وفى حدة شعوره بالهزيمة علمه ان الشامتين فيه كثيرون .. وان الساخرين منه ومن سياسته قد أطلقوا فيه ألسنتهم فى كل ناد ومجلس .. وان خصومه فى داخل القصر وفى خارج القصر قد بدأوا يستخفون به ولايبالون أن يعلنوها صراحة انه ـ أى حسنين ـ لايصلح لمنصب رئيس الديوان.. وان أحدهم وهو على ماهر باشا ـ قد سأل بعض أصدقاء حسنين بلهجة اصطنع فيها الدهشة والعجب.. كيف ان حسنين باشا لم يستقل من منصبه حتى الآن ؟

ويستطيع القارىء أن يدرك من هذه التفصيلات ان حسنين باشا لم يكن شريكا فى جريمة تدبير حادث ٤ فبراير.. ولم يكن مطية للسفير أو غيره من الانجليز..

بل كان ضحية من ضحايا الحادث الشنيع المشئوم .. وان كل ماقيل عن تآمره مع الانجليز فى الحادث المذكور كان محض افتراء أذاعه عنه الحاقدون المغرضون ..

وأمشى الآن فى سرد الحوادث كما رواها لى أحمد حسنين .. ولقد اتفق معه على ترتيب الوقائع ولكنى أختلف معه قطعا فى الاسباب والنتائج ..

ومن ذلك ... قال لى ــ رحمه الله ــ :

ــ ورغبة منى فى تصفية الجو بين الملك والوزارة ، وتحسين العلاقات بينهما سعيت عند الملك حتى وافق على مقابلة مكرم وأمين عثمان .. وذلك لكى تعرف البلد ان الملك لايكره مكرم أو أمين عثمان كما يذاع ويشاع.. ولاننا كنا جميعا نعرف ان مكرم باشا هو ذراع النحاس اليمنى ومستشاره فى الشئون الداخلية والمالية .. وان أمين عثمان هو ذراعه اليسرى ومستشاره فى الشئون الخارجية ، فكان من المرغوب فيه والحالة هذه ان نوثق علاقتنا بهذين الذراعين أو بالرجلين المقربين الى رئيس الحكومة .. وهكذا طلبت من مكرم باشا أن «يلتمس» مقابلة جلالة الملك لسبب ما .. وسألنى مكرم « سبب زى ايه ؟ » وسكت مكرم قليلا ثم قال :

ــ وجدت السبب .. لقد أعددنا أوراق نقد جديدة وأحب أن أعرض الرسم الجديد على جلالة الملك قبل البدء فى طبعها ..

قلت : عظيم .. والسبب وجيه ..

وتمت المقابلة فعلا .. وقد نجح مكرم باشا واستطاع أن يكسب عطف الملك وخصوصا بعد أن قال له : أنا أعرف يامولاى ان من السهل جدا مهاجمتى وتحميلى مسئولية كل ما يقع من الوفد.. وأنا والله شهيد برىء

وكذلك تمت مقابلة الملك بأمين عثمان .. ولكن المقابلة لم تنجح ..

الخلاف بين..
مصطفى النحاس ومكرم عبيد

اذن فان حسنين السياسى الداهية يزعم انه سعى لدى فاروق حتى أقنعه بالموافقة على مقابلة مكرم عبيد رغبة منه فى « تصفية الجو وتحسين العلاقات بين الوفد وفاروق » ..

هذا ما قاله أو ما زعمه حسنين غفر الله له ..

والحقيقة ان غرض حسنين كان أبعد ما يكون عن الصفاء والوئام والسلام ..

لقد كان غرض رئيس الديوان ـ فى تنفيذ أو تحقيق سياسة الانتقام من مصطفى النحاس ـ كان غرضه أن يوقع بين النحاس ومكرم وبين النحاس وأمين عثمان.. او بعبارة اخرى أن ينتزع من رئيس الوفد ذراعيه الاثنتين اللذين يستند اليهما فى ادارة شئون البلاد الداخلية والخارجية

ويا له من انتصار يمحو عار هزيمة ٤ فبراير يوم ينجح حسنين فى ضم مكرم وأمين عثمان الى جانب القصر .. ضد الوفد ومصطفى النحاس ..

أو على أقل القليل يوم يستطيع أن يستغل نفوذ مكرم عند النحاس فى تحقيق أغراض السراى والموافقة على طلباتها .. ويوم يستطيع أن يستغل حظوة أمين عثمان عند الانجليز فى اقناعهم بتعديل سياستهم الجافة أو موقفهم المتعنت المتشدد من القصر ..

كان هذا هو الغرض الحقيقى من هذه الخطوة التى خطاها حسنين وجمع فيها بين فاروق ومكرم .. وبينه وبين أمين عثمان ..

ولقد نجح فوق ما كان يأمل.. ويوم عرف مصطفى النحاس ان السراى قدحددت موعدا يتشرف فيه معالى وزيرالمالية مكرم عبيد باشا بمقابلة جلالة الملك فاروق.. قال النحاس باشا لجلسائه : « أنا عارف انهم عايزين يفرقوا بينى وبين مكرم » ..

ثم عاد وقالها لمكرم نفسه . قال : « يامكرم خد بالك .. عاوزين يفرقوا بيننا »

ومشت الحوادث سريعة تلهث ، خرج مكرم باشا من مقابلة فاروق مغتبطا مسرورا واتصل به زميل كان يعمل فى «الاهرام» وسأله عن المقابلة وما دار فيها وأثرها فى نفس«معاليه».. وكان اتصاله بناء على ايحاء من‌حسنين باشا وكان مكرم‌كما قلت مغتبطا مسرورا ومن هنا أفاض فى وصف العطف السامى الكريم الذى لقيه الى آخره..

وقال مكرم باشا انه سيملى الجريدة تصريحا مكتوبا

وكان هذا هو الفصل الثانى فى المؤامرة أوالشباك التى نصبها أحمد حسنين لمصطفى النحاس ومكرم عبيد ولم تكن العادة قد جرت بأن يخرج الوزير ـ أى وزير من مقابلة الملك ـ أى ملك فى أى بلد ـ ويصف المقابلة فى مقال ينشر فى الصحف ..

ولكن‌هذا هو ماحدث.. فقد طلعت جريدة «الاهرام» فى عددها الصادر بتاريخ يوم الجمعة ١٣ مارس عام ١٩٤٢ ، وفيها الكلمة أو المقال الآتى :

وزير المالية .. فى الحضرة الملكية

تشرف معالى الاستاذ مكرم عبيد باشا وزير المالية بمقابلة صاحب الجلالة الملك بعد ظهر أمس فعرض على

المسامع الملكية بعض الشئون المالية والاقتصادية فلقى من لدن جلالته كل عطف ورعاية وقد أفضى معاليه الى مندوب « الاهرام » بالتصريح الآتى :

« تشرفت مساء أمس بمقابلة جلالة المليك المحبوب ، وعرضت على مسامعه الكريمة أهم شئون التموين ، والسياسة التى ندرسها الآن تمهيداً لاقرارها وتطبيقها على محصول القمح الجديد كما عرضت على جلالته بعض التعديلات فى الميزانية التى أعتزم عرضها على مجلس الوزراء وفى مقدمتها المشروع الذى يرمى الى تخفيف الاعباء المالية عن صغار الفلاحين والمزارعين ورفع مستوى معيشتهم وغير ذلك من المشاريع التى تؤدى ، او أرجو أن تؤدى الى موازنة الميزانية موازنة حقيقية لاحسابية بحيث لا تهمل المشاريع الحيوية وتكون جباية المال وانفاقه فى حدود العدالة الاجتماعية ..

ثم تشرفت بعرض ماتم فى مسألة القطن والحبوب ، ومبلغ ما وفقت اليه حكومة جلالته فى هذا الصدد .. بالتعاون مع الدولة الحليفة ..

وأطلعت جلالته على نموذج من أوراق النقد الجديدة التى لوحظ فى طبعها واعدادها تعذر تزييفها ، فنالت رضاءه السامى ..

وقصارى القول ، فقد تناول حديثى فى حضرة جلالته حالة البلاد المالية من مختلف وجوهها — وهى حالة بفضل الله مرضية — ولقيت من جلالته لا مجرد عطف فحسب أو تشجيع فحسب — مما ألهج لسانى بالشكر والحمد — بل لقيت ما هو أعظم من ذلك وأهم ، فقد لقيت اطلاعا واسعا ، وارشادا نافعا ونظرة دقيقة وعميقة الى جوهر المسائل المعروضة رغم تباينها وبعد نواحيها ، فلم ألبث طويلا حتى أدركت ان ملكنا الشاب

قد ملك زمام الامور ، بفضل ما أوتى من رجولة مبكرة وخبرة منوعة نادرة ، قلما أتيحت لملك من الملوك ..

ولذلك لم يلبث الحديث طويلا حتى انتقلت دفته الى يديه الكريمتين . فكان ينتقل من موضوع الى آخر ومن نصح الى نصح فى عطف ووداعة وصراحة اخاذة ونفاذة معا

وغاية القول انه قد أتيح لى فى هذه المقابلة الملكية السامية أن أعرف الرجل الملك فكان الرجل فى رجولته لا يقل جلالة عن الملك فى مملكته ..

وقد تفضل جلالته فأكد لى فى بساطة وديمقراطية انه ملك للجميع ، لا يفرق بين طوائف أو أحزاب أو طبقات فى شعبه الوفى وقد خرجت من لدنه وهذا اعتقادى ، بل ويقينى ..

***

وكان النحاس باشا يقيم هو والسيدة حرمه فى جناح خاص بفندق مينا هاوس وتصادف اننى ذهبت أزوره فى مساء نفس اليوم الذى ظهرت فى صباحه كلمة الاستاذ مكرم عبيد بجريدة الاهرام ..

وبينما نحن نتحدث دق جرس التليفون الموضوع فوق مائدة صغيرة بجوار «رفعته» وكان المتكلم الاستاذ مكرم عبيد وكان يتكلم من مدينة المنيا ..

وفهمت من الحديث الذى دار بينـه وبين السيد مصطفى النحاس ان مكرم كان قد سافر فى صباح نفس اليوم الى المنيا لـكى يسوى خلافا خاصا بترشيحات الوفد لانتخاب مجلس النواب وكان الخلاف بين مرشحين وفديين أحدهما الاستاذ ابراهيم الشريعى ..

وبينما كان مكرم يتحدث ، ولم أسمع حديثه طبعا وان أكن قد فهمت بعض ما قاله من تعليق أو رد مصطفى النحاس .. أقول بينما كان يتحدث قاطعه النحاس

وهو يقول :

ــ لكن سيبك من ده كله وقول لى ايه الكلام ده يامكرم اللى انت كاتبه فى أهرام النهاردة ؟

ويظهر أن مكرم باشا أبدى دهشته أو عجبه من استنكار النحاس باشا أوقال مامعناه انهم جميعا يقولون مثل هذا الكلام عن الملك فى كل يوم ، لأن النحاس قال :

ــ أيوه .. لكن لما أقوله أنا باقوله فى مقابل شىء .. باقوله وآخد حاجه فى مقابل كده .. لكن انت تقوله ليه ؟ ثم علشان ايه ما عرضتوش على قبل نشره ؟ دى غريبة ! لأنك دايما بتاخد رأيى فى أحاديثك وتصريحاتك قبل نشرها .. اشمعنى المرة دى لأ ؟

ويظهر ان مكرم قال ان الساعة كانت متأخرة وانه لم يرد ازعاج «رفعته» أو ايقاظه من نومه ، لأن النحاس قال :

ــ يعنى ايه ؟ عايز تقول انك كتبت الكلام ده نص الليل .. وقبل كده ما كنتش لسه كتبت حاجة ؟

***

وانتهت المحادثة بين الصديقين : رئيس الوفد وسكرتير الوفد ، وكانت لهجة الحديث فى نهايته قد اشتدت واحتدت ..

ولاحظت عندما أنهى النحاس باشا الحديث وأعاد سماعة التليفون الى مكانها ان علامات الغضب كانت مرسومة واضحة على وجهه وفى عينيه وقال «رفعته» :

ــ ده كلام مايكتبوش الا العبيد ، أقول ايه للانجليز اللى جابونا علشان نقف فى وشه «يقصد الوقوف فى وجه فاروق» أقول لهم ايه ؟ أقول لهم بعد جمعة والتانية بقينا أمامه عبيد نتكلم عنه بلهجة العبيد ؟..

***

ولم يكن احمد محمد حسنين سبب الخلاف بين

رئيس الوفد وسكرتير الوفد السيد مصطفى النحاس ، والاستاذ مكرم عبيد .. ولكنه كان أحد الذين عملوا بمهارة و « شطارة » على توسيع شقة الخلاف ..

وكان حسنين ــ كما سبق أن ذكرت ــ قد أقسم بعد حادث ٤ فبراير على الانتقام من مصطفى النحاس ، ومن هنا سعى الى اضعاف مصطفى النحاس ــ ولا أقول هدمه ــ عن طريق التفريق بينه وبين أخلص صديق له وأقوى أعضاء الوفد نفوذا وأقربهم الى قلب الشعب ، وهو مكرم عبيد ..

وما من شك فى ان الخلاف بين الصديقين القديمين والذى انتهى الى خروج أو اخراج مكرم عبيد من الوفد ثم هجومه وحملاته الشديدة على مصطفى النحاس .. ما من شك فى ان هذا كله كان ضربة قاسية للوفديين عامة ، ولمصطفى النحاس بوجه خاص ..

أما عن أسباب الخلاف الاصلية أو الاصيلة .. فقد قال لى دكتور محمد صلاح الدين الذى كان من أخلص الوفديين لمصطفى النحاس وكان أقربهم اليه وكان موضع ثقته والذى عهد اليه النحاس باشا بمنصب وزير الخارجية فى وزارة الوفد فيما بعد .. قال لى ذات يوم اثناء الخلاف بين مكرم ومصطفى النحاس :

ــ ان مصطفى باشا بحكم طبيعته لابد أن يسيطر عليه شخص ما .. ولقد كان هذا الشخص فى وقت ما هو مكرم عبيد .. أما الآن فانها زوجته زينب هانم التى تسيطر عليه وتسيره كما تريد ..

ثم قال :

ــ وزينب هانم تتدخل الآن فى شئون الحكم ومع ذلك فقد قالت لى فى أول أسبوع من قيام هذه الوزارة كلاما سررت منه جدا وتفاءلت منه خيرا .. قالت : « لازم

نتعظ بأخطـــاء الماضي ونمشي فى الحكم كويس ، وأنا ساستعمل نفوذى عند الباشا ــ تقصد زوجها ــ من أجل هذا » ولكنها للأسف سرعان مانسيت وعدها وعملت على العكس ..

***

اذن فقد كان مكرم عبيد صاحب السيطرة والنفوذ.. الى أن زحزحته أو أزاحته السيدة زينب الوكيل ..

وكان طبيعيا أن تتطور المنافسة بين الاثنين الى عداء أو ما يشبه العداء .. وأن يطلق كل من الاثنين لسانه فى صاحبه ..

وامتلأت المجالس والاندية بالاشاعات و«التشنيعات» وسمع الجمهور لأول مرة أن السيدة حرم رئيس الوفد ورئيس الوزراء تستغل نفوذ زوجها ونفوذ الوزارة من أجل الثراء السريع ، وانها ليست وحدها ، بل ومعها عدد من أقاربها وأصهارها ..

وعرف النحاس باشا والسيدة حرمه ان مكرم عبيد وأقاربه وأنصاره هم مصدر هذه الاشاعات ..

وسمع الناس ان مكرم باشا يقول فى مجالسه الخاصة ان زينب هانم تحاربه بسبب نزاهته ولأنه ــ وهو وزير المالية ــ رفض أن يوافق على طلباتها وطلبات شقيقها السيد احمد الوكيل الخاصة بأذونات التصدير والاستيراد

وهذا فضلا عن الخلاف الذى شجر حول الاستثناءات والترقيات والعلاوات ..

وأحب أن أعفى قلمى هنا من الخوض فى حديث الفساد واستغلال النفوذ وما قيل يومئذ ، وبعدئذ .. فما أظن أن قلمى أو أى قلم آخر يمكنه أن يكتب اليوم أكثر مما كتب أو يقول اليوم شيئا جديدا لم يسبق قوله ونشره ، ولكنى حريص مع ذلك على تقرير حقيقة منصفة وهى

ان الاستاذ مكرم عبيد سبق أن دافع دفاعا بليغا قويا عن الاستثناءات والترقيات فى عام ١٩٢٧ ، فما باله يحاربها فى عام ١٩٤٢ ؟

الحقيقة المنصفة هى ان السيدة حرم النحاس باشا وأقاربها أرادوا أن يحملوا نزاهة مكرم عبيد فوق ماتطيق

أنا شخصيا أعتقد ان مكرم باشا لم يكن ليمانع أو يعارض كثيرا أوطويلا فى اجابة بعض الطلبات الصغيرة التى ـ معمخالفتها للقوانين ـ لا تثير ضجة وقالا وقيلا .. وذلك حرصا منه على رضاء صديقه النحاس باشا ، وثمنا لسكوتها عنه أو تأييدها له عند زوجها .. ولقد سبق أن تساهل أو أغمض عينيه ..

ولكنه فى هذه المرة وجد ان المطلوب منه ـ أو الحمل على نزاهته ـ ثقيل وفوق ما تطيق .. فرفض ..

ثم تشدد بعد أن اشتد الخلاف وراح يتعنت ويرفض الطلب الصغير اليسير كما يرفض الموافقة على الطلب الكبير الخطير ..

أى ان الامر كله أصبح بين السيدة حرم رئيس الوفد والوزراء ومكرم عبيد نوعا من العناد ..

***

هذا سبب ..

وسبب آخر وهو أن كثيرين من أعضاء الوفد كانت صدورهم ضاقتبالنفوذ الاكبرالذى يتمتع به «زميلهم» مكرم عبيد دونهم جميعا عند «رئيسهم» مصطفىالنحاس وبالسلطات الواسعة التى كانت له فى كل شأن من شئون الوفد وخصوصا بعد خروج احمد ماهر والنقراشى من الوفد ..

هؤلاء الاعضاء رأوا ان الخلاف بين زينب هانم ومكرم عبيد فرصةطيبة أوفرصةسانحة يحسن بهم أن ينتهزوها

لكي يتخلصوا من مكرم عبيد ومن نفوذه الطاغي فيالوفد، أو كما قال لي أحدهم : « نريد أن نكون أرقاما صحيحة لا اصفارا الى اليسار » ..

وقال لي الدكتور محمد صلاح الدين أثناء الخلاف : « ان صبري باشا أبوعلم ونجيب باشا الهلالي يعملان على توسيع شقة الخلاف بين مصطفى باشا ومكرم باشا .. وليس هناك من يعمل معي على تسوية الخلاف سوى الاستاذ محمود سليمان غنام »

وتناول الاستاذ فؤاد سراج الدين العشاء معي مرة في مسكني ، وكنا وحدنا .. وكان يومئذ وزيرا للزراعة ، وسألني : « ايه رأيك في فصل مكرم باشا من الوفد ؟ »

وقبل أن أجيب مضى يقول :

ـ أظن ان الاحسن فصله دلوقت ، لأن الخلاف استفحل ومستحيل بعد كده تصفى القلوب ، أو يتصالح تاني مع مصطفى باشا وزينب هانم .. واذا فصلنا مكرم دلوقت مش راح يقدر يعمل حاجة لأن الوفد في الحكم وتحت يدنا الرقابة .. لكن اذا سبناه جايز نخرج من الحكم .. ويخرج هوه بعدها علينا ويحاربنا ...

***

وهكذا .. السيدة حرم رئيس الوفد تحارب مكرم وتعمل على خروجه أو اخراجه من الوزارة والوفد ... وكل من في الوفد أو معظم أعضاء الوفد يعمل كذلك على اخراج مكرم عبيد ..

وكذلك «القصر» أو الرجل الاول في القصر "ورئيس الديوان احمد محمدحسنين.. أسباب وعوامل تضافرت جميعا على التفريق بين الصديقين الحميمين القديمين لنحاس ومكرم عبيد ..

وكانت الوزارة قد تقدمت بطلب عدد من الاستثناءات والترقيات لبعض الموظفين الوفديين الذين اضطهدوا .. كما قالت الوزارة ـ فى عهد الوزارات غير الوفدية ..

ورفض وزير المالية ـ مكرم عبيد ـ الموافقة على هذه الطلبات ..

ولما راجعه رئيس الوزارة مصطفى النحاس فى الامر أحال مكرم المسألة كلها على اللجنة المالية ..

وطال الاخذ والرد .. وتطور الخلاف فى الرأى الى أزمة .. كل هذا وعوامل التفريق التى أشرت اليها تسعى وتعمل ..

وفى مساء ١٨ مايو عام ١٩٤٢ أقمت فى دارى حفلة بمناسبة عيد مولدى وغنت فيها أم كلثوم ..

وكان بين المدعوين الاساتذة صبرى أبوعلم ونجيب الهلالى واحمد حمزة ودكتور محمد صلاح الدين وعدد من الشيوخ والنواب الوفديين وبعض الزملاء الصحفيين ومنهم انطون الجميل ومحمود أبوالفتح ومصطفى أمين وعلى أمين وحسن الاعور وكان يومئذ مديرا لمكتب وزير المالية الاستاذ مكرم عبيد ..

ولاحظت اثناء السهرة « حركة » او نشاطا بين بعض المدعوين .. لاحظت مثـــلا ان محمود أبو الفتح تكلم بالتليفون بصوت خافت مرة أو مرتين ..

وان حسن الاعور وعلى أمين اختليا فى غرفة مكتبى بمكرم باشا .. وأخيرا عرفنا ان مكرم باشا كان أرسل الى جريدة المصرى بصـــورة من المذكرة التى وضعتها اللجنة المالية وفيها قرارها برفض جميع الاستثناءات.

وان جريدة المصرى أدركت خطورة نشر هذه المذكرة ـ لأنها تخالف رأى الوزارة ورأى رئيســـها مصطفى النحاس ـ فاتصلت بصاحبها الاستاذ أبوالفتح فى مسكنى

وأراد الاستاذ أن يتخلص من مسئولية ابداء رأيه ، فطلب من جريدته أن تعرض المذكرة على الرقيب «وكانت الرقابة مفروضة يومئذ على الصحافة بحكم حالة الحرب»

وسمع مكرم باشا بهذا كله فثار وهاج وتساءل : « منذ متى كان للرقابة سلطان على الوزراء وما يريد الوزراء نشره ؟.. »

واتصل مكرم باشا بالتليفون بالاستاذ محمود سليمان غنام الذى كان موكولا اليه أمر الاشراف على شئون الرقابة وأبلغه انه سوف يستقيل من الوزارة اذا لم تنشر جريدة المصرى المذكرة كما هى ..

وكان سليمان غنام كما سبق أن قلت أحد القليلين الذين كانوا يسعون لتسوية الخلاف بين النحاس ومكرم ولقد خشى أن ينفذ مكرم وعيده ويستقيل .. فأمر بنشر المذكرة ..

سمعنا أثناء السهرة بهذا كله فأشفقنا من عواقب النشر.. وراح على أمين وحسن الاعور يرجوان الاستاذ مكرم عبيد أن يعدل عن نشر المذكرة حتى لايثير نشرها مصطفى النحاس ..

الى آخره .. الى آخره .. وخرجت «المصرى» فى الصباح وفيها مذكرة اللجنة المالية ومكرم عبيد برفض طلبات الاستثناءات ..

وكانت القاضيــة على كل أمل فى الصلح أو تسوية الخلاف ، وثار مصطفى النحاس وأعلن انها مؤامرة ضده وضد الوزارة وان صاحب المصرى محمود ابو الفتح شريك فى المؤامرة ولابد من «شلحه» من الهيئة الوفدية واصدار قرار من الوفد بأن المصرى لم يعد يعبر عن رأى الوفد .. وكان هـذا القرار يومئذ شبيه بقرار الحرمان الذى يصدره باباوات روما ضد المغضوب عليهم

من أعداء الـكنيسة ..

واختفى محمود أبو الفتح بضعة أيام ، ريثما تهدأ العاصفة وثورة « الرئيس الجليل » ثم عاد من مخبئه وذهب وقابل النحاس باشا .. وكانت أول مرة يلقاه فيها بعد نشر المذكرة وكان النحاس باشا هائجا ثائرا ضده وقال :

ـ أرجو من رفعتك أن تطول بالك شوية .. وأن يتسع حلمك لما أقول ..

وقال النحاس باشا ساخرا :

ـ حلمي ياسي محمود .. طيب قول ياسي محمود..

وقال محمود أبو الفتح :

ـ ما هو أساس حملة التشهير التى يقوم بها مكرم باشا ضدك ؟ .. اليس اساس هذه الحملة المحسوبية التى يزعم ان أقارب رفعتك يتمتعون بها ؟.. أليست الاستثناءات التى يرفضها ويجعل منهـا أساسا لحملة التشهير .. أليست مطلوبة لأقارب وأنصار رفعتك ؟..

وأليس شقيقى متزوجا من بنت شقيق رفعتك ؟..

ألسنا اذن من أقارب رفعتك المقصودين بالتشهير ؟ فكيف اذن يخطر ببال رفعتك اننى أتآمر ضدك مع مكرم باشا ؟.. ثم اذا انهار مصطفى النحاس وضاع نفوذه الا ننهار نحن ايضا معه ونفقد نفوذنا ؟.. اننا الآن نستمد جاهنا من جاهك فاما ارتفعنا معك واما سقطنا معك .. فكيف اذن يمكن أن أعمل عملا يؤذى أو يحط من قدر رفعتك ؟.. ورفعتك تعرف أنمكرم عدوى وانه يكرهنى وكان دائما يشككم فى وفى اخلاصى لكم وفى ولاء المصرى لرفعتكم .. وأنا لم أنشر المذكرة الا كارها وقد رفضت نشرها ولكن ازاء الحاحه أحلت الامر على الاستاذ غنام فصرح بالنشر ..

ولما انتهى الاستاذ محمود ابو الفتح من دفاعه قام

النحاس باشا وضمه الى صدره وتعانقا ..

***

وأقف هنا قليلا لأتساءل مرة أخرى : لماذا نشرمحمود أبوالفتح هذه المذكرة مع علمه بخطورة ووخامة العاقبة ؟

واذا كنت الح فى هذا السؤال فذلك لان المذكرة كما وصفتها ـ كانت القاضية ـ وكانت السبب المباشر لاخراج مكرم عبيد من الوزارة أولا .. ثم اخراجه من هيئة الوفد ثانيا ..

لقد قرأتم دفاع الاستاذ أبوالفتح عن نفسه وهو دفاع ضعيف عند الذين يعرفون الحقائق ، وكان من السهل جدا على صاحب «المصرى» أن يرفض نشر المذكرة بعد أن رفض الرقيب اجازة النشر . أما اعتذار أبو الفتح بأن الاستاذ سليمان غنام أجاز النشر فمردود عليه بأنه لم يسمح بالنشر الا لكى يحول دون استقالة مكرم عبيد

فهل كان الاستاذ أبوالفتح حريصا مثله على عدم استقالة مكرم عبيد .. بالعكس كما سترون مما يأتى.. ثم لماذا لم يختصر الاستاذ أبو الفتح ليلتئذ الطريق .. ويتحدث مباشرة بالتليفون مع النحاس باشا ويعرض عليه الامر .. واذن لكان سمعها من رئيس الحكومة ، ورئيس الوفد حاسمة قاطعة بعدم نشر المذكرة .. ولكنه لم يفعل .. واستتر وراء الأستاذ غنام !

ومرة أخرى ، لماذا نشر المذكرة ؟ هل مراعاة أومجاملة لمكرم عبيد ؟ هذا احتمال ولكنه كما سترون أضعف الاحتمالات ..

أم لأنه كان يعلم أن نشر المذكرة سوف يوسع الهوة بين مصطفى النحاس ومكرم عبيد ومن هنا نشرها لكى تكون القاضية ؟..

وهذا هو الاحتمال الراجح ، لأن أصدقاء أبو الفتح

كانوا يعرفون يومئذ انه حانق مغيظ لعدم دخوله الوزارة وقدكان اذاع أوأذاع له بعض أصدقائه وبعض الصحفيين ــ وألمحوا الى الخبر فعلا فى صحفهم ــ انه سوف يدخل الوزارة ..

وفى هذا سألت مرة الاستاذ فؤاد سراج الدين ــ وكنا فى النادى الاهلى ــ فقال وهو يضحك :

ــ وبتصدق برضه الكلام الفارغ ده .. طيب دحنا رفضنا أن نرشحه وكيلا لمجلس الشيوخ فكيف اذن نقبل دخوله معنا فى الوزارة ؟..

اذن فقد كان فؤاد سراج الدين احد الذين عارضوا فى ترشيح صاحب المصرى لكرسى الوزارة .. ولكن الاستاذ ابوالفتح لم يكن يعرف هذه الحقيقة ، بل كان يعتقد ان الذى عارض فى دخوله الوزارة هو الاستاذ مكرم عبيد .. ومن هنا نشر المذكرة لكى تكون القاضية على كل أمل فى تسوية الخلاف بين مصطفى النحاس ومكرم عبيد..

هذه هى الحقيقة ..

وأكثر من هذا ..

قال لى الاستاذ الشافعى البنا ــ رحمه الله ــ انه كان فى وقت ما رئيسا لتحرير جريدة المصرى أيام كان الوفد فى المعارضة .. وكان يحدث أن يطلب الوفد نشر مقال معين فى موضوع معين .. وكان أبوالفتح يماطل فى نشر المقال اما خوفا من أن تبطش الحكومة القائمة «بالمصرى» واما لأن له مصلحة معينة فى عدم النشر وكان سكرتير الوفد مكرم عبيد يتكلم بالتليفون ويلح فى نشر المقال ثم يهدد ويتوعد ويقول : «قولوا للأستاذ أبوالفتح انه اذا لم ينشر المقال غدا فى المصرى فان الوفد سوف يصدر بيانا يعلن فيه ان جريدة المصرى لا تعبر عن رأى الوفد»

وكنت أشفق من عواقب هذا التهديد وأذهب الى

أبوالفتح أرجوه أن ينشر المقال المطلوب فكان يبتسم ويقول : «ماتخافش ، بس سيبنى أنا بكره يشتمونا شتمتين ويزعلوا منا يومين وبعدها الحكاية تفوت » ..

وحكاية أخرى ..

قال لى الاستاذ فؤادسراج الدين فى نفس المعنى ونفس الموضوع انه حدث مرة وكان موجودا فى مصيف راس البر مع النحاس باشا ومكرم باشا أن نشر « المصرى » مقالا فيه دعاية قوية لوزارة حسين سرى من أجل اتفاقية القطن التي كانت عقدتها مع الانجليز. وغضب مكرم باشا وثار ثورة عنيفة وطلب من محمود أبوالفتح ان ينشر « المصرى » مقالا تنقض فيه المقال الاول ولكنه ماطل ولم ينشر .. وهنا أعلن مكرم باشا : اما ان يشلح أبو الفتح من الهيئة الوفدية واما أن يستقيل هو من الوفد ..

ومضى الاستاذ فؤاد سراج الدين يقول :

ـ لقد امضيت يوما وليلة وأنا أهدىء من ثورة مكرم باشا ضد المصرى وصاحبه ..

خلاصة القول اذن ـ وهذه جراة أبوالفتح فى نشر ما يريد أو عدم نشر ما لايريد رغم الوفد وزعماء الوفد ـ خلاصة القول اذن ان أبوالفتح كان يمكنه أن يرفض نشر المذكرة .. ولو كان فى رفضه ما يغضب مكرم عبيد ..

ولكنه نشرها .. لأنه كان يريد أن تنشر ..

حدث مرة فى عام ١٩٣٨ وكان السعديون والدستوريون فى الحكم والنقراشى باشا وزيرا للداخلية .. حدث أن اعتدى رجال البوليس على «موكب» النحاس باشا أثناء سيره من المحطة الى داره .. وكان مكرم باشا يجلس بجوار النحاس باشا فى السيارة ..

وأصابت هراوة أحد رجال البوليس راس مكرم باشا وأحدثت فيه جرحا عميقا . وحملت الصحف الوفدية

حملات عنيفة على الحكومة وطالبت بمحاكمة ضباط البوليس المسئولين ..

وقال لى حسين أبوالفتح شقيق محمود أبوالفتح ان شقيقه قال يومها : «معلوم، يجب ان يحاكموا العسكرى ابن ... اللى ضرب مكرم لأنه ماعرفش يضرب مكرم ضربة جامدة كفاية تخلص عليه وتريحنا منه »

قلت انجريدة «المصرى» نشرت المذكرة التى وضعتها اللجنة المالية ووزير المالية مكرم عبيد وقد رفضت فيها الموافقة على الاستثناءات التىطلبها النحاس باشا وبعض زملائه الوزراء لطائفةمنالوطنيينالوفديين.. وكان رفض اللجنة مسهبا ومقرونا بالاسماء والاسباب ..

وكانت القاضية.. وأعلن السيد مصطفى النحاس ان التعاون بينه وبين مكرم باشا أصبح مستحيلا.. ومن ثم فهو يطلب منه أن يبر بوعده ويستقيل ..

ولهذا «الوعد» حكاية أذكرها بايجاز.. ذلك انه كان حدث قبل ذلك ببضعة أسابيع ـ أى فى بدء الخلاف وأيام كان العتاب لايزال مقبولا بين الرجلين ـ حدث فى احدى جلسات العتاب أن أعلن الاستاذ مكرم عبيد انه لايزال الصديق الوفى والوفدى المخلص لرئيس الوفد مصطفى النحاس وانه ـ معاذ الله ـ لن يسمح لنفسه بالخروج على الوفد أو زعيمه مصطفى النحاس .. وانه مستعد فى أى وقت ، اثباتا لولائه واخلاصه ، ان يقدم استقالته من الوزارة وفى أى وقت يطلبها منه مصطفى النحاس ..

وهكذا .. أوفد النحاس باشا وزير الاشغال عثمان محرم باشا بصفته أكبر الوزراء سنا وأقدمهم عهدا بالوزارة .. أوفده الى الاستاذ مكرم لكى يطلب منه أن يفى بوعده ويستقيل ..

ولكن مكرم باشا لم يكد يرى عثمان محرم داخلا عليه فى داره حتى صاح :

ـ أنا عارف انت جاى ليه .. علشان تطلب منى ان أستقيل لكننى أرفض .. ولن أستقيل.. فاذهب وقل لمن أرسلك أن يقيلنى من الوزارة اذا استطاع ..

وحاول عثمان محرم أن يقنع مكرم عبيد بالنزول على رغبة مصطفى النحاس والاستقالة ويقول له : « ولو الى حين تهدأ ثائرة النفوس ويصـــفو الجو .. وليس من المستحيل أن تعود وتدخل الوزارة الى آخره » ..

ولكن مكرم رفض أن يصغى ورفض أن يستقيل .. وسمع النحاس باشا . وكانت مصادر أخبــار السوء ووسطاء السوء يومئذ كثيرة كما أن الســاعين لاخراج مكرم من الوزارة ومن الوفد ـ وقد أشرت اليهم ـ لم يقصروا جهدا فى نقل الاخبـــار التى توسع الهوة بين النحاس ومكرم ..

وسمع النحاس ان مكرم لم يرفض الاستقالة الا لانه موحى اليه أو موعز اليه بهذا الرفض .. وان مصدر الايحاء أو الايعاز هو رئيس الديوان احمد محمدحسنين

وازداد النحاس غضبا وثورة .. وأعلن انه اذا لم يستقل مكرم عبيد طوعا فسوف يخرج من الوزارة مقالا

هذا ومكرم يخرج لسانه ساخرا ويتحدث الى بعض الصحف الافرنجية فى مصر والى مندوبى وكالات الانباء ويعلن انه لن يستقيل .. وليفعل النحاس باشا أقصى ما يستطيع ..

وذهب النحاس باشا الى القصر يطلب اقالة وزير المالية مكرم عبيد ..

وحاول فاروق أن يهدىء من ثائرة رئيس وزرائه ضد وزير المالية وأن يسوى ويصلح مابين الزجلين والصديقين القديمين.. ولكن عبثا !

وما من شك فى انها «مناورة» أوسياسة مرسومة.. وان فاروق مثل رئيس ديوانه احمد حسنين كان يريد التفرقة بين الرجلين والصديقين القديمين.. واضعاف الوفد وقسمته شيعا وأحزابا ..

أصر اذن النحاس على اقالة مكرم عبيد من منصب وزير المالية .. وأخيرا قال له فاروق :

ــ طيب بلاش الاقالة ..

واقترح أن يقدم النحاس باشا استقالة الوزارة .. فيكلفه باعادة تشكيلها .. وهنا يمكنه أن يعيد تشكيل الوزارة من غير مكرم عبيد ..

ولم يعجب هذا الاقتراح السيد مصطفى النحاس.. لم يعجبه لأنه كان أولا يريد «مرمطة» مكرم عبيد والانتقام منه باخراجه من الوزارة مطرودا أو مقالا ..

ولم تعجبه ثانيا لأنه خشى أن ينتهز فاروق الفرصة فيقبل استقالته هو وأعضاء وزارته .. ويكلف زعيما آخر بتشكيل الوزارة الجديدة ..

وتململ مصطفى النحاس .. ولكن فاروق ثبت على رايه وقال :

ــ لا.. لا.. كله الا الاقالة.. بلاش حكاية الاقالة دى

واضطر مصطفى النحاس أن يتراجع وأن يذعن .. وقدم استقالته ثم أعاد الوزارة بدون مكرم عبيد ..

خرج مكرم عبيد من الوزارة ولكن خروجه لم يهدىء من ثورة مصطفى النحاس ، بل على العكس.. فقد ازداد حنقا وغضبا لأن «خصوم الامة» على حد تعبيره ــ الذين فى السراى وعلى رأسهم رئيس الديوان أحمد حسنين حالوا بينه وبين طرد مكرم عبيد ولم يمكنوه من اقالة مكرم عبيد ..

ومضى النحاس باشا يتحدث فى مجالسه وبين شيوخه

ونوابه من المؤامرات التى تحاك ضده والتى يدبرها رئيس الديوان بمساعدة بعض خصومه ـ خصوم النحاس باشا ـ من رجال الصحافة وغيرهم ..

وأنقل هنا من مذكراتى :

زرت حسنين باشا بنـــاء على موعد سابق حددناه بالتليفون وبقيت معه نحو ساعتين ..

وقلت له : ان النحاس باشا يعتقد انك ضالع مع مكرم عبيد ، وهو يكره بعض الصحفيين الذين يعارضونه ولما كان بعض هؤلاء صديقا لك ومتصلا بك ويستقى اخباره منك وهو ينشر دعاية واسعة لمكرم باشا وينشر فى الوقت نفسه دعاية ضد النحاس باشا ـ كما تقول التقارير التى يقدمها رجال البوليس السرى لرفعته ـ فان « رفعته » معذور اذا هو اعتقـــد ان بعض هؤلاء الصحفيين انما يفعل ما يفعله بايعاز منك ومن السراى

فقال حسنين : وأنا مالى ؟ ما هو مصطفى النحاس ومكرم عبيد اللى كانوا بيبعتوا لى هؤلاء الصحفيين فى كل حاجة ..

ثم أخذ حسنين يدافع عن نفسه دفاعا طويلا فقال :

ـ لقد كانت سياستى بعد حادث ٤ فبراير وقيام وزارة مصطفى النحاس ان ماجرى قد جرى واللى فات فات .. وانه لابد من التعـــاون مع الوزارة ورئيسها مصطفى النحاس وان «مولانا» الملك قد أعطى النحاس كلمة بمساعدته ..

ولقد رايت ان هناك رجلين من ألصق الناس بالنحاس باشا وهما مكرم وأمين عثمان وان العلاقات بين الرجلين وبين الملك والقصر ليست على مايرام لأن الاشاعات كانت دائما كثيرة عنهما . كما ان الاشاعات فى البلد كانت تزعم ان الملك لايحب مكرم عبيد ولا يحب أمين عثمان . ومن

هنا أردت أن أخدم الوزارة واخدم النحاس باشا نفسه بل وأخدم أمين عثمان ومكرم عبيد . وذلك بأن أجعل الملك يقابلهما ويظهر عطفه عليهما فيخرج الاثنان راضيين شاكرين لكى يعرف البلد ان هذه الاشاعات ليست صحيحة وان الرجلين أو ذراعى النحاس ومستشاريه وألصق الناس به ليسا مغضوبا عليهما بل على العكس يتمتعان برضاء الملك وعطفه .. ولقد خرج مكرم من مقابلة الملك راضيا مسرورا ، وكذلك أمين عثمان ، فهل يلومنى النحاس على هذا ؟

وهكذا خرج حسنين — رحمه الله — عن الموضوع الذى زرته من أجله ..

وقلت : ولكن النحاس باشا ليس غاضبا بسبب مقابلة الملك لمكرم وأمين عثمان ..

قال : صبرك على شوية ..

ثم مضى يقول : ان هذه لم تكن محاولته الاولى من أجل تقريب مكرم من الملك وذلك انه أثناء الازمة أول فبراير « أى الازمة التى انتهت بحادث ٤ فبراير» اقترح حسنين على الملك دعوة مكرم عبيد مع الزعماء الذين استدعاهم القصر للمشاورة فى الموقف السياسى ولكن فاروق عارض وقال ان الدعوة مقصورة على طبقة من الزعماء وهى طبقة رؤساء الوزارات السابقين ورؤساء الاحزاب السياسية فكيف اذن يمكن دعوة مكرم عبيد وهو ليس من هؤلاء أو هؤلاء ؟

قال حسنين :

— لكننى استطعت فى آخر الامر أن أحصل على موافقة الملك بدعوة مكرم باشا . وكان فى النية استدعاؤه فعلا الى القصر للاشتراك فى مناقشات الزعماء بصفته السكرتير العام لأكبر هيئة سياسية فى البلاد .. ولكن الازمة

تطورت بسرعة والحوادث أسرعت وكان ما كان ..

ثم تحدث حسنين عن مقابلة فاروق لمكرم عبيد باشا مرة أخرى فى يوم الثلاثاء ٢٦ مايو . وقد تمت المقابلة المذكورة من غير علم مصطفى النحاس وأثناء اشتداد الازمة بينه وبين مكرم عبيد والحاح النحاس باشا فى اقالة مكرم من الوزارة ..

قال حسنين :

ـ لم يكن من مصلحة أحد ولا من مصلحتى كرئيس الديوان أن أتصرف أى تصرف يبدو منه اننى ضالع مع النحاس ضد مكرم ، بل كان من واجبى أن أحافظ على الحياد الدقيق . وانه اذا كان النحاس باشا سوف يقابل الملك لكى يعرض عليه اقالة مكرم من الوزارة ويبسط الاسباب فانه من واجبى ـ ومقتضيات الحياد ـ ان أمكن مكرم كذلك من مقابلة الملك لكى يعرض عليه وجهة نظره فى الخلاف الذى نشب بينه وبين رئيسه مصطفى النحاس . كذلك كنت أرجو أن نتمكن من تسوية الامر وازالة أسباب الخلاف بين الرجلين الصديقين القديمين «كذا ؟» ولهذا السبب أشرت على الملك بدعوة مكرم باشا لمقابلته .. ولم يعلم النحاس باشا بهذه الدعوة الا فيما بعد وبلغنى ان رفعته غضب جدا يومها ولكن مالوش حق

ثم قال حسنين ان فاروق قال له بعد مقابلة النحاس «مافيش فايدة .. لقد حاولت ولكنه مصمم على خروج مكرم من الوزارة » ..

لقد قالها فاروق وهو «بيشوح» بذراعيه شأن الذى أفرغ كل ما فى جعبته ولم يفلح ..

ثم قال حسنين انه هو الذى أشار على فاروق برفض طلب النحاس الخاص باقالة مكرم عبيد وقال فى هذا :

ـ ان اقالة مكرم كانت ستفرح النحاس باشا يوما

واحدا وهو يوم تنشر فى الصحف ولكن هذه الاقالة كانت ستدفع مكرم الى «التشليت» للنحاس باشا .. فهل كان هذا فى مصلحة رفعته كرئيس للحكومة ورئيس للوفد ؟ ثم لماذا الاقالة وتوسيع الهوة بين الرجلين؟ فليخرج مكرم من الوزارة ما دام النحاس مصمما على اخراجه . ولكن اليس من الافضل أن يخرج بطريقة لا توغر صـــدره وتملأه حقدا ونقمة على مصطفى النحاس ؟..

ثم قال حسنين ان هذه الشكوك لم تتولد ضده فى صدر مصطفى النحاس الا بسبب زينب هانم ..

قال حسنين باشا ان السيدة زينب الوكيل هى التى أوغرت صدر النحاس باشا ضده بسبب موقفه منها فى مشروع كبير . ثم مضى يقول : لا كلمة ولا رأى للنحاس باشا عند زوجته وانها تسيطر عليه تماما ! وهى امرأة ذكية الفؤاد و « شاطرة جدا » وواسعة الافق . وهى اذا اقتنعت برأى سارت فيه الى النهاية ولقد ساعدتنى فى عدة مسائل فكثيرا ماكنت أذهب لمقابلة النحاس باشا فى فندق مينا هاوس أثناء اقامته فيه فكانت تستقبلنى وتجلس معى الى أن ينتهى «رفعته» من ارتداء ملابسه. وكانت تقدم لى القهوة وتتبسط معى فى الحديث ، وكنت فى بعض الاحيان أتحدث معهـــا فى المسألة أو الموضوع الشائك الذى يشغل بالنا والذى جئت أتحدث فيه مع زوجها وكنت أبسط وجه المصلحة ووجهة نظرنا فكانت اذا اقتنعت برأيى ساعدتنى وأقنعت زوجهـــا النحاس باشا بأن المصلحة فيما أقوله أو أطلبه ..

ومضى حسنين يقول :

ــ ولكن زينب هانم بالرغم من ذكائها فانها امرأة على كل حال . ومن عيوب المرأة انها اذا جرحت فى كبريائها اختل ميزانها وحسن تقديرها للأمور.. كنا نتحدث ذات يوم

من الرتب والالقاب عندما ضحكت وعرضت لما أسمته «رتب الجزم» وهى الرتب التى كان أنعم بها جلالة الملك على الذين تبرعوا لمشروع مقاومة الحفاء .. ثم قالت ان عندها مشروعا تستطيع أن تجمع به نصف مليون جنيه. وان هناك أشخاصا مستعدون لأن يتبرع الواحد منهم بعشرة آلاف جنيه.. بس على شرط أن ينعم عليهم برتبة الباشوية .. ولقد سألتها : « زى مين ؟ » فقالت : توفيق مفرج ، وصبحى الشوربجى ، ولكننى أشرت عليها بتأجيل هذا المشروع وان الافضل عدم الخوض فيه الآن لأن الظروف غير مناسبة ..

ولكن زينب هانم لم تستمع لنصحى ومشت فى مشروعها وأعلنت عنه فى الصحف وأصبح «مشروع البر» الذى تتولاه زينب هانم حديث الناس فى كل مجلس وناد .. ولقد كنت أوثر ـ ولمصلحتها هى بالذات ـ ما دامت قد مضت فى مشروعها أن تترك أمر جمع التبرعات للجنة منظمة وأن يكون هناك بنك يشرف على هذه العمليات كلها .. ولكن زينب هانم والذين معها تركوا الامر فوضى بلا ضابط ولا رقيب ولا حساب .. وازدادت اشاعات السوء انتشارا . ولقد كانت أقاويل الفساد والرشوة واستغلال النفوذ موجودة قبل مشروع البر .. ثم جاء هذا المشروع وضاعف فى انتشارها .. ففيم كان هذا التصرف ؟ ولمصلحة من ؟

ثم استطرد حسنين يقول :

ـ وفى هذا الجو .. جو الاشاعات والقيل والقال .. والاتهامات التى ترمى من هنا ومن هناك طلبت منى زينب هانم ان يتفضل «جلالة الملك» بحضور الحفلة التى أقيمت لمشروع البر فى دار الاوبرا .. ومن حسن الحظ ـ حتى لا أصدم بها ـ كان الملك غائبا عن القاهرة فى رحلة فى

سيناء .. ومع ذلك فقد بذلت وساطتى ارضاء لها وحضرت الملكتان فريدة ونازلى الحفلة فى الاوبرا .. وعاد الملك من سيناء .. وعادت زينب هانم تطلب منى أن يحضر الملك حفلة الشاى التى تقيمها فى فندق مينا هاوس ..

وقلت لها ان هذا أمر مستحيل بحكم التقاليد .. وحاولت ان أقنعها بأن هذا الامر ليس له سابقة ولكن عبثا

قلت لها ان الملك لايمكنه أن يجلس الى مائدة الشاى وبجانبه حرم رئيس الوزراء الا اذا كانت جلالة الملكة موجودة وان جلالة الملكة لايمكنها أن تحضر حفلة يدعى اليها السفير البريطاني وسفراء الدول والوزراء ورجال الدولة ، لأن حضورها يكون ثورة على جميع التقاليد..

ولكن زينب هانم لم تقتنع بحجتى وقالت ان الملك سبق أن حضر حفلة أقامتها هدى هانم شعراوى .. « واشمعنى يحضر حفلة الولية العجوزة الوحشة دى ، ولا يحضرش حفلتى ؟.. »

قلت لها ان الملك حضر حفلة هدى هانم شعراوى «متنكرا» — أى بصفة غير رسمية — ولقدمنعت الصحف من ذكر خبر حضوره الحفلة .. ومع ذلك فهناك فرق كبير بين الحفلتين ، فحفلة هدى هانم لم تكن شبه رسمية مثل حفلتك .. والملكتان فريدة ونازلى حضرتاها .. وأما حفلتك انت فان لها طابعا رسميا أو شبه رسمى.. الى آخره ..

ولكن زينب هانم لم تقتنع وأسرتها ضدى فى نفسها

وذات يوم أرادت أن تضاربنى بعبد الوهاب طلعت باشا وكان هذا ذكاء رخيصا منها .. فقد قالت لى : « تعرف مين جانا النهارده ؟ » عبد الوهاب طلعت باشا جه علشان يقول لى انه مستعد لأى خدمة ويقدر يعمل لى كل اللى أطلبه منه ولكنى قلت له : « أبدا ، واننى

لم اطلب حاجه من حد الا من حسنين باشا بس .. »

وقال حسنين انه قال مرة لزينب هانم : « قولى بس انت عاوزه منى ايه وأنا أعمله علشان خاطرك .. »

قالت : « عاوزاك تكسر لى ، كذا وكذا ، وكيت » ــ سلسلة من النعوت والشتائم ــ وكانت تقصد مكرم عبيد

وسألها حسنين : « وليه عاوزه تكسريه ؟ »

قالت : لانه بيكره الملك ..

ومرة أخرى كان ذكاؤها رخيصا ..

وانصرفت من مقابلة حسنين باشا الى مكتبى ، ومن هناك كلمت فؤاد سراج الدين باشا بالتليفون واتفقت معه على أن نتقابل فى المساء فى فندق مينا هاوس ، وكان النحاس باشا يقيم وقتئذ بالفندق المذكور ، وكذلك الاستاذ فؤاد سراج الدين ..

وتقابلنا فى الموعد المحدد ، وجلسنا الى احدى الموائد الموضوعة حول حوض السباحة ، وتناول فؤاد باشا طعام العشاء ، بينما كنت ألخص له دفاع حسنين باشا عن نفسه كما سمعته منه فى الصباح ..

ثم قلت ــ ووافقنى هو على رأيى ــ أن حسنين برىء مما يتهمه به النحاس باشا ، وعلى كل حال « أية مصلحة للنحاس باشا فى محاربة حسنين ومجاهرته بالعداء ؟ بل هل من المصلحة أن نحارب فى جبهتين ؟ جبهة حسنين ومن معه من رجال القصر؟ وجبهة المعارضة من الاحرار الدستوريين والسعديين ؟..

وبعد تناول العشاء قمنا وصعدنا الى غرفة فؤاد باشا وتركنى فيها وغاب نحو نصف ساعة لأن «رفعة» الرئيس كان يتناول العشاء مع حرمه زينب هانم والسيدة حماته وحميه عبد الواحد باشا الوكيل ..

وعاد فؤاد سراج الدين وصحبنى الى غرفة الجلوس

فى الجناح الخاص الذى كان النحاس يقيم فيه هو والسيدة حرمه ..

وكان النحاس باشا متربعا فوق كنبة .. ولاحظت انه مشغول الخاطر معكر المزاج ..

وبدأت الحديث فقلت له : ان حسنين صديقى وانا اعرفه جيدا . وأستطيع أن أثق فيما يقول لى كصديق. وهو برىء ..

وسردت ــ أو حاولت أن أسرد حجج حسنين ومنها ، أن النحاس باشا ومكرم باشا هما اللذان كانا يرسلان اليه الوسطاء من أصدقائه ..

وهنا قاطعنى النحاس باشا بحدة ، وبدأ هو يتكلم ، ولم يترك لى بعدها فرصة للكلام واتمام دفاعى عن حسنين

والذين يعرفون الرئيس السابق مصطفى النحاس يوافقوننى على انه لا فائدة من مقاطعة « رفعته » اذا اندفع يتحدث ..

وهكذا سكت ... وتركته يتكلم :

قال : هذا غير صحيح فأنا عمرى ما أرسلت له وسطاء ، ربما مكرم هو الذى أرسلهم ، أما أنا فلم أرسلهم ولا مرة واحدة لأننى اكرههم ولا أثق فيهم والذى حدث اننا كنا فى مصيف رأس البر فى الصيف الماضى وجاء أحد أصدقاء حسنين يقول لمكرم انه حاضر موفد من قبل الملك لكى يدعونا لمقابلة جلالته .. وجاء مكرم فقلت له : « يا مكرم بلاش فلان لانى لا أثق فيه » ...

قال : صحيح .. ولكن ما الضرر أن نسمع كلامه ..

ثم قص رفعته التفاصيل وهى لا تخرج عما سبق أن ذكرته ..

ثم استطرد النحاس باشا يقول :

ــ وسافرت أنا ومكرم الى القاهرة وقابلنى جلالة

الملك ولكنه لم يقـــابل مكرم ، وغضب مكرم وقال : « وعلشان ايه جابونى بقى ؟ يعنى أنا طيشة » . هذه ياسى التابعى هى المرة الوحيدة اللى جاءنا فيها صديق لحسنين باشا .. ولقد جاءنا كما رأيت من حسنين ..

ثم قال بحدة وانفعال شديد :

ـ دهكلام فارغ دول بيلعبوا بالنار.. هؤلاء العكاريت الى آخره .. الى آخره ..

وبعد أن هدأ قليلا انتقل الى الحديث عن مقابلة فاروق لمكرم عقب تأليف الوزارة وهى المقابلة التى اثارت شكوك النحاس فى مكرم عبيد ولقد سبق أن أشرت الى هذه المقابلة وقلت انها كانت مناورة أو مؤامرة من حسنين باشا للتفريق بين النحاس ومكرم ..

وأعود الآن وأثبت هنا رواية النحاس باشا نفسه عن المقابلة المذكورة ..

قال : بعد تأليف الوزارة بأيام جاءنى مكرم باشا وقال ان حسنين طلب منه أن يلتمس مقابلة الملك ، وانه ـ أى مكرم ـ قال له ان ليس عنده سبب يبنى عليه طلب المقابلة. ولكن حسنين قال له : «فتش على حاجة» واخيرا قال له مكرم ان عنده رسم الورق الجديد البنكنوت من فئة عشرة قروش وخمسة قروش ، فهل يطلب المقابلة ليعرضه على الملك ؟ ووافق حسنين ..

ومضى النحاس باشا فى روايته ، وأنا أسجلها هنا بحروفها نقلا عن مذكرات مكتوبة .. قال :

ـ ولما قال لى مكرم هذا رأيت انها حاجة غريبة .. وأحسست ان فى الامر شيئا غير برىء ، فقلت لمكرم باشا : « وهو كذلك .. روح .. ولكن كن على حذر.. دول يا مكرم عاوزين يفرقوا بيننا ، وابقى فوت على بعد المقابلة أوكلمنى بالتليفون وقل لى على الحديث اللى دار فيها .. »

وانتظرته فى المساء .. الساعة التاسعة .. تسعة ونصف.. عشرة ونصف .. وكنت كلما طلبته بالتليفون وجدت نمرته مشغولة.. واخيرا وكانت الساعة منتصف الليل تقريبا دخلت ونمت ..

وفى الصباح أحضروا الى «نوتة» أو رسالة منه كان أملاها بالتليفون بعد نومى - أى بعد منتصف الليل ، وفيها يقول ان المقابلة كانت «عال وعظيمة » وانه سوف يقص على التفاصيل بعد عودته من الفشن ..

وفى نفس الصباح قرأت فى احدى الجرائد بيانا لمكرم عن مقابلته للملك.. وهو بيان لايكتبه سوى عبد.. وماذا يقول الانجليز الآن ؟ أمن أجل هذا جاءوا بنا الى الحكم ؟ لقد جاءوا بنا ظنا منهم اننا وحدنا الذين نستطيع الوقوف فى وجه الملك .. فماذا يقولون اليوم بعد هذا البيان الذى لا يكتبه سوى عبد ؟

ثم كلمنى مكرم بالتليفون من الفشن بخصوص المسألة اللى كان سافر من أجلها . وسألته ايه الكلمة اللى كتبتها دى فى الجرايد يامكرم ؟ فقال : « ايه رأيك فيها ؟ » قلت له : « زفت وقطران » لما ترجع وأقابلك نتكلم فيها ..

وعاد مكرم وقابلنى ، وقال انه لايرى رأيى وانه لم ير ضررا فى كتابة الكلمة المذكورة لأننا سبق أن كتبنا مثلها ومدحنا الملك بأعظم منها ، فقلت له : «فليكن.. ولكن أنا الذى أكتب وأمدح لا انت » لأننى أنا أقدر الظروف. وأنا اذا مدحت فأنا أتقاضى فى مقابل المدح ثمنا .. أنا اللى ياخذ من الملك واللى باعامل الملك مش انت.. ولكن قل لى لماذا لم تأخذ رأيى فيها وتستشرنى قبل نشرها ؟»

قال : « فى الحقيقة حسنين باشا طلب منى بعد خروجى من مقابلة الملك ان أكتب كلمة كويسة عن الملك وانشرها »

فقلت له : « هذا سبب كان أدعى لأن يحملك على أن

تأخذ رأيى وانت دائما تأخذ رأيى فى كل مسألة فلماذا لم تفعل هذه المرة ؟ هذا سعى للتفريق بيننا وبكره تشوف يا مكرم »

ثم قال النحاس باشا انه عرض بلباقة لهذه المسألة فى اجتماع لمجلس الوزراء وعاتب مكرم ثم قال له أمام زملائه الوزراء انه يشفق أن تصبح المسألة مسابقة أو مزايدة بين الوزراء كل واحد منهم يسابق زملاءه الى مدح الملك ويزيد فى المدح عما قاله الذى سبقه ..

ثم انتقل النحاس باشا الى الحديث عن اخراج مكرم من الوزارة ، فقال انه كان يعرف قبلها بشهر أن مكرم باشا ينوى أن يجعل من «الاستثناءات» ميدانا للمعركة. وانه ـ أى النحاس باشا ـ أفضى برأيه هذا الى بعض الوزراء فقال لهم : « مكرم مش ناوى يقعد معنا وبكره تشوفوا » .. وان نجيب الهلالى ذهب يومئذ الى مكرم وسأله فى هذا فأنكر مكرم ان فى نيته شيئا من هذا وأكد اخلاصه للنحاس . وتضامنه مع زملائه أعضاء الوزارة ، ولكن النحاس باشا ظل متمسكا برأيه وهو « ان مكرم مش ناوى يقعد معانا »

الى أن كانت مسألة الاستثناءات التى كان رئيس الوزراء والوزراء طلبوها لعدد كبير من الموظفين الوفديين ومن الانصار والاقارب والمحسوبين .. وهنا أخذ وزير المالية مكرم عبيد يسوف ويماطل فى الرد على طلبات النحاس والوزراء ، وكان ـ عندما يعجله النحاس باشا بالرد ـ كان يقول له : «طول بالك شوية لأن اللجنة المالية بتعارض وأنا باعمل جهدى علشان أقنعها بالموافقة » ..

ومضى النحاس باشا فى حديثه يقول :

ـ ولكننى قلت له : المهم ان ترسلوا لنا ردكم أيا كان بالموافقة أو بالرفض مش مهم .. بس ردوا علينا لأن

الحركة واقفة ، وهناك حركة اخرى سوف تتلو هذه الترقيات المطلوبة ومش ممكن عملها الا بعدها.. واخيرا جاء رد اللجنة المالية وقال مكرم انه لم يكتبه وان اللجنة المالية هى التى كتبته.. وفى جلسة مجلس الوزراء التى عرضت فيها مذكرة اللجنة المالية بعدم الموافقة على الاستثناءات المطلوبة ـ وقد رفض المجلس هذه المذكرة

ـ قال مكرم انه لايرتب اية نتيجة على رفض مجلس الوزراء مذكرة اللجنة المالية ، وانه يضع استقالته تحت تصرفى ، ولكننا تصافينا فى الجلسة ، وعند مغادرتنا لقاعة اجتماع مجلس الوزراء دعانى مكرم لتناول الغداء معه فى داره ولكنى اعتذرت بمرض واننى اتناول أدوية معينة لم تكن معى ، وقلت له : اننى سوف أتناول الغداء عنده فى فرصة أخرى ..

ولكن مكرم ـ وقد كنا تصافينا كما قلت ـ نشرمذكرة اللجنة المالية بقصد التشنيع على وعلى أقاربى ولكى يحرجنى ويحرج زملاءه الوزراء أمام الرأى العام ، وهنا رأيت ان التعاون بيننا لم يعد ممكنا وقررت اخراجه من الوزارة ومن منصب سكرتير الوفد ، لأن دى مسألة ثقة وتعاون بين رئيس الوفد وسكرتير الوفد ، ولكن ليس فى نيتى اخراجه من هيئة الوفد أو من الهيئة الوفدية ، وأرسلت اليه عثمان محرم باشا بصفته أقدم الوزراء لكى يذكره بوعده ويطلب منه أن يستقيل ، ولكن مكرم لم يكد يرى عثمان باشا حتى صاح : « أنا عارف انت جاى ليه ، لكن مش راح استقيل ، وخلى النحاس يقيلنى اذا كان يقدر »

ومعنى هذا ان مكرم كان واثقا من مركزه ، وكان يعرف مقدما ومن حسنين و«شلته» ان الملك سوف يرفض أن يقيله من الوزارة ..

ثم انتقل النحاس باشا بالحديث الى مقابلته لفاروق في يوم الثلاثاء ٢٦ مايو عام ١٩٤٢

ولقد تمت المقابلة المذكورة بينماكان مكرم باشا جالسا في احدى غرف القصر ينتظر دوره للمقابلة «الملكية» ولكن النحاس باشا لم يكن يعرف أن مكرم موجود في السراى وانه سيقابل الملك ..

قال النحاس عن مقابلته لفاروق :

ـ ولما قابلت الملك التمست منه اقالة مكرم وشرحت لجلالته حكم الدستور في هذا الشأن وكذلك حكم السوابق الدستورية ومنها اقالة عبد العزيز فهمى باشا ولكن جلالته قال : « لا .. لا .. بلاش السابقة دى .. شوف لنا يامصطفى باشا طريقة ثانية غير الاقالة » ..

قلت لجلالته : حسنين باشا هوه اللى تخن ودن مكرم علشان بعت له مع حسن الاعور يطلب منه الا يستقيل، فقل جلالتك لحسنين باشا أن يطلب من مكرم أن يستقيل أو أحسن من كده يبعت يجيبه في السراى ويطلب منه باسم جلالتك أن يستقيل .. فقال الملك : دى فكرة عال ولكن نفرض ان مكرم رفض أن يستقيل يبقى الحل ايه ؟ أظن الاوفق يامصطفى باشا أن تقدم استقالة الوزارة ، وأنا أعدك ان خطاب التأليف بتشكيل الوزارة يصلك في نفس اليوم ..

ومضى النحاس باشا في روايته فقال :

ـ ولما رآنى الملك ترددت قال : « والا انت خايف منى ومش واثق في كلامى » ، وأسرعت أقول له : معاذ الله يامولانا ، وانا أؤكد لمولاى اننى لم أقبل الوزارة الا اجابة لرغبتك ورغبة منى في خدمتك وانا الآن احترق بالنار في كل يوم ولا أنام الليل ، وثق يامولاى أن أهنأ يوم في حياتى هو يوم يقبل جلالة الملك استقالتى ويعفينى من

أعباء الوزارة وأنا مريض وصحتى متعبة ..

وقال فاروق : لو تعلق الامر بصحتك فقط لما كان هناك مانع من اعفائك من اعباء الحكم ، ولكن الظروف لا تسمح ..

ثم قال النحاس باشا ان مكرم قال لبعض الشيوخ والنواب الذين زاروه انني ـ أى النحاس ـ طلبت من الملك اقالته وان الملك رفض .. فمن الذى أخبر مكرم بهذا وبما دار بين الملك وبينى .. لازم يكون حسنين باشا .. وهى مؤامرة بينه وبين مكرم ..

وأصبحت وكلمت حسنين باشا بالتليفون ، قلت له : « النحاس باشا هايج جدا ويصر على اتهامك انت وبعض أصدقائك بكذا وكذا » ..

واحتد حسنين باشـــا ، ولعلها كانت المرة الوحيدة التى سمح فيها لنفسه بأن ينفعل وأن يحتد، ولعله خشى العاقبة ، وأشفق من محاربة النحاس باشا له وقد كان يعرف أن مركز النحاس يومئذ كان قويا مؤيدا ، وأنه اذا ركب النحاس رأسه وأعلن الحرب على حسنين وقال مثلا : « اما أنا .. واما حسنين » فقد يتدخل الانجليز مرة أخرى وقد يسفر تدخلهم عن نتائج لا تسر رئيس الديوان أحمد محمد حسنين ..

ومن هنا بدا الانفعال واضحا فى صوت حسنين وهو يقول : « شوف يا محمد ، انا زى ما قلت لك ، لابد لى فيما حدث ، وليس فى برنامجى أن أحارب النحاس باشا ، ولكن اذا كان عايز يهاجمنى فسوف أضطر أن أشب على قدمى وأرد الضربة ضربتين .. »

ثم تواعدنا على اللقاء فى بحر الأسبوع على أن أكلمه بالتليفون قبلها ..

ووجدت ان الحالة خطيرة وان الشد من الطرفين قد

يؤدى الى قطيعة أو ينتهى باصطدام ؛ وكلمت فؤاد باشا سراج الدين بالتليفون وقلت له : ان مقابلتى مع النحاس باشا مساء أمس لم تنته الى النتيجة التى كنا نرجوها ، واننى اضطررت الى التظاهر بالموافقة على رأيه لأنى أدركت أن لا فائدة من مناقشة « رفعته » .. وقلت :

ــ وانت تعرف النحاس باشا وتعرف عناده وانه اذا انطلق فى حديث ، فليس هناك من يستطيع أن يقاطعه أو يوقفه ، وأنا فى الحقيقة لا أوافقه على رأيه فى حسنين وبعد ، هل من حسن السياسة مبادرة حسنين بالعداء ؟ فأرجوك يا باشا أن تعمل من ناحيتك على اقناع النحاس باشا بهذا الرأى ..

ووافقنى فؤاد سراج الدين وقال انه يفكر فى دعوة النحاس باشا والسيدة حرمه وحسنين باشا لتناول العشاء معه فى داره.. ولعل هذا الاجتماع العائلى يساعد على تهدئة الجو بين الطرفين ..

ومر يومان أو ثلاثة ، ولما لم اتصل بحسنين بالتليفون كما كنت وعدته سأل عنى هو مرتين وزرته فى داره فى صباح السبت وقلت له ان فؤاد سراج الدين يفكر فى دعوتك مع النحاس باشا لتناول العشاء فى داره ، فقال انه يفضل أن يبدأ هو بدعوة النحاس باشا والسيدة حرمه لتناول الغداء أو العشاء معه .. ثم عاد وقال :

ــ الافضل أن تتناول الغداء معى انت وفؤاد باشا أولا ..

وقمت الى التليفون وكلمت فؤاد باشا واتفقنا على ان نتناول الغداء مع حسنين باشا بعد غد أى يوم الاثنين.

وجلسنا حول مائدة الغداء فى دار حسنين باشا بميدان عبد المنعم بالدقى ..

وأنقل هنا ــ بشىء من الايجاز ــ ما دونته يومئذ فى

مذكراتى بتاريخ الاثنين ٨ يونية عام ١٩٤٢ :

قص علينا فؤاد باشا ـ ويظهر انه كان أعد مقدما حديثه ـ قص علينا بوادر الخلاف بين النحاس ومكرم ولو اننى أعتقد ان هذه الحكاية لم تكن أول بادرة من بوادر الخلاف .. قال :

ـ ذات يوم وكان النحاس باشا لايزال يقيم فى الباخرة محاسن .. قالت زينب هانم للأستاذ قاسم جودة الذى كان يزورها كلاما كثيرا معناه انه وغيره من الصحفيين يسرفون فى الكتابة عن مكرم باشا وعن حركاته وسكناته بينما رئيس الوزراء نفسه وبقية الوزراء لا يكتب عنهم نصف ما يكتب عن مكرم عبيد ..

ويظهر ان الاستاذ قاسم جودة أبلغ مكرم باشا ما قالته زينب هانم لأن مكرم ذهب وقابل النحاس باشا وقال له ان زينب هانم تسىء اليه وتطعن فى حقه وعاتبه فى هذا .. وقال له النحاس باشا أنه يستبعد صحة الخبر وسأله عن اسم الذى أبلغه هذا ، ولكن مكرم رفض أن يبوح باسمه ..

وأبلغ النحاس باشا السيدة زوجته ان مكرم عاتب عليها ، وروى لها ما سمعه منه ، وكانت السيدة مريضة فى فراشها ، ولكنها كلمت مكرم بالتليفون وطلبت منه أن يزورها ففعل ..

ولما دخل عليها قالت له ان مصطفى باشا أبلغها عتابه ولكنها تنكر أنها طعنت فيه أو أساءت اليه فى أى حديث لها ، وسألته عن اسم الذى نقل اليه هذه الرواية فقال : « شخص أثق فيه كل الثقة وهو لايكذب » ، ورفض أن يذكر اسمه ..

وطال الحديث والعتاب ، وبدرت من مكرم باشا هذه العبارة : « يظهر انك خايفه على مركز جوزك منى » ..

وهنا انتفضت زينب هانم غاضبة وصاحت بصوت عال : « منك انت .. أخاف منك على مصطفى النحاس؟ ايه اللى تقدر عليه ؟ تقدر تعمل رئيس وزارة ، لكن هل تقدر تكسب الزعامة أو الحب الذى تكنه الأمة لمصطفى النحاس ؟ جوزى هو اللى خلقك ؟..

وقال مكرم : « اللى خلقنى ربنا مش جوزك .. وانا اللى كونت نفسى بجهادى وتضحياتى »

وكان النحاس باشا قد آثر أن يترك مكرم باشا وزينب هانم وحدهما يتعاتبان ، ولكنه أقبل على صياحهما ، فوجد زوجته تبكى غيظا وغضبا ، ولما سأل عن السبب التفت الى مكرم وقال : « انت غلطان ، قوم بوس راس أختك وصالحها » وقام مكرم وقبل رأسها ويدها.. وتصالحا وتصافيا ..

ثم قال فؤاد باشا ان زينب هانم اتفقت مع النحاس باشا على كتمان هذا الحادث عن جميع الناس حتى انه لما ذهب نجيب الهلالى باشا وأحد الوزراء الى والدها عبد الواحد الوكيل لكى يوسطاه فى الصلح بين ابنته ومكرم باشا ، وجدا ان الرجل لم يكن يعرف شيئا مطلقا ولم يكن قد سمع أى شىء مطلقا عن وجود أى خلاف أو سوء تفاهم بين ابنته زينب هانم ومكرم عبيد ..

ثم قال فؤاد باشا : ولكن مكرم خرج يقول لأصدقائه ان زينب هانم شتمته وأهانته ..

ثم انتقل فؤاد باشا سراج الدين الى نقطة أخرى فقال ان النحاس باشا كان قال للوزراء قبلها بشهر : ان مكرم باشا مش ناوى يقعد معانا ، وانه سوف يختار ميدان المعركة حول الاستثناءات ..

وأنكر الوزراء على رفعته هذا القول وذهب نجيب الهلالى الى مكرم وسأله فى هذا فأنكر مكرم وأكد ان

لا شيء من هذا يدور بخاطره ، وأكد مرة أخرى اخلاصه وولاءه لمصطفى النحاس ..

ولكن النحاس أصر على رأيه واتهامه لاخلاص مكرم وأن الاستثناءات هي الميدان الذى سوف يختاره لمهاجمة الوزارة .. ثم قال النحاس : « وبكره تشوفوا ، وأنا أقبل منازلته فى الميدان الذى يختاره »

وتحدث فؤادسراج الدين بعد ذلك عن وزارة التموين والخلاف الذى كان ناشئا بسببها وأنكر على مكرم عبيد دعواه ، وهى انه فوجىء بها فى خطاب العرش ، وقال ان الحديث فى اعادة الوزارات الثلاث دار فى احدى جلسات مجلس الوزراء وان مكرم عارض بشدة فى سحب وزارة التموين منه ولكن النحاس باشا أقنعه بضرورة تخليه عن الوزارة المذكورة ، وهنا تظاهر مكرم بأنه قد اقتنع ، وبعدئذ طلب مكرم تأجيل تعيين وزير لوزارة التموين لمدة شهر واحد فأجابه النحاس باشا الى طلبه

وكان المفهوم ــ بل والمتفق عليه ــ أن يتقدم مكرم بعد انتهاء الشهر ويقول ان صحته متعبة وانه لايستطيع القيام بأعباء العمل فى وزارتى المالية والتموين ومن ثم فهو يرجو اعفاءه من منصب وزير التموين ــ وكان هذا هو المتفق عليه ــ وهكذا ينقذ المظاهر أمام الناس ويعتقد الجميع انه ــ مكرم ــ هو الذى تخلى بمحض ارادته عن وزارة التموين ، ولكن الشهر الذى كان طلبه انقضى ولم يحرك مكرم ساكنا وبقى محتفظا بالوزارتين : المالية ، والتموين . وكان النحاس باشا قد وعد الملك بتعيين وزراء للوزارات الثلاث فى بحر أسبوعين ..

واستدعى النحاس باشا مكرم وسأله : متى يعلن رغبته فى ترك وزارة التموين ؟

وقال مكرم : انه لن يترك وزارة التموين ..

وقال له النحاس : ازاى يا مكرم ؟ واقول للملك ايه ؟ أقول له أنا كذاب ؟ فأجابه مكرم : لا.. قل له أنا اللى كذاب .. !

وبعدها انتقل فؤاد سراج الدين الى الحديث عن البيان الذى قدم به مكرم الميزانية فقال ان البيان المذكور كان مفاجأة للنحاس وللوزراء لأن مكرم باشا لم يكن قد أطلع عليه أحدا منهم مع انه تعرض فى البيان لكل وزارة ولعمل كل وزير ، وارتبط فى هذا البيان أمام البرلمان بوعود لايرجع أمر تحقيقها اليه وحده بل يعود الى الوزارة كلها والى جميع الوزراء .. مثال ذلك انه أعلن فى بيانه ان ثمانية أوامر عسكرية سوف تصدر من الحاكم العسكرى العام ـ وهو النحاس باشا ـ فى مسائل كذا وكذا وكيت فهل كان سأل الحاكم العسكرى أولا عن رأيه قبل اعلان النبأ أمام البرلمان ؟

وأعلن كذلك فى بيانه ان قوانين كذا وكذا سوف تصدر فهل كان سأل الوزراء المختصين عن رأيهم .. مثال ذلك وهو أمر سبب حرجا كبيرا للوزارة .. انه أعلن فى بيان الميزانية ومن غير أن يستشير زميله وزير العدل ان البيوع الجبرية سوف توقف .. وصفق البرلمان طويلا لهذا النبأ ..

ولقد حدث بعد أيام معدودة من القاء البيان انه كانت هناك بيوع جبرية فى المحاكم المختلطة ، واستند المدينون الذين سوف تباع أملاكهم الى ما جاء فى بيان وزير المالية أمام البرلمان .. ولكن المحاكم المختلطة قالت ان بيان الوزير لايربطها لأن ما جاء فيه لم يصدر به قانون ..

وفزع المدينون الى وزير العدل ، وكان أن اضطر الوزير ـ صبرى أبوعلم ـ الى أن يتصل بالنائب العمومى لدى المحاكم المختلطة وبصفة شخصية ودية ويرجوه أن

يتدخل وينقذ الوزارة من هذا الحرج ..

واتفق الرأى على أن يحضر وكلاء النيابة جلسات البيوع الجبريه ويطلبوا التأجيل للاطلاع .. الى أن يصدر القانون المطلوب ..

وقال فؤاد باشا ان بيان مكرم كان طويلا ، وكان النحاس يتململ ويظهر ضجره وامتعاضه من بعض ماجاء فى البيان ولما طال القاء البيان وكانت الساعة قد جاوزت العاشرة مساء الى الحادية عشرة .. هم النحاس باشا بمغادرة الجلسة « مجلس النواب » ولكننى — فؤاد سراج الدين — همست فى أذنه انه لايليق أن يغادر الجلسة قبل أن ينتهى مكرم من القاء بيانه ، وجلس ..

ولما انتهى مكرم من القاء البيان قام اليه النحاس باشا من باب المجاملة — وقبله وقال له : « برافو يا مكرم » فكانت تحية بل ومجهودا يشكر عليه النحاس باشا ..

ومضى الاستاذ فؤاد سراج الدين فى روايته فقال :

— وفى صباح اليوم التالى استدعى النحاس باشا مكرم وعاتبه على ماجاء فى بيانه من وعود وعهود قيد بها الوزارة من غير أن يستأذن أو يستأنس برأى أحد من زملائه الوزراء ، فضحك مكرم وقال له :

— نبقى خالصين .. زى حكاية وزارة التموين فى خطبة العرش أى ان هذه مفاجأة لكم ، وتلك كانت مفاجأة لى

ثم تكلم فؤاد سراج الدين عن مذكرة اللجنة المالية عن الاستثناءات التى كانت السبب المباشر فى اخراج مكرم من الوزارة فقال ان النحاس — كما سبق الذكر — كان يعرف ان مكرم سوف يختار هذا الميدان بالذات فكان يستعجله رد وزارة المالية على طلبات الترقية المطلوبه فى وزارة الداخلية وكان مكرم يقول انها لاتزال قيد البحث و«طول بالك يا باشا لأنى ألاقى صعوبة مع اللجنة المالية»

وأخيرا قال له النحاس باشا : «ردوا علينا كما تريدون المهم ابعتوا ردكم بالرفض أو الموافقة علشان نقدر نتصرف»
واخيرا جاءت المذكرة ..

وكانت جريدة المقطم فى مساء الاربعاء ، وجريدة الاهرام فى صباح الخميس قد أشارتا الى هذه المذكرة المقدمة من اللجنة المالية انها تتضمن رفض الموافقة على الترقيات والاستثناءات المطلوبة وقد اغضب نشر الخبر النحاس باشا

وكان الجو مكهربا ، وكنا جميعا نخشى من الانفجار .. وتحدث بعض الوزراء فى هذا المعنى مع مكرم فأكد لهم ان المسألة مسألة «روتين» وان ليس فى نيته أى شىء خبىء ..

ودخل الوزراء قاعة اجتماع مجلس الوزراء وقلوبهم واجفـــة وما دار فى الجلسة المذكورة مدون فى محضر الجلسة الذى نشر ببلاغ رسمى ..

ولقد تصافى النحاس ومكرم فى ختام الجلسة « وقد رويت التفاصيل » وظن الوزراء ان الجو صفا ..

ولكن خاب ظننا فقد ذهب مكرم بنفسه الى جريدة المصرى ومعه مذكرة اللجنة المالية يطلب نشرها .. ويلح ويتوعد ويهدد اذا لم تنشر ..

وكان النحاس باشا قال أثناء جلسة مجلس الوزراء التى عرضت فيها المذكرة ان مذكرة اللجنة المالية هذه مقصود منها التشنيع عليه بالذات فقال له مكرم : « لو كنت عاوز ياباشا أشنع عليك كنت نشرت الامثلة والاسماء»

وهاهو قد نشر فعلا الامثلة والاسماء فى المذكرة التى نشرت بجريدة المصرى فى يوم السبت التالى لانعقاد جلسة مجلس الوزراء .. وهكذا سقطت حجة مكرم فى عدم رغبته فى التشنيع على مصطفى النحاس ..

وانتهى فؤاد سراج الدين من حديثه الذى لخص فيه

أسباب الخلاف بين النحاس ومكرم ..
وبدأ حسنين باشا حديثه أو دفاعه عن نفسه ، وعن سياسته فاستهل كلامه بعبارته «الاكلشيهية» المعروفة وهى انه لايشتغل بالسياسة ولا يفهم فى السياسة وقال — وهو يلتفت الى — كأنه يستشهد بى :
« ومحمد يعرف كده !.. مش كده يامحمد ؟ » ..

وابتسمت وقلت : بقى اسمع ما تحرجنيش وبلاش أسئلة علشان ما تسمعش منى أجوبة صريحة ..
وضحك .. وضحكنا ..
وبدأ الحديث ورواية التاريخ منذ عام ١٩٣٧ ، وكيف انه كان زاهدا «كذا» فى منصب رئيس الديوان وكيف ان الملك أرغمه على قبول هذا المنصب فى عام ١٩٤٠ !
ثم شرح سياسته ، وقد سبق أن أفضت فيها وفى شرحها ، ولكننى أعود فألخص هنا حديثه فيما يلي :
قال :
١ — انسياسته قائمةعلىانالاغلبية — وهى الوفديين — تحكم ، وهذه سياسته منذ أن ولى رئاسة الديوان أى منذ عامين ..
٢ — انه عمل ومن قبل أن يلى الوفديون الحكم على اقناع الملك بأن الوفديين قد سالموه ، لا طمعا فى الحكم وانما اعترافا منهم بخطئهم فىالماضى«أى فى وزارة ١٩٣٧»
٣ — انهصارححسينسرى والدكتورهيكل والسعديين بأنسياسته تقوم على أن يتولىالوفديون — وهم الاغلبية — الحكم .. بينما الاحرار الدستوريون والسعديون يقومون بمعارضة قوية نزيهة ..
٤ — أسهب فى ذكر الخدمات التى أداها للوزارة الوفدية منذ تولت الحكم فى شهرفبراير الماضى ، وتحدث عن الصعاب العديدة التى ذللها من طريق الوزارة ..

٥ ــ أفاض فى وصف اعجابه بذكاء وظرف زينب هانم الوكيل ..

٦ ــ قارن بين الاشاعات السخيفة والتى لا يقوم دليل واحد على صدقها .. وهى الاشاعات التى يسمعها النحاس باشا ضده ــ ضد حسنين ــ وبين هذه الخدمات والحقائق البارزة التى دلل بها على حسن نواياه نحو النحاس باشا ..

هذه هى خلاصة حديث أو دفاع حسنين أجملتها فى عبارات أو عناوين .. ولكننى أحب أن أذكر «طرائف» جاءت فى التفاصيل التى لم أذكرها ..

كان حسنين عرض فى حديثه لمشروع البر والحفلات التى أقامتها زينب هانم للمشروع المذكور وقال ان فاروق لم يحضر الحفلات المذكورة حرصا على التقاليد ..

وهنا قلت أنا انه لو كان الملك حضر حفلة الشاى فى فندق مينا هاوس وجلس الى جانب زينب هانم حرم رئيس الوزراء لكانت الخطوة الثانية المنطقية أن تدعى حرم رئيس الوزراء وزوجات الوزراء الى حفلات السراى الرسمية وكن يومئذ يختلطن بالمدعوين من سفراء ووزراء .. وهذا خرق للتقاليد .. ولكننا سوف نصل اليه قريبا وبالتدريج ..

وهنا قال حسنين ان الملكتين نازلى وفريدة تقولان انه لم تبق فى مصر سيدة تلبس «اليشمك» سواهما .. وان اللى عاوز يتفرج على حاجة انتيكة فى مصر يروح يتفرج عليهما وهما « باليشمك » ..

ولقد عرض حسنين أثناء حديثه الطويل لعلى ماهر وذكر رأيه فيه وفى سياسته وقد عرضت لهذا كله ..

وكان مما قاله ان السيد على ماهر لم يهنئه على تعيينه رئيسا للديوان ، ولكنه أرسل اليه الاستاذ ناصر

شاويش يقول له : « انعلىماهر باشا لم يحضر لتهنئتك لأنه مش عاوز يبجى السراى خوفا من أن يرى وجه عبد الوهاب طلعت » ..

ثم قال حسنين : ولقدكانعبد الوهاب طلعت الذراع اليمنى لعلى ماهر.. ولكنه ـ بعد خروج على ماهر من رياسة الديوان ومن الوزارة ـ راح يطعن فيه ويشهر به أمام جميع الكبراء الذين كان يلقاهم ..

ثم ذكر لنا حسنين كيف ان على ماهر ـ بالرغم من ذلك وبالرغم من طعن وتشهير عبد الوهاب طلعت ـكان لايتردد فىالاستعانة بعبد الوهاب طلعتعلى الدسلحسن صبرى لدى فاروق حتى ان حسن صبرى ـ رحمه الله ـ مات محصورا مجزورا من على ماهر ..

وقد قال حسنين هذه العبارة وهو يمر بيده على رقبته ليرينا كيفذبحعلى ماهر المرحوم حسن صبرى باشا

وروى لنا تفاصيل آخر دسيسة أو الدسيسة التى قضت ـ فى زعمه ـ على حياة حسن صبرى باشا ـ رحمه الله ..

قال : حدث قبل افتتاح الدورة البرلمانية فى نوفمبر عام ١٩٤٠ « وكان حسن صبرى باشا رئيسا للوزارة» أن ذهب اليه أحد الوزراء وهو الدكتور عبد الحميد بدوى باشا واقترح عليه مراعاة لظروفالحربالاقتصاد فى مظاهرالأبهة والفخامة والبهرج والموكب الملكىوالزينات والاعلام .. الى آخره وأن يكتفى بأن يلقى رئيسالوزراء ـ أى حسن صبرى ـ خطبة العرش بالنيابة عن الملك ومن غير حضور الملك ..

وسرعان ما طار خبر هذا الاقتراح الى السراى ودخل على فاروق من صور له الأمر على انه خيـــانة عظمى « لصاحب الجلالة » ..

وأصبح حسن صبرى متهما بالخيانة العظمى ، ولكن عبد الحميد بدوى ذهب الى حسنين وقال له فى صراحة تامة انه هو صاحب الاقتراح وان حسن صبرى لم يقبل اقتراحه على علاته بل طلب منه أن يتحدث فيه مع رئيس الديوان ..

وعرف فاروق ان حسن صبرى مظلوم .. فقلده بيده وقبيل حفلة افتتاح الدورة البرلمانية الوشاح الاكبر من نيشان محمد على ..

وتوفى حسن صبرى بعد ذلك بخمس وعشرين دقيقة

وكان الساسة من خصوم الوفد ومصطفى النحاس يرون أن رئيس الديوان احمد محمد حسنين لم يعرف أن ينتهز فرصة هذا الخلاف الذى نشب فى صفوف الوفد وفرق بين رئيسه مصطفى النحاس وسكرتيره العام مكرم عبيد .. وانه كان من واجب حسنين باشا أن ينتهز الفرصة ليطوح بالوزارة كلها وينتقم لحادث ٤ فبراير.

وكان من بين أصحاب هذا الرأى السيد على ماهر باشا الذى كان معتقلا يومئذ فى السرو.. فقد قابلت أحد أصدقاء على ماهر فى جريدة الاهرام وقال لى : ان محمد على ماهر زار أباه على ماهر فى معتقله بالسرو وقد وجد أباه مسرورا جدا من تطور الحوادث - أى من الخلاف الذى وقع فى صفوف الوفد - وقد قال له أبوه على ماهر باشا : « لو كنت اليوم رئيسا للديوان لكنت طيرت مصطفى النحاس من الوزارة فى ٢٤ ساعة .. ولكن فى رئاسة الديوان دلوقت واحد خرنج » ..

و«خرنج» معناه عبيط أومعتوه ضعيف ، وكان يقصد حسنين باشا .. وكان من رأى على ماهر باشا انه كان يجب على «الخرنج» احمد حسنين أن يشير على الملك فاروق يوم قدم اليه النحاس باشا استقالة الوزارة

باستدعاء زعماء الوفد ـ وزعماء الاحزاب الاخـــرى ـ لاستشارتهم فى الموقف على أساس ان هناك انشقاقا فى الوفد وهو الهيئة التى تستند اليها الوزارة فى الحكم.. ثم يشير على الملك باخراج النحاس ومكرم معا من الوزارة

ولكن «الخرنج» لم يعرف كيف ينتهز هذه الفرصة ، وقال لى صديق على ماهر باشا انه يقول كذلك : «التابعى كف عن الكتابة عنى لأنه أحس بأن الرأى العام معى »..

وقلت انا : « كلا.. لقد كففت عن الكتابة عن رفعته لا لأن الرأى العام معه كما يقول .. بل لانه معتقل الآن ولا حول له ولا قوة » ..

وفى مقابلة أخرى قال لى بعض أصدقاء على ماهر باشا انه يشكو من آلام شديدة فى أسنانه وانه يصرخ أحيانا من شدة الألم ويقسم على انه سوف ينتقم من مصطفى النحاس الذى اعتقله ويعلن انه سوف يحاكمه أمام محكمة عسكرية بتهمة الخيانة العظمى وان المحكمة سوف تحكم على مصطفى النحاس بالاعدام ..

وكانت الاشاعات الذائعة يومئذ فى دوائر القصر وبين انصار وأصدقاء على ماهر ان رفعته هو المرشح الوحيد لرياسة الوزارة بعد دخول جيوش المحور مصر.. وهزيمة الجيش البريطانى وانسحابه من مصر .. وكان الرأى السائد يومئذ ان الانجليز لابد مغلوبون على أمرهم وان روميل سوف يدخل مصر ...

المـــاريشـــالـــ رومـــيـــل
عـــلى أبـــواب مـــصـــر

وكان روميل قد بدأ يتحرك فى شهر يناير ..

ومضت المعارك مائعة بقية فصل الشتاء ، فلما أقبل الربيع بدأت الحالة تتطور بسرعة فى مصلحة جيش المحور ـ المانيا وايطاليا ـ وضد صالح بريطانيا وحلفائها ..

ومنى الجيش البريطانى بسلسلة من الهزائم ، لعل أشدها وأخطرها كانت معركة جسر الفرسان التى خسر فيها الجيش البريطـــانى معظم دباباته وانسحب تاركا الطريق مفتوحا أمام الماريشال روميل ..

وأحس كل من فى مصر ان الحالة خطيرة جدا .. فقد سقطت طبرق الحصن المنيع بدون مقاومة تذكر .. ومن بعدها سقطت الضبعة .. واحتل الجيش الالمانى السلوم .. وزحفت طـــلائعه نحو مرسى مطروح .. والاسكندرية ..

وفى صباح السبت ٢٧ يونية ١٩٤٢ ـ وكانت الشائعات المزعجة تملأ البلد ـ زرت حسنين فى داره فلم أجده.. وقيل لى انه ذهب يعود ابنه هشام فى المستشفى فقد أجريت له عملية الزائدة الدودية .. وانتظرت حتى حضر حسنين وقلت له اننى سألت هذا الصباح وزير العدل صبرى باشا أبوعلم عما اذا كان النحاس باشا قد أبلغ جلالة الملك تطورات الموقف فى الصحراء الغربية وأعطاه

صورة صحيحة عن الحالة ، أم تركه يستقى الاخبار من الخارج كما حدث يوم اغلاق الحدود .. وهل هو مثلا أبلغ الملك تفاصيل مادار فى الاجتماع الذى عقده «رفعته» فى يوم الاثنين الماضى ٢٢ يونية مع السفير مايلزلامبسون والجنرال ستون ؟ وان صبرى أبوعلم باشا قال لى : ان النحاس باشا قد أدى فى هذه المرة واجبه وانه أبلغك ـ انت ياحسنين باشا ـ كافة التفاصيل ..

قلت هذا لحسنين فابتسم بمرارة وقال : أبدا ! ثم مضي يقص على التفاصيل .. قال :

ـ عرفت ان النحاس باشا عقد اجتماعا مع من ذكرت وانتظرت أن يتصل بى فور انتهاء الاجتماع ولكنه لم يفعل ومضى العصر .. ثم المغرب .. وأقبل الليل ورفعته لم يتصل بى .. وسألنى الملك : « هل اتصل بك رئيس الوزراء ؟ فقلت كلا .. ولعله يجمع الاخبار والتفاصيل وكل ما يمكن جمعه لكى يعطينا صورة كاملة عن الموقف»

« ولكن هذا كان فى الحقيقة اعتذار منى عن النحاس باشا لأننى كنت أنتظر أن يتصل بى ويطلب مقابلة الملك لكى يبلغه ماحدث . ولكن الذى حدث أن رفعته أصدر بلاغا رسميا عن الاجتماع المذكور .. ونشرت الصحف البلاغ .. وكان ذلك قبل أن يطلع الملك على شىء ما »

وهكذا قرأ الملك البلاغ الرسمى فى الصحف مثل سائر الناس ومضى حسنين باشا فى روايته يقول :

« وفى صباح اليوم التالى لم أستطع صبرا ، والواقع اننى أهملت أو تهاملت فى أداء واجبى كرئيس للديوان لأنه كان يجب على أن أتصل بالنحاس باشا قبل ذلك وأسأله .. ولكننى راعيت الذوق الحسن فلم أفعل... ولكنى وجدت انه لم يبق موجب للـــذوق .. فكلمت بالتليفون أمين عثمان باشا وبسطت له وجهة نظرى ..

وبعدها بقليل اتصل بى النحاس باشا وقال لى : « انت فين ؟ أنا بافتش عليك » .. وكلمنى كلاما عموميا عن الحالة ، وانها مطمئنة .. وســـــألنى اذا كنت أريد أن أقابله فقلت له : نعم أحب أن أقابل رفعتك.. قال : « بس أنا عندى برلمان النهاردة » قلت له : « اذن ففى أى وقت يناسبك » .. ثم حدثنى عن البيـــان الذى سيلقيه فى البرلمان وسألنى : هل يرسل لى نسخة منه فقلت : وأكون شاكرا لو فعلت .. »

« وهكذا انتهى حديث النحاس باشا معى بالتليفون. وبعدها بقليل كلمني أمين عثمان بالتليفون وقال لى : « انت مش عايز تقابل النحاس باشا ؟ » فقلت له : « ازاى » بالعكس.. أنا عاوز أقابله . قال : « هوه فهم كده » . فقلت : « فهم غلط .. وأنا غايته أحببت أن لاأربطه بموعد أوميعاد وتركت له اختيارالوقتالمناسب»

واتفقنا على موعد المقابلة ثم أبدى حسنين باشا رأيه فى البيان الذى ألقاه النحاس باشا فى البرلمان فقال انه فيما عدا ثلاث أو أربع نقط فان البيان المذكور يبدو كأنما قد كتب فى السفارة البريطانية . وانها لعجيبة أن يقولالنحاس باشا فى بيانه انه مطمئن، بينما الانجليز أنفسهم يسمون ماحدث «كارثة» ويصفون الحالة بأنها خطيرة وجرائد اليوم تقول نقلا عنجرائد لندن انالزحف الالمانى لو أوقف يكون هبة من الله .. ومع ذلك فان النحاس باشا يقول : انه مطمئن !..

***

ولم يقل النحاس باشا فى أول الامر لحسنين أكثر مما جاء فى البيان الذى ألقاه أمام مجلسى البرلمان وهو أن الحالة مطمئنة وان الانجليز سوف يدافعون عن مصر.. الى آخر مدى .. ولقد حاول حسنين أن يعرف من

النحاس باشا حدود « هذا المدى » وهل هو يقف مثلا عند مرسى مطروح ؟ أم أن الدفاع « الى آخر مــدى » معناه ان الحرب سوف تجرى فى داخل البلاد ؟..

ولكن النحاس باشا رفض المناقشة فى امكان وقوع هذا الاحتمال .. وهنا يقول حسنين ــ رحمه الله ــ قلت له : « نفرض لا قدر الله ، لاسمح الله ، يعنى لو دخل الالمان مرسى مطروح أو لو زحفوا بعدها ! » ..

ولكن النحاس باشا قال : مش ممكن ..

وعاد حسنين باشا يقول : « يعنى لاسمح الله ، لا قدر الله ، وربنا ما يقدر .. انما يعنى لو حصل ؟ ! »

فقال النحاس باشا : « يمكن نخلى المدنيين ساعتها يتركون المدن الى القرى .. »

يعنى الحرب تدخل مصر .. وهذا هو الخراب ..

***

وكان حسنين يروى لى تفاصيل هذا الحديث وهو منفعل وحائر فى فهم عقلية النحاس باشا .. وكيف انه أصبح آلة فى يد الانجليز.. وقد تحدث حسنين طويلا فى هذا المعنى وكان مما قاله : « النحاس باشا فى يد الانجليز خالص ، لانه يعرف انه لو كان الامر بيد البلد لما بقى فى رياسة الوزارة خمس دقائق .. »

ثم انتقل حسنين بالحديث الى الشائعات التى تقول بأن الجيش الانجليزى فى الصحراء الغربية لايريد أن يحارب .. وقارن بين موقفهم اليوم وموقف الجنود الايطاليين أيام الجنرال ويفل أيام كان جنود بريطانيا يحاربون بشجاعة •• وجنود ايطاليا يهربون •• [illegible] ذى الآية قد انعكست .. فأصبح الانجليز يهربون .. وجنود ايطاليا والمانيا وراءهم .. ثم قال : ان طيارا انجليزيا كان زاره فى داره وورطه حسنين فى الحديث

حتى اعترف له بأن هناك أمرا مريبا فى استسلام حصن طبرق الحصين فقد قال :

ـ وان هذا الشىء المريب There is something fishy كما قال حسنين ـ هو ان الجيش البريطانى رفض أن يقاوم وسلم للألمان من غير قتال ومضى حسنين يقول :

ـ فاذا كانت هذه هى الحالة فكيف يكون النحاس مطمئنا كما يقول ؟ بل لعل روميل على علم بحقيقة الحالة وانهيار معنوية الجيش البريطانى ولهذا السبب نراه يسرع فى زحفه حتى لايعطى الانجليز فرصة لجمع جموعهم ولم شملهم .. وقد لا يبعد أن يدخل على ـ فى أى وقت ـ فى مكتبى ضابط ألمانى يرفع يده بالتحية ويقول : هيل هتلر ! ..

ومضى حسنين باشا فى حديثه فقال فى معرض التدليل على خطورة الحالة التى يصر النحاس باشا على وصفها بأنها «مطمئنة» قال : ان هناك خطا قد أنشىء بين أمريكا ومصر لنقل الصور الفوتوغرافية باللاسلكى وقد افتتحه مستر روزفلت بارسال صورة له مع محمود حسن بك وزير مصر المفوض فى واشنجطون وقد نشرت الصحف المصرية الصورة المذكورة .. ورؤى بعدها أن ترسل القاهرة ردها على هذه التحية الى واشنجطون بارسال صورة الملك فاروق مع مستر كيرك وزير أمريكا المفوض فى القاهرة ..

ثم قال حسنين :

ـ ووقفت منذ أيام فى احدى الحفلات أتحدث مع مستر كيرك فى مسائل عادية فقلت له : اننى زرت أمريكا منذ سنوات ، وتعرفت برجالها وقلت لهم يومئذ ان أمريكا سوف تأخذ فى يوم مكانها فى قيادة العالم والمدنية الحديثة واننى لسعيد لأن نبوءتى قد تحققت .. وكنت

اظن ان مستر كيرك سوف يسر بكلامى هذا أو يعلق عليه بشيء ما ولكن الرجل ظل شارد الذهن ينظر الى بعينين « فارغتين » وكأنه لا يسمع حرفا مما أقول ·· ذلك لانه كان يدرك خطورة الحالة ومدى الكارثة التى حلت بجيش الحلفاء فى الصحراء الغربية .. بينما أنا لم أكن قد أدركت بعد هذه الحقيقة ومع ذلك فان النحاس يقول : ان الحالة « مطمئنة » ..

وعلا صوت حسنين وهو يقول :

ـ بقى دى بلد .. البلد كلها تهتز علشان النحاس اختلف مع مكرم .. ومافيش حديث فى البلد كلها الا عن خلاف مكرم والنحاس .. بينما الألمان على أبواب البلد والبلد مهددة بالخراب اذا قرر الانجليز المقاومة فى دلتا النيل وريف مصر ..

***

ثم عاد حسنين وتحدث عن عقلية النحاس باشا فقال انه قابله فى اليوم التالى لسقوط طبرق فى أيدى الالمان وكان ينتظر أن يحدثه النحاس باشا عن هذه الكارثة المروعة التى حلت بالانجليز وفتحت أمام الالمان الطريق الي الاسكندرية .. ولكن النحاس باشا سأله عن براءات رتبة الباشوية للوزراء ولماذا لم يرسلها الديوان حتى الآن ؟ وقال له حسنين : ان البراءات أرسلت فعلا ولكن النحاس أنكر وصولها . فأكد له حسنين انها أرسلت يوم كذا .. وهنا استدعى النحاس باشا الدكتور محمد صلاح الدين وسأله فى هذا فقال صلاح الدين ان البراءات قد وصلت حقيقة .. وضحك النحاس باشا وقال لحسنين «شوف ازاى أنا مش عارف ؟ البراءات عندى ومش عارف وكنت كلمت الملك عنها .. حتى ونكت معاه وقلت له : أيوه خلوها عندكم علشان أضحك على الوزراء وأغيظهم

واقول لهم البراءات مش جايه وانتم مش باشوات».

ثم تحدث حسنين عن دقة وحرج مركزه وكيف انه يخشى أن يقال عنه «طابورخامس» ومن ثم يعرض مركز الملك للخطر اذا ذهب مثلا وطلب من السفير البريطانى ضمانات على عدم جر الحرب الى القاهرة ودلتا النيل.. أو طلب منه تفسيرات لعبارة « المقاومة الى آخر مدى » كذلك اذا أشار على الملك بدعوة زعماء البلد واستشارتهم فى الموقف فانه يخشى أن يقول الانجليز ان فاروق قد بدأ يستعد لتأليف وزارة ممالئة للمحور ..

وهز حسنين كتفيه وقال : انه حاول أن يجس نبض الزعماء فاجتمع مع بعضهم وتحدث معهم فى الموقف وخطورته وصواب الحصول على ضمانات بعدم تعريض البلد للخراب ولكن أحدا من الزعماء – ولا النحاس نفسه – يقبل أن يخطو هذه الخطوة فيقابل السفير البريطانى ويحدثه فى هذا الموضوع .. لأنهم جميعا يخافون من غضب الانجليز وشكوكهم .. أو غضب الالمان وانتقامهم

ثم قال بانفعال :

– ودينى وما أملك لقد تحققت من ان البلد دى كلها ما فيش فيها رجل واحد .. وأقسم بربى لو الحالة صفيت وربنا أنقذ البلد وأعطانى الملك «كارت بلانش» فى تأليف الوزارة فاننى لن أختار ولا واحدا من هذا الطقم أبدا .. بل سوف أعمل وزارة من الشباب .. وأنا متأكد انهم لو غلطوا فان غلطاتهم تبقى أرحم بكثير من غلطات حضرات الزعماء الكبار ..

ثم قال بمرارة :

– زعماء ايه ياشيخ ؟ دول ما فيش فيهم ولا راجل واحد ..

وفهمت من حديثه ـ تلميحا واستنتاجا ـ ان النحاس باشا وقد تورط الى أبعد حد فى تأييد الانجليز والدعوة والدعاية لهم ليس بالرجل الذى يمكن أن يتفاهم معه الالمان اذا دخلوا البلد .. أو الرجل الذى يمكنه أن ينقذ ما يمكن انقاذه .. وان واجب النحاس باشا اذن هو أن يتخلى من تلقاء نفسه عن الحكم حتى يخلى السبيل لقيام وزارة أخرى لم يتورط رئيسها وأعضاؤها مع الانجليز الى هذا الحد.. ومن ثم يمكنها الى حد ما أن تتفاهم مع الالمان . ثم قال ، ولا أدرى هل هذا هو رأيه شخصيا أم رأى فاروق وقد اقتبسه فى حديثه ، قال : اننا شعب مستعبد فأين هى الوزارة التى تستطيع أن تودع الانجليز اذا خرجوا .. وتستطيع أن تستقبل الالمان اذا دخلوا ؟ وتقول للانجليز : وداعا يا أسيادى.. ثم تقول للألمان : أهلا وسهلا يا أسيادى ..

قال : يجب اعداد هذه الوزارة ..

***

قلت له : لقد عرضت عليك رئاسة الوزارة ثلاث مرات ورفضتها ، ولكنى أظن ان واجبك الآن أن تتولى الحكم وساعتها تقدر تكلم الانجليز وتتفاهم معهم على عدم خراب البلد ..

قال : ان الانجليز يتهموننى بأن سياستى «ماكيافيلية» فلن يطمئنوا الى . ان واجبى هو أن أبقى الى جانب الملك

قلت : ما انت برضه جنب الملك وانت رئيس وزارة ؟

ولكنه ـ ومن غير أن يتكلم كثيرا ـ راوغ فى الرد . وقدرت انه اما انه خائف مشفق من المسئولية .. واما اننى أصبت الهدف عن غير قصد وكانت منى رمية من غير رام .. أى انه قد فكر فعلا وقدر هذا الاحتمال وهو أن يتولى رئاسة الوزارة ولكنه لايريد أن يقولها لى الآن

أو احتمال ثالث وهو أن رئاسته للوزارة لا تفيد الملك فى شيء لأنه منسوب أو محسوب على الملك فكل خطوة منه سوف تفسر عند الانجليز بأنها ايعاز من فاروق.. وانه يمهد لدخول الالمان .. أو انه على الاقل يعمل بتصرفاته وخطواته هذه على نشر الفزع والقلق وروح الهزيمة فى البلد ..

وأراد حسنين ـ رحمه الله ـ أن يتخلص من الحديث فى هذا الموضوع وقد أحس بالحرج .. فقال :

ـ وهناك أمر عندما أفكر فيه ترتجف ركبتاى ، وهو ان الانجليز اذا اضطروا الى الانسحاب من مصر فقد يأخذون معهم الملك ..

قلت : هذا أمر محتمل جدا.. ويبقى زى الملك بطرس ملك يوغوسلافيا وجورج الثانى ملك اليونان وساعتها يتخذه الانجليز مادة للدعاية ويقولون انه انضم اليهم وترك مصر هاربا من طغيان الالمان .. ويذيعون بيانات ونداءات باسمه ..

ثم قلت : ولماذا لا يفكر الملك فى الهرب ساعة الخطر ثم يعود الى مصر بعد دخول الالمان ؟

قال : مش ممكن لأن الملك تحت الرقابة الشديدة ..

قلت : وهل بلغ الامر الى هذا الحد ؟

قال : نعم .. للأسف لايجد أحدا يطمئن اليه .. حتى ولا حكومته لأنها ضالعة مع الانجليز . ثم قال : ونفرض ان الملك استطاع الهرب ، ثم حدثت بعدها معجزة وأمكن للانجليز صد زحف جيوش روميل يبقى مركز الملك فاروق ايه بعد أن هرب ؟.. لن يستطيع العودة الى مصر.. ان الصعوبة هى فى تحديد اليوم أو الموقف الذى يصح للمرء أن يقول فيه انكل أمل للانجليز فى كسب المعركة قد ضاع.. وانهم لابد أن يخرجوا من

مصر .. وان هذه هى الساعة .. أو هذا هو اليوم .. كيف نحدده ؟ ..

قلت : يوم يجتاز الالمان خطوط مرسى مطروح ..

قال : كلا .. فلو فرضنا واستولى الالمان على مرسى مطروح فان الانجليز ينوون مواصلة الدفاع .. ومنه تدمير خزان اسوان وقناطر محمدعلى لكى يغرقوا أراضى الدلتا ويجعلوها بحرا من الطين تغوص فيه دبابات الالمان

قلت : كلام فارغ .. مرسى مطروح اذا ضاعت .. ضاع كل شىء ، ولابد يومئذ من انسحابهم ودخول الالمان

قال : يعنى راية الخطر .. الراية الحمراء هى سقوط مرسى مطروح ؟! ..

قلت : نعم .. دون شك ..

وسكت حسنين يفكر قليلا ..

وقلت : ومن يعرف .. اذا تمكنوا من حمل الملك معهم قسرا ، فربما صحبوا معهم أيضا النحاس ووزراءه لتكوين حكومة مصر « الشرعية أو الحرة » خارج مصر مثل حكومات بولندة والنرويج وهولندة .. الى آخره ..

قال : صحيح ..

***

وانهارت تماما مقاومة الانجليز فى الصحراء الغربية ، وسقطت خطوط دفاعهم الواحد بعد الآخر وكان الجنود الالمان يجدون مشقة فى اللحاق بالجنود البريطانيين بسبب سرعة انسحابهم ..

وسقطت مرسى مطروح فى أيدى الالمان ..

وتقدمت بعدها قوات المحور .. ثم توقفت بسبب نفاد الوقود أو البترول الذى لا غنى عنه فى حرب الدبابات وكان توقفها عند « عنق الزجاجة » الذى اختاره البريطانيون خطا لدفاعهم الاخير قبل الاسكندرية ..

وكان « عنق الزجاجة » هذا ــ أو خط الدفاع ــ يمتد ما بين البحر عند محطة العلمين ومنخفض القطارة ويبعد عن المكس ــ احدى ضواحى الاسكندرية ــ بنحو أربعين كيلومترا ..

وبدأ أهالى الاسكندرية يسمعون دوى المدافع وهى تطرق أبواب دلتا النيل .. وساد الذعر والرعب والفزع وخصوصا بين يهود مصر الذين أسرعوا الى بضائعهم المكدسة فى المخازن يعرضونها للبيع بأرخص الاسعار.. وكان المارة فى شارع جامع شركس بالقاهرة يشاهدون يومئذ عشرات منهم يحاصرون قنصلية بريطانيا ليحاولوا الحصول على « فيزا » أو اذن بدخول فلسطين أو جنوب افريقيا

كانت بحق أيام الذعر والفزع وكان من الصعب أن يصدق أحد ان شيئا ما سوف يوقف الزحف الالمانى ويحول دون دخولهم الاسكندرية والقاهرة ..

اللهم الا اذا وقعت معجزة ، ولكن سلطات الحلفاء لم تكن فيما يظهر تؤمن أو حتى ترجو يومئذ وقوع هذه المعجزة .. فقد كان المارة فى ميدان قصر الدوبارة والشوارع المحيطة به يرون أعمدة الدخان تتصاعد من مداخن السفارة البريطانية والسفارة الامريكية وبعض المبانى والدور والعمارات التى كانت تشغلها ادارات مختلفة تابعة لقيادة الجيش البريطانى ..

وكانت أعمدة الدخان تتصاعد ليلا ونهارا ، أياما متوالية .. وعرف سكان القاهرة ان رجال السفارتين والقيادة البريطانية يحرقون أوراقهم السرية استعدادا لمغادرة القاهرة ..

وسافر بعض كبار الماليين والادباء والصحفيين ممن كانوا يحملون يومئذ على هتلر والنازية ، أو كانت لهم علاقات بمجهود بريطانيا الحربى .. سافروا الى اسوان

ومنها الى الخرطوم ..
وقابلت ذات صباح الاستاذ محمود أبوالفتح وسألنى :
ــ راح تودى فلوسك فين ؟..
قلت : فلوسى كلها أحملها فى جيبى ..
وابتسم وقال انه أرسل «فلوسه» الى جنوب افريقيا وفى مساء نفس اليوم وكنت فى جريدة الاهرام أسأل عن آخر الاخبار ، سألنى رئيس التحرير الاستاذ انطون الجميل باشا ماذا يفعل بأمواله المودعة فى البنوك ؟ !..

وقلت له ان محمود أبو الفتح أرسل أمواله الى جنوب افريقيا .. وابتسم ــ رحمه الله ــ بمرارة ، وقال :
ــ وهو يعنى جنوب افريقيا اللى مأمون ومضمون ..

وكان الاستاذ انطون الجميل يعتقد انه أذا سقطت مصر فى أيدى الالمان فلن يقف بعدئذ شىء فى طريقهم .. بل سوف يكتسحون وادى النيل الى جنوب افريقيا.. ويشقون طريقهم شرقا كما تنشق السكين طريقها فى قالب الزبد عبر فلسطين ولبنان وسوريا والعراق ..

وقص على المرحوم الاستاذ توفيق دوس باشا المحامى ورئيس مجلس ادارة شركة الفنادق المصرية .. قال :
ــ وذات صباح دق جرس التليفون فى مكتبى واذا بالمتكلم أحد رجال السفارة البريطانية وطلب منى باسم السفارة واسم القيادة البريطانية أن أعمل فى ظرف ٢٤ ساعة لا أكثر على فتح واعداد فندق ونتر بلاس بالاقصر وكان الفندق المذكور مغلقا يومئذ لأننا فى الصيف ــ شهر يولية ــ والفندق لا يفتح الا فى موسم الشتاء ..
وقلت للمتحدث باسم السفارة والقيادة ان هذا مستحيل .. لأنه يجب أولا جمع عشرات الخدم والسفرجية والطهاة الى آخره .. لتنظيف الفندق واعداده .. ولكن المتحدث قاطعنى قائلا : ان لا ضرورة

لشيء من هــذا .. بل لا ضرورة لوجود اى خدم أو سفرجية على الاطلاق.. لأن البنات سوف يقمن بتنظيف الفندق وخدمة أنفسهن بأنفسهن.. بل وطهى طعامهن. والمهم هو فتح الفندق فورا لأن قطارا خاصا يغادر القاهرة مساء اليوم وهو يحمل خمسمائة من فتيات « الانسا » والمجندات البريطانيات الى الاقصر.. ومنها ـ اذا لزم الامر ـ الى الخرطوم ..

قال توفيق دوس باشا :

ـ ثم ضحك محدثى من السفارة البريطانية وهو يقول : ولعلك توافق على انه من غير المرغوب فيه أن نترك وراءنا فى القاهرة كل هذه المتعة وأسباب السرور غنيمة للجنود الالمان ..

***

وفتيات « الانسا » فرقة كانت مخصصة للترفيه عن الجنود البريطانيين فكانت تقيم لهم فى مختلف المعسكرات حفلات الغناء والموسيقى والتمثيل ..

اذن فقد كان الخطر خطرا حقيقيا ، لا مبالغة فيه.. وها هى ذى السلطات العليا التى تعرف الحقائق تحرق أوراقها .. وتسرع وترسل الفتيات البريطانيات المجندات بعيدا عن القاهرة ـ الميئوس من انقاذها ـ الى الاقصر منطقة الامان ولو الى حين ..

ثم انتشرت اشاعة تبين فيما بعد انها خبر صحيح ، وفحواها ان السلطات البريطانية العسكرية طلبت بالحاح من الحكومة المصرية اغراق غرب الدلتا أومديرية البحيرة وما الى جنوبها .. لكى تحول هذه الاراضى الى بحر من الطين تغوص فيه دبابات الجيش الالمانى وعربات النقل وسـيـاراته ومدرعاته ومصـفحاته .. وتعرقل زحف روميل على دلتا النيل ..

وبدأت ألوف من المهاجرين تفد على القـــاهرة من الاسكندرية والبحيرة وشمال الدلتا .. وأرسل الضابط المصرى قائد منطقة الاسكندرية خطابا سريا الى وزارة الحربية المصرية فى القاهرة .. يسألها فيه عما يجب عليه عمله فى حالة دخول قوات المحور من الالمان والايطاليين. هل يجب عليه أن يقاوم هو وجنوده ؟ أم يستسلم ويسلم سلاحه وذخيرته ؟..

وعرض الخطاب أو السؤال المذكور على وزير الحربية يومئذ المرحوم الفريق حمدى سيف النصر باشا فقال :

ـ ما تردوش عليه ..

ولكن قائد الاسكندرية عاد وأرسل بعد يومين رسالة سرية أخرى كتب عليها « مستعجل جدا » ويكرر فيها نفس السؤال ويلح فى الجواب .. فقال وزير الحربية :

ـ انقلوا ابن الـ . . . ده من اسكندرية وارسلوه حته تانيه وابعتوا واحد تانى محله .. هو عاوز يودينى فى داهية ..

ذلك ان حمدى باشا ـ رحمه الله ـ كان يخشى اذا أمر قائد الاسكندرية بالمقاومة ثم دخل الالمان ، أن يحاكمه الالمان أمام مجلس عسكرى .. واذا أمره بالاستســلام للألمــان ثم نجح الانجليز فى صد الالمان .. أن يحاكمه الانجليز بتهمة الخيانة ..

ومن هنا رفض أن يرد على رســالة قائد منطقــة الاسكندرية ..

وفى هذا الجو من التوتر والفزع .. اجتمع مجلس الوزراء برياسة «صاحب المقام الرفيع» مصطفى النحاس باشا وقال رفعته فى بداية الاجتماع انه رأى بسبب خطورة الحالة وتطورها السريع أن يدعو المجلس للنظر فيما يجب عليه اتخاذه لتأمين سلامة البلاد ..

بينما كان «رفعته» يؤكد منذ أيام قلائل ان الحالة «مطمئنة» ! وبعد أن تناقش الوزراء طويلا فى الموقف وقدروا جميع الاحتمالات قرروا أن يرسل مجلس الوزراء خطابا بامضاء « رفعة » رئيس الحكومة الى الماريشال روميل ..

وعهدوا الى الاستاذ نجيب الهلالى باشا بوضع صيغة الخطاب المذكور ، وكتب الاستاذ الوزير الاديب الخطاب المذكور — وقد تكون صورة من هذا الخطاب التاريخى محفوظة فى سجلات مجلس الوزراء ..

***

وقد جاء فى الخطاب : أن مصر دولة غير محاربة وان جميع الاجراءات العسكرية التى اتخذتها السلطات العسكرية البريطانية فى مصر قد تمت كرها أو على غير رغبة من الحكومة المصرية ..

وان مصر حكومة وشعبا تحب السلام وتستمسك به وان حكومة مصر قد اتخذت الآن جميع الاجراءات لحفظ الامن والحيلولة دون وقوع أية اضطرابات ..

وهذه هى خلاصة الخطاب المذكور كما استقيتها من أوثق المصادر ..

واتفق رأى مجلس الوزراء على أن يكون رسولهم الذى يحمل هذا الخطاب الى الماريشال روميل هو محافظ الاسكندرية وكان يومئذ عبد الخالق حسونة باشا الامين العام — الآن — لمجلس جامعة الدول العربية ..

ونزولا على حكم «البروتوكول» والعرف والتقاليد.. وتقديرا لخطورة الحالة وخطورة المهمة قرر المجلس أن يعهد الى أكبر أعضائه سنا وأقدمهم عهدا بالمنصب الوزارى وهو عثمان محرم باشا بالاتصال بمحافظ الاسكندرية عبد الخالق حسونة باشا .. ليبلغه خبر المهمة الجليلة

الخطيرة التى يعهد بها اليه مجلس الوزراء !..

واتصل عثمان محرم باشا بمحافظ الاسكندرية عبد الخالق حسونة باشا وأبلغه قرار مجلس الوزراء وقال ان خطاب رفعة النحاس باشا الى المارشال روميل سوف يرسل اليه مع رسول خاص ..

ولا بد ان السيد عبد الخالق حسونة ففر فاه دهشة وهو يتلقى تفاصيل هذه المهمة العجيبة التى يكلفه بها مجلس الوزراء ..

ولكنه سأل وزير الاشغال :

ـ وكيف السبيل للوصول الى المارشال روميل ، وتسليمه خطاب رئيس الحكومة ؟..

وأجاب عثمان محرم باشا :

ـ تركب يا أخى سيارتك وتخرج بها الى أن تقابل روميل وهو قادم فى طريقه الى الاسكندرية ..

وهنا لم يستطع السيد عبد الخالق حسونة أن يخفى السخرية من لهجته وهو يسأل أو يتساءل :

ـ هل حصلتم يا معالى الباشا من الجيش الانجليزى على تصريح لى بالمرور بسيارتى ؟..

وسكت « معالى » الباشا الوزير ..

وعاد محافظ الاسكندرية يقول :

ـ ان بينى وبين الوصول الى الجيش الالمانى قوات الجيش البريطانى المنتشرة على طول الخط .. وهناك كذلك أسلاك شائكة وحقول الغام .. ثم ليس من الضرورى أن يكون المارشال روميل موجودا فى مقدمة جيشه .. فقد يكون فى مقر قيادته فى المؤخرة وراء الخطوط .. وسوف يلزمنى فى هذه الحالة جواز أمان من القيادة الالمانية بخلاف جواز المرور والامان من القيادة البريطانية فهل فكرتم فى هذا كله يا معالى الباشا ؟..

وضاق صدر عثمان محرم باشا بكل هـذه الاسئلة وهذه الاعتراضات التيأثارها محافظ الاسكندرية والتى لم تكن موضع بحث أو مناقشة فى مجلس الوزراء .. لأن أحدا من أصحاب الرفعة والمعالى الوزراء لم يخطر بباله ان مقابلة روميل ستكون بمثل هذه الصعوبة ..

ضاق صدر معاليه فقال :

ـ على كل حال الخطاب جاى لك .. واحفظه عندك لحد ما تقابل روميل وتسلمه له يدا بيد ..

وعاد محافظ الاسكندرية يسأل :

ـ ولـكن أقابل روميل ازاى ؟ !..

وأجاب وزير الاشغال :

ـ لما يدخل الآسكندرية .. روح قابله واعطى له الجواب ..

وهكذا انتهت هذه المحادثة التاريخية العجيبة ..

ولحسن حظ السيد عبد الخالق حسونة .. وسوء حظ التاريخ .. لم يدخل روميل الاسكندرية ويتسلم الخطاب الممهور بامضاء السيد مصطفى النحاس ..

وانقل هنا من مذكراتى المكتوبة فى مساء السبت ٢٧ يونية سنة ١٩٤٢ :

كلمت فؤاد سراج الدين باشا بالتليفون واتفقنا على أن نتقابل فى «جروبى» الساعة الثامنة مساء .. ولكنه عاد وكلمنى فى منتصف الساعة السابعة واقترح أن تكون المقابلة فى داره فى نفس الميعاد ..

وكانت هذه أول مرة أدخل فيها داره الفخمة فيجاردن سيتى ..

وسألنى عما اذا كنت سمعت بخطـــاب مكرم باشا فقلت : لا .. لم أسمع شيئا .. قال : ان مكرم باشـــا أرسل الى النحاس باشا أول أمس خطابا منه ومن عشرين

نائبا يطلب فيه عقد الهيئة الوفدية فى صباح يوم الاثنين « بعد غد ٢٩ يونية » للنظر والمناقشة فى المسائل الآتية :

١ ــ الموقف الحربى الحالى ..
٢ ــ الاستثناءات التى لا تزال الوزارة سادرة فيها..
٣ ــ التصريحات بتصدير بعض المواد الاولية التى ترخص بها الوزارة لبعض أنصارها والمحسوبين عليها..
٤ ــ مراقبة دار مكرم عبيد والحصار المضروب حولها
٥ ــ تحديد مركز مكرم باشا فى الوفد ومنصب سكرتير الوفد وهذا بسبب تصريحات النحاس باشا فى اجتماعات عديدة أعلن فيها أن مكرم لم يعد سكرتيرا للوفد ..

ثم قال فؤاد سراج الدين باشا ان النحاس باشا قال بعد أن قرأ خطاب مكرم انه لن يرد عليه وانه ــ أى فؤاد باشا ــ وافقه على رأيه .. ولكن النحاس باشا عدل عن رأيه وأرسل الدكتور محمد صلاح الدين لكى يبلغ رد النحاس باشا وهو :

ان النحاس باشا يطلب من الذين أرسلوا هذا الخطاب أن يقابلوه لكى يعرف منهم شخصيا الاسباب التى يريدون من أجلها عقد الهيئة الوفدية ..

ثم .. عن :
١ ــ غير ممكن أن يقول النحاس باشا عن الموقف الحربى أكثر مما قاله فى مجلس النواب ..
٢ ــ لقد أبديت يامكرم باشا رأيك فى الاستثناءات وأبديت أنا رأيى ، وأيدنى الوزراء فى رأيى .. وهناك استجواب مقدم وسوف ينظر فى يوم الاثنين ويمكنك يومئذ أن تقول كل ما تريده أثناء مناقشة الاستجواب فى مجلس النواب ..
وعن ٣ ــ غير صحيح ..
وعن ٤ ــ غير صحيح ..

وأما عن ٥ ــ فانك يا مكرم لست سكرتيرا للوفد ، لأنك لم تعد سكرتيرا للوفد .. وبناء عليه أرفض طلب عقد الهيئة الوفدية ..

ثم قال فؤاد سراج الدين تعليقا على خطاب مكرم :

ــ ان مكرم كان يعرف مقدما ان النحاس باشا لن يوافق على دعوة الهيئة الوفدية للاجتماع فى صباح بعد غد الاثنين للمناقشة فى المسائل التى ذكرها هو وأصحابه فى الخطاب ومنها مسألة الاستثناءات التى قدم عنهـا استجوابا تحدد لنظره جلسة نفس اليوم الاثنين ، ولكن مكرم أراد أن يقوم بمناورة بارعة يستبق بها الحوادث ويبرر موقفه فى هذه الجلسة القادمة لأن فى نيته أن يهاجم النحاس باشا ويحمـــل على الوزارة فى الجلسة المذكورة .. ولكنه يشفق من عتاب العاتبين ولوم اللائمين ومن أن يقال له : «كيف ــ وأنت لاتزال عضوا فى الوفد والهيئة الوفدية ــ كيف تهاجم رئيس الهيئة ورئيسك وتحمل على وزارة الهيئة التى تنتمى اليها ؟ » ومن هنا أرسل خطابه لكى يمكنه أن يقول للعاتبين واللائمين : « لقد حاولت أن أناقش مصطفى باشا فى هذه المسائل فى الهيئة الوفدية أى فى اجتماع عائلى فيما بيننا ولكنه رفض .. فلا تلومونى اذن اذا تكلمت علانية فى جلسة مجلس النواب » ..

هذه هى مناورة مكرم البارعة ، لأنه كان يعرف مقدما ان النحاس باشا لن يوافق على عقد الهيئة الوفدية..

وكنت ذكرت رأى الاستاذ فؤاد سراج الدين وهو انه كان يرى ان من الاصوب فصل مكرم عبيد من الوفد « الآن » أثناء وجود النحاس باشا فى رياسة الوزارة وفى يده سلطات الرقابة المفروضة على النشر والصحافة خير من السكوت عليه ، اذ قد يضطر الوفد فيما بعد الى

فصله ، وقد يكون النحاس باشا يومئذ خارج الحكم ولاسلطان له على الرقابة ولاسلطة له فى منع نشر ما لا يرضيه اذا حمل عليه مكرم فى الصحف ..

ولقد عاد فؤاد باشا هذا المساء ــ مساء ٢٧ يونية ــ الى نفس الموضوع ونفس المعنى ، فقال :

ــ ان مكرم لايزال عضوا فى هيئة الوفد ، ولهذا السبب فان مهاجمته أو الحملة عليه ليست ممكنة الآن، بل ان أعضاء الهيئة الوفدية والوفديين جميعا الموالين المخلصين للنحاس باشا يمسكون بأعصابهم وألسنتهم ولا يسمحون لأنفسهم بالحملة عليه احتراما منهم لعضويته فى الوفد والهيئة الوفدية ولكن يوم يعلن فصل مكرم من الوفد فان المانع يزول وتنطلق ألسنة الجميع ضد مكرم عبيد ..

وانتهى فؤاد سراج الدين من الحديث عن خطـــاب مكرم عبيد ..

وكنت أصغى اليه وأنا أعجب كيف يمكن لرجال مصر المسئولين أن يشغلوا أنفسهم بأمر الخلاف بين النحاس ومكرم .. وجيوش روميل تطرق أبواب مصر ، ودلتا النيل مهددة بالخراب ؟

وقلت لفؤاد باشا اننى زرت حسنين «رئيس الديوان الملكى» هذا الصباح ووجدته مشغول البال على ابنه هشام الذى أجريت له أول أمس عملية المصران الاعور، واننى فهمت من حديث حسنين ان كل من فى القصر ــ من الملك الى أصغر فرد فى الحاشية ــ جميعهم خائفون جزعون قلقون من تطور الموقف الحربى من سيىء الى أسوأ.. وانهم جميعا يتساءلون عن نوايا الانجليز وخططهم والى أى مدى ينوون الدفاع والمقاومة ؟ هل يذهبون فى هذا المدى الى حد نقل الحرب الى دلتا النيل معتمدين

كما قال أحد نقادهم العسكريين على فروع النيل وقنواته في تعطيل زحف الالمان ..

ثم سألته : لم لايطلب النحاس باشا مقابلة الملك شخصيا لكي يبلغه آخر تطورات الحالة ويطمئنه ان كان عند رفعته أسباب تدعو الى الاطمئنان؟ ووافقني فؤاد باشا على رأيي وقال انه يحبذ مقابلة النحاس للملك وانه اذا كان النحاس لم يطلب حتى اليوم مقابلة فاروق ، فذلك لانه كان يخشى أن يرفض فاروق مقابلته أو يسوف فيها كما سبق أن حدث ..

ثم قال انه سيقابل النحاس باشا الآن لأنهم مدعوون عند الاستاذ حسن يس لتناول العشاء وسوف يقول لرفعته ان هذا هو رأيي من غير أن يدخل في التفاصيل.

وتركت فؤاد سراج الدين وعدت الى داري ، ومنها سألت بالتليفون عن حسنين باشا فقيل لي انه لم يعد بعد

وكلمني هو بالتليفون في منتصف الساعة الحادية عشرة مساء .. ورويت له ما دار بين فؤاد باشا وبيني .. وانني اقترحت أن يطلب النحاس باشا مقابلة الملك .. الى آخره .. الى آخره ..

وقال حسنين : عال خالص ..

وشكرني بحرارة ..

وأصبحنا يوم الاحد ٢٨ يونية ..

وكلمت صبري أبو علم باشا في مسألة تخص أحد الزملاء الصحفيين وكان الزميل المذكور وسطني فيها لدى صبري أبو علم باشا رحمه الله

وعرفت من صبري باشا أثناء الحديث ان « رفعة الرئيس » موجود الآن مع جلالة الملك.. وان رفعته كان « التمس » المقابلة هذا الصباح فأجيب طلبه في الحال.. واستقبله فاروق في نفس الصباح ..

وكلمت حسنين فى مكتبه بالقصر وسألته عن الحالة فقال : « أيوه •• وصاحبك هنا ـ يقصد النحاس باشا ـ لكن أظن فات الوقت لأن الاخبار وحشة .. وبعدين أقول لك » •

و « الاخبار الوحشة » التى كان يشير اليها لابد أن تكون أخبار الموقعة الحربية الدائرة عند مرسى مطروح.

ولم يكن فى امكان حسنين أن يفسر أكثر من ذلك بالتليفون .. لأن موظفى تليفونات قصر عابدين ــ كما كان قد قال لى هو بنفسه ـ كانوا ينصتون للاحاديث وينقلون الاخبار التى يسمعونها •• ؟

ثم عاد حسنين وكلمنى بالتليفون فى ساعة متأخرة من المساء وكنت فى دارى .. وقال : ان النحاس لم يطلع الملك فى مقابلة الصباح على شيء جديد .. وانه وان تكن الاشاعات مزعجة .. الا ان أخبار «أخواننا» هنا مطمئنة

ولم يزدعلى هذا.. وكعادتى معه لم ألح فى الاستفسار أو طلب المزيد من التفاصيل ولا أعرف من هم الذين يقصدهم «باخواننا» ؟ هل يقصد الانجليز ، أم يقصد النحاس باشا ووزرائه ؟..

ولم يكن فى نيتى أن أخرج هذا المساء ، ولكنى ذهبت الى جريدة الاهرام لكى أسأل عن آخر الاخبار الواردة من جبهة القتال .. وقابلت فى مكتب رئيس التحرير الدكتور محمود عزمى والسيدة قرينته ..

وقالت السيدة أو على الاصح سألتنى : ما اذا كنت سمعت ان فلانا قد طلق زوجته فلانة ؟..

وفلان هذا كان من نجوم السينما وأبناء الذوات وقد توفاه الله منذ سنوات .. أما فلانة فلا تزال على قيد الحياة .. قلت اننى لم أسمع شيئا عن هذا الطلاق..

قالت السيدة حرم الدكتور محمود عزمى ان فلانة

هذه هى الآن «صديقة» الجنرال ريتشى قائد الجيوش البريطانية فى الصحراء الغربية.. وان الجنرال لم يسافر الى الميدان بل يدير المعركة بالتليفون ، والى جانبه صديقته فلانة المذكورة ..

وقال المرحوم محمود عزمى :

ـ على كل حال الثابت ان الجنرال ريتشى كان يزور الاسكندرية مرة فى كل أسبوع وينزل بفندق بوريفاج حيث كانت تقابله فلانة المذكورة ..

وقلت أنا ان الاشاعات كثيرة عن فلانة هذه ومعظمها غير صحيح ..

ثم سألت الدكتور محمود عزمى عن رأيه فى الحالة ، وفى دفاع الانجليز ؟ فقال : ان الانجليز ينوون الدفاع عن مصر الى آخر رمق وان خطتهم وخطوط دفاعهم هى :

١ ـ مرسى مطروح ..
٢ ـ الضبعة ..
٣ ـ الخطاطبة « فى مديرية البحيرة » ..
٤ ـ من الاهرام الى الزمالك ..
٥ ـ قناة السويس ..

قلت : والاسكندرية .. والقاهرة ؟ ..

قال : لم يتخذ بشأنهما بعد أى قرار ..

قلت : على أى حال اذا كانت هذه هى خطة الانجليز فانها تعنى خراب مصر ..

قالت السيدة حرم محمود عزمى :

ـ نعم .. الدفاع شبرا شبرا كما فعل الروس فى مدينة سباستبول ..

وأنقل عن مذكراتى بتاريخ ٢٩ يونية عام ١٩٤٢ :

الحالة تزداد خطورة ، واشاعات مزعجة تملأ البلد..

وسمعت اليوم من مصادر مختلفة ان الانجليز استطاعوا

أن يردوا قوات المحور عند مرسى مطروح وأن يرغموها على التقهقر مسافة عشرة كيلومترات وأن يأخذوا منها خمسة عشر ألف أسير ..

ثم أعلنت وكالات الانباء فى المساء ان شيئا من هذا لم يحدث ، وان الذى حدث فعلا هو سقوط مرسى مطروح فى أيدى قوات المحور من الالمان ..

ومررت بجريدة الاهرام ودخلت غرفة رئيس التحرير الاستاذ انطون الجميل ، وكان بين الموجودين الاستاذ توفيق اليازجي «المعروف بميوله المحورية» وكان الحديث بينهم عما عسى أن يفعل الملك فاروق وهل هو يحاول الهرب من مصر خوفا من أن يرغمه الانجليز على الخروج معهم عند انسحابهم ؟

وقلت للحاضرين ما أعرفه وهو ان الانجليز أقاموا حول الملك مراقبة شديدة دقيقة حتى لا يكاد ينتقل من قصر الى قصر الا وعندهم الخبر ..

وكان الاستاذ توفيق اليازجى يبتسم ابتسامة هادئة ناعمة .. وقالت سيدة من الموجودين أن الامبراطورية البريطانية قد شاخت ودب الانحلال فى عظامها تماما مثل روما فى آخر عهدها بالمجد والسلطان .. فقد كانت روما عندما أشرقت على نهايتها .. كانت تحارب بأبناء جميع أمم الارض الا أبناء روما .. وكذلك الحال اليوم مع بريطانيا التى تخوض المعارك وتحارب بجنود من استراليا ونيوزيلندا والهند وبورما وجنوب افريقيا وفلسطين ، بل ولبنان « وكان فريق من أبنائه قد التحق بقوات ديجول الحرة » .. ولكنك تبحث عن جنود الانجليز فلا تجدهم ..

وحدثت مساء اليوم فى مجلس النواب فضيحة ، ولا أعنى ان الاستثناءات كانت فضيحة .. وهى قد كانت

كذلك .. ولكننى أقصد أن نظرها والمناقشة فيها فى هذا اليوم وهذه الظروف بالذات هى التى كانت فضيحة.. فبينما الجيوش تتطاحن على أبواب مصر، ودوى المدافع والقنابل يسمع بوضوح فى الاسكندرية وطائرات جيوش المحور تحلق فوق الاراضى المصرية .. أصر رئيس الوزراء النحاس باشا عند افتتاح جلسة مجلس النواب على نظر الاستجوابات المقدمة عن الاستثناءات وغيرها رغم أن أصحاب هذه الاستجوابات طلبوا تأجيل النظر فيها مراعاة للحالة وتقديرا منها لخطورة الموقف ..

ولكن « رفعة الرئيس » أصر على نظرها ..

وقامت « خناقة » حامية بينه وبين مكرم عبيد .. وأعلن النحاس باشا فى الجلسة أمام النواب ان مكرم لم يعد سكرتيرا للوفد ..

٣٠ يونية عام ١٩٤٢ :

وكان للأقاويل والاشاعات التى ينشرها فى القاهرة المهاجرون القادمون من الاسكندرية والبحيرة ، أثرها فى الجمهور ، فقد انتشر الذعر بين سكان القاهرة ..

وكلمت النحاس باشا بالتليفون وتحدثت اليه عن جلسة أمس وأبديت رأيى فى الطريقة التى نشرت بها جريدة « المصرى » ما دار فى الجلسة المذكورة ..

ثم سألته عن الحالة ، فقال : انها مطمئنة وليس فيها ما يدعو للذعر والقلق ..

وكلمت فؤاد باشا سراج الدين بالتليفون وعرفت منه انه لم يكن فى نية الانجليز أن يدافعوا عن مرسى مطروح وان قرار التخلى عنها والانسحاب منها كان معروفا للوزراء منذ أربعة أيام .. وان خط دفاع الانجليز هو عند العلمين « وقد كتبتها فى مذكراتى بالألف «العالمين» لأننى لم أكن قد سمعت بهذا الاسم من قبل .. »

وعرفت فى المساء من الاستاذ انطون الجميل ان قوات المحور قد اجتازت مرسى مطروح وجاوزت فوكه والضبعة وأمست أمام العلمين ..

أول يولية عام ١٩٤٢ :

الذعر شديد ... والاشاعات كثيرة ....

والجمهور يحاصر محال البقالة ومواد التموين لكى يشترى منها حاجته ويخزنها للطوارىء .. واضطر محل بقالة «لاباس» فى شارع قصر النيل أن يغلق أبوابه بسبب شدة الزحام ..

ونفدت فى يومين اثنين جميع الدراجات والبسكليتات من محال بيعها فى القاهرة فقد أقبل الجمهور على شرائها بسبب اشاعة تقول ان الانجليز سوف يحرقون مستودعات البنزين قبل انسحابهم حتى لا تقع فى أيدى الالمان .. ومعنى هذا أنه سوف يستحيل استعمال السيارات في الانتقال

ومن اشاعات اليوم ان الانجليز طلبوا من الملك الانتقال الى فلسطين .. بل الى أسيوط .. بل الى السودان ومعه الوزارة .. اشاعات كثيرة مختلفة ..

ولكن هناك خبرا أكيدا واحدا وهو ان الانجليز رفضوا أن يعلنوا ان القاهرة مدينة مفتوحة .. وكنت سمعت هذا الخبر من احدى اذاعات راديو برلين منذ يومين ..

ومعنى هذا انهم سيدافعون عن القاهرة وسيدور القتال فى القاهرة من حى الى حى ، ومن شارع الى شارع بل ومن عمارة الى عمارة .. وسمعت كذلك ان الانجليز نصبوا أوكار المدافع على طول شارع الهرم ، وبعض أوكار المدافع هذه قد أقيم خلف بعض الدور والفيللات فى الشارع المذكور ..

وكانت النتيجة أن هجرها أصحابها .. الى مساكن

أخرى فى القاهرة أو فى الريف ..

وذاع اليوم أن مسيو كابسيس الوزير المفرض لحكومة اليونان الحرة قد غادر مصر هربا من قوات المحور ..

وكذلك مسيو جاكيه وزير بلجيكا المفوض.. ثم عدت وسمعت انهما لم يهربا بل اعدا فقط جوازات سفرهما.

وذاع فى المساء ان قوات الاحتلال قد وصلت الى العامريه والمكس ، وان شركة مصر للطيران قد أوقفت سفر طائراتها الى الاسكندرية ..

وانمستر كازى وزير الدولة فىالشرق الاوسط غادرمصر

عقد البرلمان بمجلسيه : مجلس الشيوخ ، ومجلس النواب ، جلسة سرية أعلن فيها النحاس باشا :

١ ــ مصر حصلت على غطاء الذهب ..

٢ ــ فى كل بلد مؤونة تكفيها لمدة شهر واحد ..

٣ ــ الانجليز رفضوا الموافقة على جعل القاهرة مدينة مفتوحة .. ولكن الوزارة اتخذت كافة الاجراءات وقامت بجميع اللازم لتأمين المدنيين وحمايتهم ..

٤ــ كذب « رفعته » الاشاعات الخاصة بانتقال الملك والحكومة الى أى بلد آخر ..

وأقف هنا قليلا ــ وأترك مذكراتى ــ وأروى حديثا قصيرا سمعته من أمين عثمان باشا بعد ذلك بعام أو نحو ذلك .. أى فى عام ١٩٤٣ ..

وكان المرض قد اشتد على رفعة النحاس باشا فىعام ١٩٤٣ حتى خيف على حياته وزارنى ذات يوم صديق لى كان يومئذ مديرا لمكتب أمين عثمان وزير المالية وقال لى ان أمين باشا يهمه أن يعرف رأيى فيمن سوف يتولى زعامة الوفد بعد النحاس باشا .. اذا أصابه مكروه لاسمح الله .. وان أمين باشا يريد أن يزورنى ويتحدث الى فى هذا الموضوع ..

وزارني فعلا أمين عثمان فى مكتبى بمجلة «آخرساعة» ولكنه لم يعرض فى حديثه لموضوع الزعامة ورئاسة الوفد والى من تؤول بعد النحاس باشا ..

ولعله كان عرف رأيى مما كنت قلته لصديقى مدير مكتبه ، بل جلس يتحدث عن العام الماضى وحوادثه ، وأزماته ـ عام ١٩٤٢ ـ وأيام العلمين.. وكان مما قاله ـ وهو ما يخالف قول النحاس باشا أمام مجلس البرلمان ـ ان الانجليز طلبوا فعلا من النحاس باشا مفادرة مصر

قال أمين عثمان باشا : ان السفير البريطانى مايلز لامبسون زار النحاس باشا أيام اشتداد الخطر وقال له ان الحكومة البريطانية تنصح لحكومة جلالة ملك مصر بالانتقال الى الخرطوم .. خصوصا ان السودان أرض مصرية «(كذا !)» فلن يضيرها فى شىء أمام الشعب أن تنتقل من جزء من مصر الى جزء آخر من مصر ..

ومضى المرحوم أمين عثمان فى روايته يقول : ان النحاس باشا استطاع أن يتخلص بلباقة من هذا الاحراج اذ قال للسفير انه وأعضاء الوزارة رهن مشيئة الملك فاذا قرر جلالته مفادرة مصر الى السودان فانهم سوف ينتقلون معه .. واذا قرر البقاء فى مصر فانهم باقون معه ..

وكان النحاس باشا قد اتفق سرا مع فاروق على البقاء وعدم مفادرة البلاد ..

هذه رواية المرحوم أمين عثمان.. وأنا أصدقها .. بل لعل اتفاق النحاس مع فاروق على البقاء فى مصر وعدم الهرب .. لعله يفسر سر الخطاب العجيب الذى أمر النحاس باشا باعداده .. وارساله الى الماريشال روميل مؤكدا فيه ان مصر لا ناقة لها فى الحرب ولا جمل .. وانه وزملاءه كانوا مكرهين مرغمين على التعاون مع الانجليز ! ..

وأعود الآن الى مذكراتى .. وأنقل منها :

يوم ٢ يولية عام ١٩٤٢ :

خف الذعر قليلا فى الصباح ، ثم عاد واشتد فى المساء فقد اذاعت محطات الاذاعة فى برلين وروما وانقرة «وكانت تركيا يومئذ محورية تشيد بانتصارات هتلر ثم عادت وانقلبت عليه وأمست امريكانية بريطانية » ..

أذاعت المحطات المذكورة ان قوات المحور اخترقت استحكامات العلمين وانها تطارد الجيش البريطانى فى أنحاء الدلتا ..

ثم نفت شركة روتر الخبر المذكور ..

وعرف اليوم ان السفير البريطانى قابل الملك .. وانه طلب من جلالته مغادرة القاهرة .. ولكن الى أين ؟..

ثم قابل السفير النحاس باشا وطالت المقابلة أربع ساعات وانعقد بعدها مجلس الوزراء ودام الاجتماع الى الساعة الواحدة صباحا .. وسمعنا فى نفس المساء ان النحاس باشا هائج ساخط على الانجليز لأنهم لم يفوا بعهودهم ووعودهم له ومنها مثلا عدم تدمير المنشآت ، مثل القناطر الخيرية والكبارى ومستودعات البترول .. الى آخره ..

وكان «رفعته» أعلن فى الجلسة السرية التى عقدها البرلمان انه أخذ وعدا بذلك من الانجليز ولكن يبدو أن السفير مايلز لامبسون عاد وراوغ فى الوعود التى كان أعطاها ولهذا السبب هاج النحاس وثار ..

ومررت فى المساء بجريدة الاهرام جريا على عادتى فى الايام الاخيرة .. وبينما نحن نتحدث فى الحالة دخل أحمد الالفى عطية وقطع علينا حديثنا لكى يسألنا :

ـ أنا طول عمرى محسوبكم .. ترجمتها ايه باللغة الالمانية ؟ ..

وضحكنا .. وقال انه كان كتب خطابا مفتوحا الى هتلر ونشرته « الاهرام » .. وكان خطابا قليل الادب.. وانه نادم الآن .. وهل ينفع الندم ؟..

وكان النحاس باشا دعانى لمقابلته فى الساعة العاشرة مساء فى دار فؤاد سراج الدين بجاردن سيتى ، ولكنى لم أذهب بسبب طول اجتماع الوزراء ، وقد دامت الجلسة الى الساعة الاولى صباحا ..

وعرفنا اليوم ان ذهب مصر لايزال فى البنك الاهلى.. مع ان النحاس باشا كان أعلن فى جلسة البرلمان ان ذهب مصر فى أيد مصرية وحراسة مصرية ..

« هذا ما وجدته مسجلا فى مذكراتى ، ولا أذكر اليوم ماذا كنت أقصد بالبنك الاهلى ؟ هل البنك الموجود بشارع قصر النيل بالقاهرة ؟.. أم مركز البنك الاهلى القائم فى لندن ؟ » ..

وعرفنا كذلك ان الجنود البريطانية هى التى تتولى حراسة القناطر الخيرية ابتداء من اليوم .. لماذا ؟ لابد ان الغرض هو نسفها وتدميرها عند انسحابهم لكى يغرقوا دلتا النيل أو يحيلوها الى بحر من الوحل ..

وانقل عن مذكراتى بتاريخ ٣ يولية عام ١٩٤٢ :

كنت أنوى السفر اليوم الى رأس البر ، وقد أعددت فعلا حقيبتى .. ثم كلمت وزير التجارة الاستاذ محمود سليمان غنام بالتليفون وسألته عن « الحالة » فقال انها « وحشة » وان الانجليز انما تولوا حراسة القناطر الخيرية لكى يدلوا سياراتهم التى تمر هناك على الطريق!

لابد انه يعتقد اننى ساذج أبله حتى أصدق مثل هذا التفسير ..

وكلمت زميله وزير التموين الاستاذ احمد حمزة ، فقال : « الحالة وحشة » وربنا يلطف ولما سألته عن

سبب حراسة الجنود للقناطر الخيرية قال انهم يتولون حراستها لكى يقاوموا جنود «الباراشوت» ـ المظلات ـ الالمان فى حالة ما اذا حاول هذا السلاح الاستيلاء على المنشآت المصرية ، لأن جنود الجيش المصرى مشغولون الآن بحفظ الامن فى الاقاليم ..

ومضى الاستاذ احمد حمزة يقول :

ـ هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فانه اذا هبط جنود المظلات وقاومهم الجيش المصرى اشتبكت مصر فى حرب مع دولتى المحور.. ولهذا السبب راى الانجليز أن يتولوا حراسة القناطر الخيرية بأنفسهم ..

انتهى كلام الوزير.. ومعناه أن الانجليز يشفقون من اشتباك مصر فى حرب مع المانيا ، ويحرصون على تجنيب مصر خطر دخول الحرب ضد المانيا ..

ولكن من الذى يصدق هذا الكلام ؟ وهل قبل وزراؤنا هذا السبب وصدقوه ؟

ثم كلمت فؤاد سراج الدين بالتليفون فطلب منى أن أمر عليه ..

ومررت عليه ودار بيننا حديث طويل ألخصه فيما يلى :

قلت له : ان الملك يود أن ينحى النحاس باشا عن رياسة الوزارة لكى يتولاها من هو أقدر منه على التفاهم مع الالمان ولكنه يخشى أن ينتقم منه الانجليز لأنه نحى « رجلهم » عن الحكم .. فهل فكر النحاس فى تأليف وزارة قومية قادرة على مواجهة الموقف ؟ أو فكر فى التنحى من تلقاء نفسه عن الحكم لكى يفسح الطريق أمام سواه من الذين ـ كما يقول الملك ـ لم يتورطوا فى تأييد الانجليز ؟

وقال فؤاد سراج الدين ان النحاس باشا يطلع الملك الآن أولا بأول على تطورات الموقف وكل شىء ولا يخفى عنه شيئا ..

أما الوزارة القومية فان رفعته لا يفكر فيها ولا يقبلها ولا يوافق عليها مطلقا لأنه يرى ان قبوله لها يناقض ما سبق أن قاله ضدها ..

ولقد دار البحث أمس فى اجتماع مجلس الوزراء فى دعوة الجبهة الوطنية « وهى الهيئة الممثل فيها زعماء جميع الاحزاب السياسية فى مصر وجماعة المستقلين والتى تولت المفاوضات مع انجلترا فى عام ١٩٣٦ وانتهت الى عقد المعاهدة المعروفة » .. ولكن اعترض على دعوة الجبهة المذكورة بما يأتى :

١ — فى دعوة الجبهة انتقاص من قدر ومكانة البرلمان القائم ، لأن دعوتها تعنى ان هذا البرلمان لا يمثل الامة التمثيل الكافى ..

٢ — جميع أعضاء الجبهة الوطنية موجودون فعلا اما فى مجلس الشيوخ واما فى مجلس النواب ما عدا أربعة أو خمسة ، منهم : اسماعيل صدقى ، واحمد ماهر ، والنقراشى. وهذان الاخيران لهما ممثلو حزبهما السعدى فى البرلمان ويستطيعون مناقشة الحكومة فى كل شىء ..

٣ — نفرض ان البرلمان قرر أمرا ، وقررت الجبهة أمرا آخر ضده ، فماذا يكون الحل والرأى ؟

مضى فؤاد سراج الدين فى كلامه أو فى بيانه فقال :

— ان النحاس باشا لن يستقيل ولن يتنحى من تلقاء نفسه عن الحكم ، واذا شاء الملك فليقله .. ولو انهم جميعا يتمنون ترك الحكم من كل قلوبهم ، أو على الاقل أن يشترك معهم سواهم فى تحمل المسئولية .. « وبدل ما نبقى ١٤ وزيرا نبقى حتى ١٤٠ » .. ولقد قال محمود غنام أمس فى اجتماع مجلس الوزراء : «ياريت يا اخواننا يريحونا من مسئولية الحكم .. أو حتى يعتقلونا .. »

وأما لماذا يرفض النحاس باشا أن يستقيل ، فذلك لأنه ظل ثلاثة اعوام أى منذ قيام الحرب يطالب بالحكم للأغلبية ـ أى له وللوفديين ـ بحجة ان البلد فى ظروف حرب خطيرة وان الاغلبية هى التى يجب أن تتولى الحكم وتمسك بالدفة وتقود السفينة الى بر الامان .. فهل اذا جد الجد وحل الخطر يتنحى الربان ويترك السفينة وسط الانواء ويهرب ؟..

واستطرد فؤاد سراج الدين يقول : انه اذا دخل الالمان مصر فان النحاس باشا سوف يقول لهم اننا دولة غير محاربة . وانه انما نفذ المعاهدة التى كان أمضاها منذ ست سنوات مع الانجليز وانه بذلك حفظ كلمة مصر وشرف امضائها فهو لم يفعل الا ما يفعله كل سياسى شريف

وسوف يقول لهم كذلك انه قاوم كثيرا من المطالب الانجليزية وأبى عليهم أن يجر مصر الى الحرب مهما كانت الظروف بعكس على ماهر الذى كان يريد غداة قيام الحرب أن تعلن مصر الحرب ضد المانيا .. والذى وعد الانجليز بعد ذلك بدخول مصر الحرب ضد دولتى المحور «اذا توغلت قوات المحور فى الاراضى المصرية مبتدئة» ..

وهذا الشرط قد تحقق وبناء عليه كانت مصر قد دخلت الحرب الآن ضد دولتى المحور لو كان على ماهر بقى حتى اليوم رئيسا للوزارة ..

ثم قال انه متعب من العمل وانه لم يستطع أمس حضور حفلة قران شقيقه ، بسبب انهماكه فى العمل وطول جلسة مجلس الوزراء التى لم تنته الا فى الساعة الثانية صباحا ..

ولما ذهب بعدها الى « بيت الفرح » وجد ان المصابيح قد أطفئت وكل شىء قد انتهى ..

وانه ينام الآن والتليفون الى جانبه ، لأن الحالة خطيرة خالص .. ثم نصحنى بأن أسحب أموالى من البنوك ..

وضحكت وقلت ان جيب «جاكتتى» يتسع لأموالى كلها وهنا قال :

ـ والله الواحد مش عارف يعمل ايه بفلوسه اللى فى البنوك ؟ فأشرت عليه بما كنت سمعته فى حجرة رئيس تحرير الاهرام انطون الجميل وهو انه يحسن بأصحاب الاموال « السائلة » أن يشتروا بأموالهم هـذه أسهم شركات صناعية أو أراضى لأنه اذا نجح الانجليز فى صد الالمان ارتفعت قيمة الاسهم .. واذا دخل الالمان مصر هبط سعر الجنيه الاسترلينى ـ والجنيه المصرى .. بالتبعية ـ الى الحضيض .. وارتفعت أسعار الاسهم بطبيعة الحال وبنسبة هذا الهبوط ..

وهز فؤاد سراج الدين رأسه ، وبدا عليه انه لم يفهم هذه النظرية الاقتصادية .. ولا أنا .. فهمتها ..

ألقى مستر تشرشل فى مجلس العموم خطبة طويلة نقلها البرق الى مصر.. حوالى منتصف الليل.. وكان مجلس الوزراء مجتمعا فى تلك الساعة ولكن الوزراء لم يطلعوا على الخطبة ولم يسمعوا بما جاء فيها مع أن فى غرفة سكرتيرية الدكتور محمدصلاح الدين جهازا خاصا لنقل برقيات روتر ..

ولو ان تشرشل كان أعلن مثلا عزم بريطانيـــا على الانسحاب من مصر لما كان وزراؤنا سمعوا بالنبأ ، ولظلوا يتناقشون فى الحالة وهم فى جهل تام بما يدور ..

وجاء فى خطبة تشرشل المذكورة :

١ ـ ان هذه المعركة بدأت فى يوم ٢٦ مايو ..

٢ ـ كان الانجليز على أتم استعداد ، وكانوا ينوون

البدء بالهجوم ولكن الالمان سبقوهم بأيام معدودة الى الهجوم ..

٣ ـ كانت قوة سلاح الطيران أقوى من قوة سلاح الطيران الالمانى بنسبة ٨ الى ٥ ، وقوة دباباتهم أقوى من دبابات الالمان بنسبة ٧ الى ٥ ومع ذلك خسروا المعركة وهزموا أمام الالمان ..

والنتيجة ان الالمـان لم ينتصروا بسبب تفوقهم فى السلاح أو فى العدد ، وانما انتصروا بسبب علو الروح المعنوية عندهم .. وبفضل قيادتهم البارعة الحكيمة..

وكانت قيادة الجيش البريطانى فى يد جنرال ريتشي الذى كان يدير المعركة بالتليفون تارة من القاهرة وتارة من الاسكندرية والى جواره صديقته المصرية الحسناء !

وسمعت من الاستاذ انطون الجميل ان تدهور الروح المعنوية وانعدام النظام فى صفوف جنود بريطانيا كانا بدون شك من أسباب الهزيمة وخسارة المعركة ..

وقص على طرائف ومنها :

ـ نقلا عن الاستاذ توفيق دياب ـ وقد أقسم صديقنا الكاتب الكبير على صحة الرواية ـ ان أحد الفلاحين فى مركز منيا القمح اشترى مدفعا رشاشا من الجنود البريطانيين

ـ نقلا عن الاستاذ مصطفى أمين ـ ان جنديا هنديا كان يسير فى الشارع وهو يدفع أمامه فردتى «كاوتش» للسيارة وقد عرضهما على صديقنا بدولارين اثنين ..

ـ نقلا عن الاستاذ حسين أبو الفتح ـ ان بعض الضباط البريطانيين أبدى استعداده لأن يورد له أى عدد يشاء من سـيارات الجيش البريطانى بسعر مائتى جنيـه للسيارة الواحدة ..

ـ نقلا عن الاستاذ حفنى محمود ـ ان سيارة حربية

حضرت مرة من السويس الى القاهرة لكى تشترى ورق ابر و « جلاس وجاتو » من جروبى ..

ـ انجنود البوليس الحربى البريطانى ـ أثناء طوافهم بالمحال العامة ـ طلبوا من بعض الجنود الذين كانوا يرقصون فى قاعة الرقص «بجروبى» أن ينصرفوا الى ثكناتهم لأن الساعة جاوزت التاسعة مساء ، ولكنهم رفضوا واستمروا فى الرقص .. !

وكلمت حسنين باشا بالتليفون وقلت له اننى أنوى السفر الى رأس البر لأستريح فيها بضعة أيام ، ولكنه صرخ فى وقال : انت اتجننت والا ايه ؟..

ثم نصحنى بعدم السفر الآن الى أن ينجلى الموقف ، وقال :

ـ يظهر أن العلمين كمان سقطت فى أيدى الالمان.. والانجليز ينوون تنفيذ خطة التدمير الشامل التام ومنها نسف الكبارى وقد تقطع خطوط المواصلات فى ساعات معدودة .. فكيف تسافر ياسى محمد الى رأس البر ؟

عدلت عن السفر الى رأس البر ..

ولما كان مسكنى فى الزمالك ، وقد يدمر الانجليز الكبارى وهكذا تقطع المواصلات بين الجزيرة والقاهرة فقد رأيت ان من الخطر العودة الى مسكنى ، ومن ثم ذهبت بحقائبى الى فندق فى المدينة وحجزت لى غرفة فيه ..

مررت على جريدة الاهرام وقابلت مصطفى أمين الذى قال لى ان مستر كيرك وزير أمريكا المفوض ورجال المفوضية غادروا القاهرة.. وان اشاعة سفر أمين عثمان باشا صحيحة لأنه صحب أسرته الى فلسطين ثم عاد اليوم

وانه ـ أى مصطفى أمين ـ قابل جنرال ستون أمس وان ستون قال له ان النحاس باشا أعصابه تعبانة ..

فقد اجتمع به أمس وكان معهما السفيرمايلزلامبسون ومستشار السفارة سمارت . وقد تكلم السفير ربع ساعة ، وتكلم هو ـ أى ستون خمس دقائق ـ وتكلم سمارت دقيقتين ـ أما النحاس باشا فقد تكلم ثلاث ساعات ..

وقال جنرال ستون ان تدمير المنشآت أوعدم تدميرها مسألة تبت فيها وزارة الحرب وان القيادة هنا لا تملك حق اتخاذ قرار فيها .. ثم قال انهم اذا كانوا وعدوا النحاس باشا بشيء ما منذ يومين فان الامور تتطور من يوم الى يوم ، والوعد الذى يعطى فى ضوء حالة ما فى يوم ما قد يجوز نقضه فى ضوء حالة جديدة ..

وقال لى مصطفى أمين كذلك : ان سفيرنا فى لندن حسن نشأت باشا أرسل تلغرافا يقول فيه : انه نظرا لاحتمال دخول قوات المحور مصر وانقطاع الاتصال بينه وبين مصر ، فانه يطالب بارسال خمسين ألف جنيه لتغطية نفقات السفارة لمدة عامين .. وقد أرسل اليه المبلغ المطلوب ..

وساد الذعر فى الاوساط المالية ، وهرع الناس الى البنوك يسحبون أموالهم المودعة فيها.. ويظهر ان البنك الاهلى تأثر أكثر من سواه وقد لجأ مديره الى وزير المالية ليجد له مخرجا من هذا المأزق ..

وقال لى أحد موظفى وزارة المالية ان وزيرها كامل صدقى باشا أشار على مدير البنك الاهلى ـ ولكن بصفة غير رسمية ـ أن يوعز الى بعض موظفى البنك بالانقطاع عن العمل .. أو بالتغيب بسبب المرض .. أو حتى بالاضراب عن العمل .. لكى يتخذ من غيابهم وقلة عدد الموظفين الموجودين عذرا يبرر به عدم استطاعته صرف جميع المبالغ المطلوب سحبها من البنك ..

وأنقل عن مذكراتى بتاريخ السبت ٤ يولية ١٩٤٣ :

قابلت أحمد الوكيل صباح اليوم فى «جروبى» وقلت له : « قل لى بقى ايه الاخبار اللى ما قالهاش مصطفى باشا للوزراء ؟.. »

فقال : الانجليزطلبوا منه أن ينتقل معهم هو والوزارة ولكنه رفض وقال لهم : انه قاعد فى البلد واللى يجرى على البلد يجرى عليه .. فتضايق الانجليز منه وبدأوا معه سياسة « القريفة » ..

وذهبت الى مكتبى فى محله « آخر ساعة » فوجدت انطون الجميل ينتظرنى ، ورويت له ما سمعته فقال : ان الخبر صحيح وان الوزراء الذين تصدوا لنفى الخبر اما انهم كاذبون واما انهم لايعرفون الحقيقة لأن مصطفى النحاس أخفاها عنهم ، والحقيقة هى ان السفير البريطانى عرض الأمر بلباقة على الملك فاروق فقال له : ان الخطر محتمل وان الالمان قد يدخلون مصر وفى هذه الحالة ، ربما فكر جلالة الملك فى الانتقال الى مكان آخر ، فاذا استقر رأى جلالته على هــذا فانهم — أى الانجليز — مستعدون لأن يقدموا لجلالته جميع التسهيلات ويضعوا خدماتهم تحت تصرفه ولجلالته أن يختار المكان الذى يشاء .. وقد رد فاروق شاكرا ، ولكنه قال : انه لا ينوى مغادرة مصر ..

وفاتح السفير البريطانى النحاس باشا فى نفس الموضوع فقال له النحاس : لا .. لن تخرج الوزارة من مصر .. وعلى كل حال فانها تحت أمر جلالة الملك وما يريده سوف أنفذه ..

وهو رد بارع من النحاس باشا لأنه أولا أثبت ولاءه واخلاصه للملك .. وثانيا ألقى المسئولية على الملك فاروق

ثم تحدثنا ـ انطون الجميل وانا ـ عمن عساه يكون «رجل الساعة» الذى يستطيع مواجهة الموقف بأخطاره واحتمالاته والذى يمكنه اعداد العدة لكل احتمال ..

وقال انطون بك : إنه يعتقد ان اسماعيل صدقى باشا هو أقدر الزعماء جميعا على مواجهة الموقف وانه «رجل الساعة» لأنه أولا معروف بصداقته الطويلة للسياسة الانجليزية ومع الساسة الانجليز ..

ولكنه لم يتورط معهم أثناء الحرب .. ولأنه ثانيا أبدى نوعا من الميل أو الصداقة لالمانيا فى بداية الحرب. وهو ما أكسبه ثناء الاذاعة الالمانية دون أن يفقده حسن ظن الانجليز به ..

ومضى انطون الجميل يقول : انه لو كان اسماعيل صدقى على رأس الحكومة الآن لاستطاع أن يجلو الموقف من كل الوجوه ولكان أرسل بصفته رئيس الحكومة المصرية رسالة الى روميل يشرح فيها موقف مصر المستقلة من هذه الحرب ومن الوجهة الدولية ، ثم يطلب منه أن يحدد موقفه ونوايا حكومته ـ المانيا ـ تجاه مصر.

وكان النحاس باشا قد صرح فى البرلمان وفى مجالسه وأمام أنصاره أكثر من مرة ان الحالة مطمئنة ، ثم تبين بعد ذلك ان الحالة ليست مرضية ولا هى تدعو الى الاطمئنان ، وهذا من وجهة النظر الانجليزية . وظن كثيرون ان النحاس باشا كذب على الامة وخدعها وخدع البرلمان ، أو على الاقل انه ضحية الانجليز الذين كذبوا عليه وخدعوه . ولكنى بت أعتقد ان الامر ليس كذلك . وان الانجليز لم يكذبوا على النحاس ولم يخدعوه .. وان الحقيقة هى أنهم انفسهم كانوا مخدوعين ..

وهذه هى الحقيقة كما وضحت من خطبة مستر

تشرشل التى قال فيها بصراحة : ان السرعة الخاطفة التى زحف بها جنرال روميل أفسدت على القيادة البريطانية خططها فقدكان الانجليز يحسبون أنهم بانسحابهم مسافة مائة وخمسين ميلا سوف يكسبون أسبوعين أو ثلاثة أسابيع يرتاحون فيها ويجمعون قواهم ويعيدون تنظيم قواتهم ثم يعودون ويكرون على قوات روميل ..

ولكن روميل دفع قواته وراءهم بسرعة خاطفة ولم يترك لهم يوما واحدا للراحة .. ثم فوجئوا بوجوده أمامهم عند العلمين بعد خمسة أيام فقط من بدء انسحابهم .. أى انه استطاع أن ينقل جيشه وجميع معداته وأسلحته مسافة مائة وخمسين ميلا فى خمسة أيام!

هذا ما أعلنه تشرشل فى خطبته ، ومن هنا نفهم لماذا كان الانجليز متفائلين ومطمئنين الى الحالة . ولكن تطور الموقف بسرعة زحف روميل .. قلب خططهم واطمئنانهم رأسا علي عقب .. وهنا اضطروا أن يطلعوا النحاس باشا على الحقيقة أو على جانب منها وأن يصارحوه بأن الحالة ليست مرضية ولا تدعو الى الاطمئنان .. وان الخطر المحتمل هو دخول قوات المحور الاراضى المصرية وكانت نقطة التحول من الاطمئنان الى القلق هى طلبهم من النحاس الخروج معهم هو ووزرائه ..

وقد لاحظ كثيرون انه بينما جميع طبقات الشعب حتى أولئك الذين عرفوا بميولهم نحو المحور ـ المانيا وايطاليا ـ فى حالة فزع وقلق من المستقبل المجهول .. ومن الاخطار التى سوف تتعرض لها مصر فى فترة الانتقال من احتلال بريطانى الى احتلال المانى ايطالى . ومن انسحاب جيوش مدحورة ودخول جيوش ظافرة .. فان بعض المواطنين الشرقيين فرحون لا يخفون سرورهم ..

وسر فرحهم ان الفرصة قد حانت أخيرا للتخلص من منافسيهم فى أسواق المال والتجارة والسمسرة فى البورصة .. وهم اليهود ..

ولقد استغل هؤلاء الشرقيون حالة الذعر والهلع التى أصبح فيها اليهود واشتروا منهم بضائع كثيرة بأسعار لا تزيد كثيرا على سعر التراب .. وبعد أن كانت أسعار بضائع كثيرة بدأت تهبط بسبب كثرة البضائع التى أخرجها اليهود من مخازنهم وطرحوها فى السوق عادت الاسعار وارتفعت من جديد بعد أن انتقلت هذه البضائع الى أيدى اخواننا الشرقيين هؤلاء ..

أما المصريون أبناء البلد فقد أضاعوا الفرصة وأمضوا الوقت فى تبادل الاخبار والاشاعات والنكات على حساب الانجليز تارة .. وتارة على حساب الالمان ..

وفى المساء قابلت مصطفى أمين فى جريدة الاهرام ، ودار الحديث عما عسى أن يحدث للوزارة اذا دخل الالمان مصر ؟ ..

وقلت ان النحاس باشا يرفض أن يستقيل لأنه يعد استقالته الآن فرارا من الميدان .. وان الملك لايريد أن يأخذ على نفسه مسئولية اقالة النحاس باشا لأنه يخشى الانجليز فى حالة ما اذا نجحوا فى وقف زحف الالمان ، وردوهم عن مصر .. كذلك لا أظن ان الملك فى حالة دخول الالمان سوف يختار من تلقاء نفسه على ماهر باشا رئيسا للوزارة لأنه سوف يؤيد بهذا الاختيار صحة ماشاع عنه وهو انه ــ فاروق ــ ضالع مع الايطاليين والالمان .. وقد يحاسبه الانجليز على هذا اذا قدر لهم النصر وعادوا وطردوا الالمان من مصر .. ولهذه الاسباب كلها أصبحت أرى رأى انطون الجميل وهو ان الملك سوف يختار

اسماعيل صدقى رئيسا للوزارة بعد دخول الالمان ..

ولكن مصطفى أمين لم يوافقنى على هذا الرأى ، وقال ــ بل أكد ــ ان على ماهر هو رئيس الوزارة القادمة ، وان الأمر متفق عليه منذ أسابيع وان التصريح المشترك الذى أذاعته سلطات الاذاعة فى برلين وروما وبارى ، وأعلنت فيه ان قوات المحور ــ المانيا وايطاليا ــ التى تدخل مصر سوف تدخل لكى تحرر مصر من استعمار بريطانيا وتعطينا استقلالنا كاملا وانه ليس عند المانيا أو ايطاليا أية نية للانتقاص من استقلالنا ..

وقال مصطفى أمين ان هذا التصريح الذى اشتركت فى صياغته واعلانه حكومتا المانيا وايطاليا قد تم بفضل مساعى مراد سيد احمد باشا الصديق الحميم لعلى ماهر باشا والذى يقيم منذ بداية الحرب فى مدينة جنيف فى سويسرا « وكان سعادته وزيرا مفوضا لمصر فى روما عند اعلان الحرب وقد طلبت منه الحكومة أن يعود الى مصر ولكنه رفض العودة وآثر أن يقيم فى أوروبا متنقلا بين ايطاليا وسويسرا وألمانيا .. »

ثم قال مصطفى أمين ان على ماهر باشا ثائر هائج فى المعتقل وانه يقول انه عندما يتولى الحكم سوف يشنق مصطفى النحاس .. وفى هذا يقول : « ولن أحاكمه أمام محكمة عسكرية ، بل سوف أحاكمه أمام محكمة مشكلة من مستشارى النقض والابرام .. وتهمته الخيانة العظمى » ثم يصرخ ــ وكان رفعته مريضا بأسنانه ــ يصرخ : «اسنانى ، اسنانى ياعالم ، بس ابن الـ .. حابسنى ليه؟»

وكان فريق من الرأى العام يعطف يومئذ على على ماهر باشا ويعد اعتقاله عملا غير قانونى .. وان النحاس باشا اعتقله نزولا على ارادة الانجليز ..

والواقع ان السلطات البريطانية كانت طلبت من كل حكومة مصرية تولت الحكم بعد يونية عام ١٩٤٠ اعتقال على ماهر باشا. بسبب ميوله المحورية ونشاطه ونشاط بعض أصدقائه العدائى ضد الحلفاء .. وقد تقدمت بهذا الطلب فى وزارة حسن صبرى باشا .. وفى وزارة حسين سرى باشا .. ولكن حسن صبرى وحسين سرى رفضا أن يعتقلا على ماهر ، واستطاع الاثنان فى كل مرة أن يسويا الأمر وأن يقنعا على ماهر باشا بمغادرة القاهرة والاقامة فى قصره الاخضر فى الريف .. ولكن رفعته كان يعود دائما الى القاهرة بعد بضعة أيام أو بضعة أسابيع

أما صديقه اللواء صالح حرب باشا فقد عمل بنصيحة الحكومة وترك القاهرة وأقام فى اسوان ..

زرت حسنين باشا فى داره ، وبدأت الحديث فقلت : اما ان الوزراء يكذبون ، واما ان النحاس باشا لايطلعهم على الحقائق وذلك ان اثنين منهم أكدا لى انه ليس صحيحا ان الانجليز طلبوا من النحاس باشا انتقال الوزارة معهم الى بلد آخر ، بينما سمعت من مصدر موثوق بصدق أخباره ان الخبر صحيح .. فما هى الحقيقة ؟

وقال حسنين باشا : ان الخبر صحيح . وقص على تفاصيل كثيرة ومنها الحديث الذي دار بين الملك فاروق والسفير البريطانى مايلزلامبسون فى هذا الموضوع وكيف ان فاروق رفض أن يغادر الاراضى المصرية ... الخ..

ومضى حسنين يقول :

ـ ولما عرض النحاس باشا الموضوع على الملك قال : أولا انه رفض طلب الانجليز وانه قال للسفير ان الوزارة لن تغادر مصر وانهم «قاعدين» مهما حدث .. ثم عاد وقال ثانيا : « وعلى كل حال لا أريد أن أؤثر على جلالتكم

أقل تأثير فيما اذا رأيتم رأيا آخر » ..

وتساءل حسنين ما معنى هذا ؟ ثم أليس النحاس باشا رئيس الحكومة وكبير مستشارى الملك ومن واجبه أن يقول رأيه صريحا واضحا فى مثل هذه المواقف الخطيرة فما معنى تردده وتراجعه .. مع انه سبق الاتفاق مع « رفعته » على عدم خروج الملك والوزارة من مصر .. اللهم الا أن يكون رفعته يريد جس نبض الملك و«توقيعه» ليرى هل هو لايزال مصمما حقيقة على البقاء فى مصر أو هو يفكر فى الهرب من الانجليز ومغادرة مصر سرا الى بلد آخر .. ولمصلحة من هذا المكر من جانب النحاس باشا؟

وهنا قلت لحسنين باشا : اننى لم أفهم أين هو « مكر » النحاس باشا ؟

وازداد حسنين حدة وانفعالا وقال :

ـ المكر ياسى محمد فى قوله للملك انه لايريد أن يؤثر عليه فى حالة ما اذا كان له رأى آخر .. يعنى يا جلالة الملك أنا زى أبوك .. قل لى ولا تخبيش على .. اذا كنت عايز تهرب من الانجليز وتخرج من البلد قل لى وأنا أساعدك .. أهو ده «المكر» ياسيدى .. عاوز يعرف علشان يجرى للانجليز ويقول لهم : الحقوا الملك فاروق راح يهرب من مصر ..

وأنكرت على حسنين باشا رأيه هذا فى النحاس باشا وقلت له : « مش للدرجة دى يا باشا حرام عليك .. »

وقال : حرام على ؟ يظهر انك عبيط .. ان النحاس باشا أصبح اليوم فى قبضة الانجليز تماما .. ولقد قاوم فى أول الأمر شيئا ما ولكنه انتهى بالاستسلام لهم استسلاما تاما والفضل فى ذلك لأمين عثمان باشا ..

ثم قال حسنين :

ــ حدث مرة فى احدى جلسات مجلس الوزراء وكانت المعارك الحربية بدأت تتطور من سيىء الى أسوأ ، أن قال النحاس باشا للوزراء : « يظهر ان الانجليز ينوون عمل شىء خفيف من التدمير » وصرخ الوزراء وصاحوا فى وجهه : «كيف؟» وهنا تراجع رفعته وقال : ده اللى فهمه وجايز يكون غلطان. لكن الوزراء قالوا له : « لازم تستدعي بكره السفير والجنرال ستون وتناقشهما وتأخذ منهما وعدا صريحا بعدم تدمير أى شىء .. »

واستطرد حسنين يقول :

ــ وكان فى وسع النحاس باشا أن يذهب الى البرلمان ويواجهه بالحقيقة ويطلعه على كل ما يعرفه عن نوايا الانجليز.. أو على الاقل لا يكمم البرلمان ولا يخدعه ولا يضلله بالأكاذيب بل يتركه يتكلم ويثور ويحتج.. ويتخذ من ثورة البرلمان سندا له يستند اليه فى أحاديثه ومفاوضاته مع السلطات البريطانية فيقول لها مثلا ان البرلمان وهو من أنصار الوفديين ــ هائج ثائر ضده ، فكيف يحكم ونفس أنصاره وشيوخه ونوابه ثائرون ضده .. وكان فى وسعه أن يطلب منهم ضمانات مطمئنة يواجه بها البرلمان ويهدىء بها من ثورة البرلمان .. ولكن رفعته لم يفعل بل فعل العكس فقد ذهب الى البرلمان وألقى بتصريحات مطمئنة وهو يعلم انها غير صحيحة .. وان الانجليز ينوون تنفيذ خطة التدمير التام .. وعلى أساس هذه التصريحات الكاذبة المطمئنة نال رفعته ثقة البرلمان بينما كانت المصلحة كل المصلحة هى فى أن يخرج من البرلمان مدحورا لكى يستطيع أن يوقف الانجليز عند حدهم .. ولكن يظهر ان امين عثمان سحر النحاس وخدره تماما وأصبح يفعل به ما يشاء ..

ثم قال حسنين ان بين ما ينوى الانجليز عمله ـ عند انسحابهم ـ اطلاق الماء المالح فى ترعة المحمودية لكى تغرق جميع الاراضى الزراعية الواقعة على ضفتيها . وهذه العملية اذا أريد اصلاح الضرر الناشىء عنها تكلف مصر أربعين مليونا من الجنيهات ..

ووصف حسنين باشا مقابلة له مع النحاس وروى الحديث الذى دار بينهما ، قال :

ـ قال النحاس باشا : ان الانجليز خانوه وكذبوا عليه وحنثوا فى عهودهم معه ، وأردت أن أستدرجه فى الحديث ، فقلت له : انني أستبعد يا رفعة الباشا صحة هذه الاشاعات ، وان فى نية الانجليز تدمير كذا وكيت.. ولكنه صاح فى وجهى : « بل هى الحقيقة يا حسنين باشا .. التدمير التام والخراب التام .. »

فقلت له : سوف نسجل احتجاجنا ..

ثم سألته : وبعدين ؟..

قال : وبعدها يفعل الله بنا ما يشاء ..

واتهم حسنين باشا وزير الاشغال عثمان محرم بأنه أمر رجاله سرا بمساعدة الانجليز فى تنفيذ خططهم ..

ثم قال حسنين : انه لم يأت يوم على مصر كانت فيه محتلة احتلالا تاما كما هى الآن . فقد كان الانجليز يحاولون منذ شهور الحصول على نصيب فى حق حراسة بعض الطرق والمنشآت ولكن طلباتهم فى هذا الشأن كانت ترفض دائما .. ولكنهم الآن وبموافقة النحاس باشا قد تغلغلوا فى صميم الريف وأصبح كل شىء فى مصر فى قبضة يدهم فاذا أزفت الساعة التى يتبينون فيها انهم خسروا المعركة فانهم سوف يدمرون كل شىء .. وكل شىء الآن تحت أيديهم وفى حراستهم .. وليس لمصر يومئذ أن

تعترض لأنهم سوف يقولون ان ما تم قد تم بالاتفاق مع رئيس الحكومة ..

وقال حسنين : انه تحدث مع بعض أصـــدقائه من الانجليز فى هذا الموضوع فقال لهم : « ثقوا اذا دمرتم كل هذا فسوف أكون انا أول من يهب لقتالكم لأنكم تكونون قد خربتم بلدى خرابا تاما . واذا دخل الالمان مصر فسوف يهرع كل مصرى لاستقبالهم ، وليطلب منهم أن يسمحوا له بالقتال فى صفوفهم ضدكم أنتم الذين دمرتم بلده . .واذا قدر لكم أن تعودوا الى مصر فسوف يهب المصريون لصدكم وقتالكم » ..

ومضى حسنين يقول : انه اذا نفذ الانجليز خططهم فان النتيجة هى خراب الدلتا أى الوجه البحرى . ولقد قال لهم قائد من خيرة قواد الجيش الفرنسي وهو الجنرال كاترو : ان كل ما يهمهم فى مصر هو قناة السويس .. وان خط الدفاع عن قناة السويس ليس فى الصحراء . بل على ضفاف النيل وفى الدلتا .. ذلك لأن الدلتا تعد من الوجهة الحربية هبة لا تقدر للقائد الذى يدافع عنها اذ انها بعشرات القنوات والمصارف التى تشقها وتخترقها طولا وعرضا .. وبأرضها الهشة الطرية وبقناطرها التى يمكن تدميرها عند الحاجة .. تعطل وتعوق سير الجيش الذى يهاجم ويحاول التقدم .. وهكذا تصبح الدلتـــا ميدانا للمعارك .. ويحل الخراب وويلات الحرب من كر وفر بكل بلدة .. وكل قرية فيها ..

وهنا قلت لحسنين باشا :

ـ اذن ليس هناك أمل الا فى ثورة تنفجر فى البرلمان ويقوم معها الشعب فيضطر النحاس باشا والانجليز أن يتمهلوا ويراجعوا موقفهم ويترددوا فى هذه الخطة ..

قال : ربما كان هذا ممكنا منذ عشرة أيام قبل أن يضع الانجليز أيديهم على كل شيء .. كان هناك أمل فى أن يتمهل الانجليز وأن يحجموا عن التدمير أو لو أن الجيش المصري كان هو الذى تولى حراسة المنشآت.. لأن الانجليز كانوا يفكرون ساعتها طويلا قبل تدمير هذه المنشآت والمجازفة بوقوع تصادم بينهم وبين الجيش المصرى . أما الآن فقد ضاعت الفرصة ولم يبق هناك ما يخشاه الانجليز لأنهم هم الذين يحرسون ويتحكمون فى جميع المنشآت ..

وقال حسنين :

ـ لقد قال لى النحاس باشا أثناء حديثى معه : « تصور ياحسنين باشا ان الانجليز عاوزين يدافعوا عن القاهرة .. من النوافذ والبلكونات والسطوح ، بالمدافع الرشاشة والقنابل اليدوية ، وأناقلت لهم : وفايدة ده ايه؟

وتنهد حسنين وهو يقول :

ـ اذا قدر لك أن تكتب يوما عن هذه الايام فاكتب وقل ان شيوخ البلد ونوابها قيل لهم ان هناك خطرا يهدد بيوتهم بالحرق، ويهدد أراضيهم بالغرق ويهدد ريف مصر وقرى مصر بالدمار .. ولكنهم سكتوا خوفا على الاربعين جنيها التى تصرف لهم من البرلمان ..

ووقفت أتهيأ للخروج ، وهنا سألنى حسنين باشا وهو يسير معى الى الباب :

ـ هل تظن ان هناك خطرا على الملك ، أن يأخذه الانجليز معهم رغم أنفه ؟ ..

قلت : لا أظن ان الغباوة تصل الى هذا الحد بهم ، ثم ما الفائدة التى تعود عليهم ؟ ..

قال : ليس الخطر فى انه ملك ، ولكن الخطر فى ان

مصر وملكها لهما مكانة فى العالم العربى والعالم الاسلامى وقد يخشى الانجليز من أن يستغل الالمان هذه المكانة ويبنوا عليها دعاية واسعة فى مصلحتهم وضد الانجليز. ولهذا قد يفكر الانجليز فى أن يأخذوا الملك معهم .. ولو بالقوة لا ليفيدوا منه ، ولكن لكى يحرموا الالمان منه .. ومن استغلاله فى دعايتهم ..

وأنقل من مذكراتى بتاريخ ٦ يولية عام ١٩٤٢ :

عقد مجلس النواب جلسة سرية ، وبعد انفضاضها اجتمع الوفد وأصدر قرارا بفصل مكرم باشا وراغب حنا بك من الوفد ومن الهيئة الوفدية ..

وقال لى فؤاد سراج الدين انه قرار حكيم وعادل وان الرأى العام يؤيده بل كان يطالب به ، وان المعارضة نفسها استهجنت موقف مكرم عبيد باشا ، فبينما الحرب على أبواب مصر والحالة تزداد خطورة ساعة بعد ساعة .. والمعارضة نفسها تنسى خلافاتها مع الوزارة وتؤيدها فى موقفها فى الدفاع عن البلاد.. يقف مكرم باشا فى مجلس النواب يطلب المناقشة فى الاستثناءات وفى سوء استعمال سيارات الحكومة ويقول ان أسبوع البر «مشروع زينب هانم الوكيل» ضريبة من غير قانون .. ثم يتهم الوزارة بالتفريط فى حقوق البلاد ..

***

عن مذكراتى بتاريخ الثلاثاء ٧ يولية عام ١٩٤٢ :

قابلت فى جريدة الاهرام الاستاذ عبد الحميد عبد الحق وزير الشئون الاجتماعية . وعند انصرافنا دعانى للركوب معه فى سيارته لأنه يريد أن يحدثنى فى أمر ما.

ولقد تحدث عن حيرته وأى موقف ينبغى له أن يتخذ بين صديقه القديم مكرم عبيد وبين زعيمه ورئيسه مصطفى النحاس ؟ ..

وأفاض طويلا فى الحديث عن صداقته القوية لمكرم عبيد وكيف ان ضميره غير مستريح وقال ان كثيرين كانوا ينتظرون منه أن يقف بجانب مكرم عبيد باشا وأن يؤيده ضد النحاس ولكنه اختار موقف الحياد بين الاثنين..

ودلل على حياده بأنه منذ خروج مكرم من الوزارة لم يزر النحاس باشا فى داره أو فى مكتبه وانه اعتذر عن عدم حضور جميع الحفلات التى أقامها الشيوخ والنواب للنحاس باشا وذلك لكيلا يسمع طعنا أو سبابا فى صديقه مكرم عبيد ..

وانه انقطع كذلك عن زيارة مكرم باشا حتى لايسمع اى طعن أو سباب فى مصطفى النحاس ..

وانه منصرف الآن الى تأدية عمله كوزير ليس الا ولا شأن له بالخلاف وأسباب الخلاف بين النحاس ومكرم.

ثم سألنى : هل أنصح له بالاستقالة من الوزارة ؟

قلت : كلا ..

ثم سألته : اية فائدة بل أى معنى يكون لاستقالتك ؟ هل تريد أن تستقيل تضامنا مع مكرم باشا لأنه خرج من الوزارة ومن الوفد ؟.. ولكنك قبلت أن تدخل الوزارة بعد أن خرج منها مكرم عبيد .. ثم انت دخلت الوزارة وأنت تدرك تماما خطورة الخلاف بين النحاس ومكرم ، وان الانفجار لابد أن يقع .. ومع ذلك قبلت المنصب ودخلت الوزارة وقبولك معناه انك كنت تنوى البقاء مع مصطفى النحاس حتى ولو خرج مكرم عبيد .. واذا استقلت اليوم فان الناس ستقول انك دخلت الوزارة لكى تحصل على لقب «وزير سابق» ثم تخرج منها فى أول فرصة .. وهذا ما لايرضاه أصدقاؤك ، ونصيحتى أن تبقى فى الوزارة تؤدى ــ كما قلت ــ عملك كوزير ليس الا .. ثم ان للنحاس باشا حقا عليك فقد وثق بك

واختارك وزيرا معه وأنت قبلت فلا «تخلو» به هكذا..

قال : انت غلطان ، فالنحاس باشا لايحبني .. وهو أدخلني الوزارة لكي يبعدني عن مكرم ..

سألته : ولماذا قبلت المنصب اذن مادام هذا هو رأيك؟

قال بعد تردد ، وبابتسامة باهتة فيها استحياء :

ـ الحقيقة انني لم أكن أريد دخول الوزارة ولكن بعض من يهمني أمرهم من أقرب الناس الى ألحوا على بقبول المنصب لأنهم يريدون أن يروني وزيرا ..

وقال الاستاذ عبد الحميد عبد الحق انه لا يستطيع كسب ثقة أو حب النحاس باشا لأن النحاس باشا يحب التملق وهو ـ عبد الحميد ـ يكره أن يتملق أحدا .. ثم قال : ان صبرى أبوعلم ، ومحمود غنام ، يزوران النحاس باشا دائما ويتملقانه ، ومن هنا استطاعا أن يكسبا ثقته وحبه ..

ثم قال ان صبرى أبوعلم لايجيد الخطابة كما يجيدها هو ، وان فؤاد سراج الدين لايعرف كيف يتكلم ، ومثله محمود غنام.. أما هو ـ عبد الحميد عبد الحق ـ فانه برلماني متمرن كما أثبت فى مجلس النواب أيام كان زعيما للمعارضة «مابين عامى ١٩٣٨و١٩٤٢» وان فى امكانه أن يعرض فى البرلمان وجهات نظر الوزارة على أفضل وجه ولكنه مضرب عن هذا اكراما لخاطر مكرم باشا .. كما انه تغيب عمدا عن حضور جلسات البرلمان التى كان يتوقع فيها اصطداما بين النحاس ومكرم ..

وأوصلني بسيارته الى مسكني وقال وأنا أغادر السيارة :

ـ فكر كمان ، وابقى قل لى أعمل ايه ؟ ..

ويظهر أن النحاس باشا أصبح يخاف أو يغار على رجاله من الملك فاروق ، فقد قابلت «رفعته» اليوم فى

مكتبه برياسة مجلس الوزراء لكى أشكو اليه من عنت الرقابة .. وقبل أن أدخل عليه جلس معى الاستاذ ابراهيم فرج وتحدثت اليه فى موضوع الرقابة وكيف ان بين الاخبار التى منعت الرقابة نشرها خبرا عن « عطف جلالة الملك على وزير التجارة الاستاذ محمود غنام »..

وهنا ابتسم ابراهيم فرج وقال : ان النحاس باشا نفسه هو الذى أمر بمنع نشر الخبر المذكور ..

وأبديت دهشتى ... وسألته : لماذا ؟ !

وتردد طويلا، ثم قال كلاما ملفوفا غامضا ولكنى فهمت منه أن النحاس باشا غير راض تماما عن محمود غنام ، وألححت على ابراهيم فرج أن يطلعنى على السبب ..

وأخيرا قال : انه لما ذهب محمود غنام وقابل الملك فاروق ليرفع اليه فروض الشكر على تعيينه وكيلا لوزارة الداخلية استبقاه الملك فى حضرته ثلاثة أرباع الساعة.. وذكرت الصحف ان الاستاذ غنام كان موضع عطف المليك وسكت ..

قلت : وماذا فى هذا ؟ ..

قال : ان مصطفى النحاس أصبح يشك فى كل شىء ويتوجس شرا من كل شىء بعد خلافه مع مكرم باشا.. وما قيل وما نشر يومئذ عن عطفه على مكرم باشا ، ثم ماحدث بعد ذلك وكيف كتب مكرم باشا فى الاهرام مقالا رفع فيه الملك الى السماء ..

ولهذا السبب أصبح مصطفى باشا يخاف من تأثير هذا العطف الملكى على رجاله .. وهو لايريد ان يخسر محمود غنام كما خسر من قبله مكرم عبيد ..

وضحك الاستاذ ابراهيم فرج .. وضحكت معه ..

ولكن النحاس باشا عاد بعد ذلك وعين محمود غنام

وزيرا للتجارة .. لا حبا ولا ثقة فيه .. ولكن لكى يبعده عن مكرم عبيد ..

تماما كما فعل مع عبد الحميد عبد الحق ..

***

قابلت فى ميدان سليمان باشا مستر نابيير الملحق بادارة النشر والصحافة بالسفارة البريطانية وبعد تبادل التحية انطلق يتكلم ضد النحاس باشا وزينب هانم بنفس اللهجة التى يتكلم بها واحد من خصوم الوفد.. وأفاض فى الحديث عن فضائح أقارب النحاس وأصهاره ، واستغلالهم لنفوذه فى الحصول على امتيازات وعقد صفقات .. ثم قال :

ـ لماذا لايشلح الوفديون النحاس باشا من زعامة الوفد ؟ ولماذا لا يعود احمد ماهر وأصحابه الى الوفد وينتخبون احمد ماهر رئيسا للوفد ؟ ..

ثم قال انه يسلم بأن مكرم عبيد لايستطيع أن يجمع حوله كلمة الامة ولكن احمد ماهر يستطيع وأن النحاس باشا أخذ يفقد نفوذه ..

وسألته : هل هذا هو رأيه الشخصي أو رأى السفارة ؟

ونظر الي طويلا ، ثم هز كتفيه .. وسار فى طريقه ، وأثناء حديثه معى كانت رائحة الخمر تفوح من فمه ..

***

كلمت فؤاد سراج الدين بالتليفون وقلت له اننى أسافر اليوم الى رأس البر ورجوته اذا تطور الموقف الى أسوأ وأصبحت الحالة خطيرة حقيقة أو خيف من تدمير المواصلات أن يكلمنى بالتليفون فى رأس البر ..

ولكنه قال : لا .. بلاش الكلام فى التليفون وسوف أرسل لك فى هذه الحالة تلغرافا بامضاء جميل أقول لك فيه : « احضر حالا بسبب القضية » وأنت تفهم ..

وسافرت بالسيارة الى رأس البر ..

« نقلا عن مذكراتي بتاريخ الاثنين ٢٠ يولية » :

كنت كلمت حسنين باشا بالتليفون من رأس البر لكى أسأله عن تطورات الموقف وسألنى هو متى اعود الى القاهرة ، وفهمت من لهجته انعنده شيئا يريد أن يقوله لى ، وعدت امس من راس البر ، وكلمته بالتليفون صباح اليوم ، فدعاني لمقابلته فورا ..

وقابلته فى داره وبقيت معه نحو ساعة ..

بدأ حديثه معي بالانجليزية بسبب وجود أحد الخدم معنا فى حجرة الاستقبال ، فقال ما معناه : ان الانجليز قد لعبوا أوراقهم بمهارة .. وعرفوا كيف يلعبونها ..

ثم مضى يقول انهم لم يكونوا يستطيعون أن يحصلوا من أى رئيس وزارة مهما كان ضالعا معهم على اكثر مما حصلوا عليه من مصطفى النحاس.. وتبدو مهارتهم فى انهم حصلوا من النحاس باشا على كل مايريدون وفى نفس الوقت جعلوه يعتقد انه هو الذى «دحلبهم» ومكر بهم وحصل منهم على مايريد.. أوعلى الاقل لم يعطهم شيئا

واستطرد حسنين يقول :

ـ وهكذا اذا قدر لهم أن ينتصروا على الالمان ، فانهم سوف يمكنهم أن يقسموا للنحاس بالطلاق «كذا» على انهم لم يفكروا أبدا فى القيام بأى تدمير بوادى النيل.. أما اذا قدرت عليهم الهزيمة فانهم سوف يكونون فى حل من تدمير كل مايريدون بحجة الضرورات العسكرية ، وكذلك بحجة انهم قد اتفقوا على ذلك مع رئيس الحكومة مصطفى النحاس .. أوعلى الاقل بحجة انهم لم يعدوه بشىء مخالف أى لم يتفقوا معه على عدم التدمير ..

ويومها سوف يقول النحاس ان الانجليز قد خانوا كلمتهم معه وحنثوا بوعدهم له .. ولكن ما الفائدة ؟..

ثم مضى يقول :
ـ ولقد كان المفهوم ان دفاعهم ينتهى عند العلمين اى عند الحدود ، ولكنهم استطاعوا أن «يجرجروا» النحاس الى الحديث فى الدفاع عن الاسكندرية والقاهرة والدلتا وقناة السويس .. وهذا هو الخطر وهنا بدت مهارتهم
ثم قال :
ـ ولم يفاتحوا الملك مرة أخرى فى أمر مغادرة البلاد ، ولكن مادام فى نيتهم الدفاع عن القاهرة ورفض الموافقة على اعلانها مدينة مفتوحة فانه سوف يكفى أن تسقط قنبلة المانية فى ميدان عابدين أوعلى مقربة من قصر القبة لكى يقولوا يومئذ للملك ـ ومعهم حق ـ ان هناك خطرا على «حياته الغالية» فيجب أن يبتعد عن موطن الخطر. أى عن القاهرة ، وسوف يشتركون معه فى اختيار المكان الامين الذى يحسن به أن يلجأ اليه ..

ثم قال حسنين وهو يضحك :
ـ وفى يوم ٢ يولية كانت العلمين على وشك السقوط فى أيدى الالمان .. بل لقد اذاع الالمان يومها انهم اخترقوا الخطوط وانهم يطاردون الانجليز فى اتجاه دلتا النيل.. ويومها كاد النحاس يوشك أن يغمى عليه ولكن الله سلم «وعبارة يغمى عليه من عندى أنا ، أما العبارة المدونة فى مذكراتى والتى استعملها المرحوم حسنين باشا فى حديثه فان الحياء يحول دون نشرها » ..

واستمر حسنين يقول وهو لايزال يضحك :
ـ ست ساعات فقط وكان النحاس « اغمى عليه » ولكن الله سلم فقد قال له الانجليز فى المساء ان الحالة خطرة جدا ولكنه تجلد طول الليـل وتماسك ... فلما أصبح الصباح قالوا له : ان الحالة أقل خطورة نوعا ما ، فاطمأن ولم « يغم عليه » .. ولكنه أطلق لسانه يومها

فى الانجليز ، فقال انهم كذبوا عليه وأخفوا حقيقة الحالة وظل لسانه ملفوتا ضدهم الى أن عاد أمين عثمان من فلسطين وكان سافر اليها مع زوجته التى تركها هناك..
وبعودة أمين عثمان عاد نفوذ الانجليز من جديد على رفعة النحاس باشا.. الذى عاد واطمأن واستكان الى الانجليز

ثم قال حسنين ان تصرفات الانجليز لا تبعث على الاطمئنان والا لو كانوا واثقين من قوة مراكزهم وخطوط دفاعهم فى العلمين فلماذا طلبوا اخلاء الاسكندرية ؟..
واخلاؤها سوف يتم قريبا ..

ثم قال :

ـ لقد سمعت من أحد كبار ضباطهم وكان صديقا وزميلا لى أيام الدراسة فى اكسفورد ان عندهم أوامر سرية تقضى بترحيل جميع البريطانيين المدنيين وخروجهم فورا من الاسكندرية والقاهرة متى وصل الالمان الى نقطة معينة لم يذكرها لى طبعا صديقى الضابط المذكور ..

ثم قال :

وقد قابلنى هذا الضابط منذ ثلاثة أيام وقال لى :
ـ وأنا أترجم هنا عن الانجليزية ـ « راقب الموقف بدقة وامعان أثناء العشرة أو الخمسة عشر يوما القادمة ..
فقد يحدث شىء ما فجأة ويجب أن تكون مستعدا » ..

ومضى حسنين يقول :

ـ ان الانجليز تلقوا امدادات من الطائرات ومن الاسلحة الاخرى بقدر كاف لابأس به .. ما عدا الدبابات وهذا هو السبب فى عجزهم عن القيام بأى هجوم وكان أحد ضباطهم قال لى يوم اشتداد الخطر على العلمين « فى ٢ يولية » انه اذا استطاع الجيش الثامن البريطانى أن يصمد أسبوعا واحدا فانهم سوف يكرون بعد ذلك ، ويشنون هجوما على الالمان.. ولقد مر أسبوع وأسبوعان

ودخلنا فى الاسبوع الثالث ولم يهجموا .. فما السبب الا انهم غير مستعدين !

***

وبعد ...

هذه هى الايام الخطيرة المليئة بالاحداث والإحتمالات التى مرت بمصر فى صيف عام ١٩٤٢ ، وأحسب اننى وفيتها حقها من الوصف .. وأعطيت صورة صادقة لحالة الفوضى والذعر التى تخبطت فيها الوزارة القائمة بالحكم يومئذ ..

ولقد تمت المعجزة واستطاع الجيش الثامن أن يصمد أمام الالمان خلال بقية الصيف .. ثم شن مونتجمرى هجوما فى الخريف « اكتوبر ــ نوفمبر » وحصل الحلفاء على أول انتصار لهم ذى قيمة فى الحرب العالمية الاخيرة ..

ويومئذ ــ ولأول مرة ــ أمر ونستون تشرشل رئيس الوزارة البريطانية بأن تقرع كنائس انجلترا وسكوتلاندة اجراسها احتفالا بهذا النصر العظيم ..

ويعد المؤرخون معركة العلمين نقطة التحول فى الحرب الاخيرة .. تحول النصر والحظ من الالمان الى الانجليز وحلفائهم الروس والامريكان ..

حرب الدعاية

انتهت الحرب فى أوروبا فى ٨ مايو ١٩٤٥ ، وكنت يومئذ فى انقره «تركيا» ، وعدت الى مصر ثم غادرتها فى يوم ٣ نوفمبر ١٩٤٦ الى أوروبا وزرت فرنسا وايطاليا وسويسرا والنمسا والمانيا . وطالت رحلتى هذه نحو تسعة شهور ، وفى باريس فى شهر نوفمبر عام ١٩٤٦ تناولت العشاء مع صديقة قديمة وهى طبيبة فرنسية من أصل برازيلى وزوجها الموسيقار وهو فرنسى الجنسية اسبانى الاصل ..

وقد تناولت العشاء فى مطعم اسبانى كان افتتح حديثا فى شارع فيكتورهيجو «باريس» .. واسم المطعم «ايبريا» وهو فى حجم بطاقة البريد .. وأما بار المطعم ففى حجم طابع البريد .. وفى المطعم المذكور نحو عشر موائد ليس الا .. وفى صدره منصة مرتفعة بضعة أقدام وهى المسرح ومساحته مع المبالغة متران فى متر ..

ومن هنا فان مطعم «ايبريا» لايتسع الا لعدد محدود جدا من الزبائن هواة الطعام الاسبانى والرقص الاسبانى

ومن هنا كذلك كانت أسعار الطعام فيه تبلغ ثلاثة اضعاف أمثالها فى أى مطعم آخر فى باريس وأصحاب المطعم فريق من نجوم اسبانيا فى الرقص والغناء ..

وتناولنا طعامنا وكان من لحم الدجاج المخلوط بالارز

والطماطم والجبن والشطة والفلفل الاحمر وبهارات اخرى ! هذا بينما كان يتوالى على المسرح الوان من الرقص والغناء وكان فى هذا الغناء ما يشبه الى حد كبير أغانى الصعيد وحزنها الدفين العميق ..

وقال صاحبى الموسيقار الاسبانى الاصل الفرنسى الجنسية .. قال مازحا :

ــ انظروا أيها العرب .. ماذا فعلتم بأوروبا ؟ مشيرا الى الرقص والغناء وكلاهما لايزال يحمل الطابع العربى الاصيل ..

قلت : ماذا فعلنا ؟ لقد أعطينا اسبانيا فنا جميلا رفيعا .. عاش وما زال يعيش حتى اليوم بعد اثنى عشر قرنا ..

قال : كذلك أثينا وروما ..

قلت : وأين هو أثر الفن الاغريقى او فن روما .. هل تجد لهما أثرا اليوم على مسارح لندن وباريس أو واشنطون ؟ ولكن هذا الرقص والغناء العربى الاسبانى تلقاه فى عواصم العالم ويعجب به الناس فى كل مكان.. أما فنك الاغريقى أو الرومانى فلم يبق له أثر الا فى المتاحف وقاعات المحاضرات ..

وجرنا الحديث الى الغناء فى مصر .. والى أم كلثوم وعبد الوهاب .. وكان صديقى الموسيقار المذكور قد زار مصر أثناء الحرب مع جنود الجنرال ديجول ، وكان يعمل فى أقلام المخابرات ..

وقص على هذه الحكاية التى سمعتها يومئذ لأول مرة قال ــ ومعلوماته التى يرويها هنا مستقاة كما قال من زملائه فى أقلام المخابرات البريطانية ــ قال : انه عندما لاح شبح الحرب فى صيف عام ١٩٣٩ ، لاحظ رجال المخابرات البريطانية فى الشرق الاوسط ان وكلاء المحور

ـ ألمانيا وايطاليا ـ راحوا يجمعون من الاسـواق فى القاهرة وتل‌أبيب ويافا والقدس وبيروت ودمشق وحلب الخ .. جميع الاسطوانات العربية وخصوصا اسطوانات عبد الوهاب وأم كلثوم ..

وهنافطن رجال المخابرات البريطانية الى ان المحور يستعد لحرب الدعاية .. ونشطوا هم كذلك الى شراء هذه الاسطوانات .. وكان سباقا حارا بين الفريقين..

ومضي صديقى الموسيقار الاسبانى الاصل الفرنسى الجنسية .. مضى يقول :

ـ وسرهذه الدعاية هو ان‌الدعاية الالمانية اوالبريطانية سوف تضمن استماع البلدان العربية لها اذا هى بدأت بأغنية لعبد الوهاب .. ثم قال :

ـ واقبل عام ١٩٤٢ وبدأ روميل هجومه فى يناير ، واستخلص مدينة بنغازى من البريطانيين .. ثم توالت هجماته وتتابعت هزائم البريطانيين.. وسقطت‌طبرق.. وانطلق روميل والفيلق الافريقى صوب دلتا النيل... ولعلك ـ وأنت صحفى مصرى ـ أدرى منى بالاجراءات التى كانت السلطات البريطانية تنوى اتخاذها وتنفيذها فى حالة اضطرارها الى الانسحاب من مصر الى فلسطين والسودان .. ولكن هناك اجراء واحدا لم يذع سره حتى اليوم ..

وسكت لحظة وهو يبتسم لكى يرى وقع كلامه فى نفسى ..

قلت : ارغام الحكومة المصرية على الخـروج مع البريطانيين من مصر لكى تقوم فى الخارج « حكومة مصر الحرة ؟ »

قال : كلا .. فان البريطانيين لم يلحوا كثيرا فى هذا الشأن .. ولكن وزارة الاستعلامات البريطانية الحت فى

أمر واحد وأمرت رجالها فى مصر باتخاذ هـذا التدبير مهما كان الثمن ومهما كانت العقبات ..

وسكت مرة أخرى ، ثم قال : خروج أم كلثوم وعبد الوهاب من مصر بالرضا أو بالاكراه ..

وبدت الدهشة على وجهى ثم ضحكت .. وفهم هو من ضحكى اننى أشك فى روايته فقال بلهجة كلها جد :

ـ صدقنى هى الحقيقة ما أقول .. لقد كان فى نية السلطات البريطانية اذا ما اضطرت الى الانسحاب من مصر أن تأخذ معها ـ طوعا أو كرها ـ عبد الوهاب ، وأم كلثوم لأنها كانت تخشى أن تستغلهما الدعاية الالمانية الى أبعد حدود الاستغلال .. ولقد كان يكفى أن يعلن راديو القاهرة التى يحتلها الالمان .. ان أم كلثوم أو عبد الوهاب سوف يغنى هذا المساء لكى ينصت العالم العربى كله الى اذاعة راديو القاهرة الذى يسيطر عليه الالمان . وهذا هو الخطر فى حرب الدعاية ..

قلت : ولكن من كان يضمن ان أم كلثوم وعبد الوهاب سوف يوافقان على الغناء ؟ ..

ابتسم صديقى الفرنسي وقال :

ـ محال أن تكون جادا فى سؤالك هذا .. والا فأنت لا تعرف النازيين .. لقد كان أمرا ممكنا جدا أن يجلس عبد الوهاب وأمامه ميكروفون الاذاعة ، ووراءه يقف جندى الماني «ينخزه» بطرف السونكى اذا توقف عن الغناء

***

ومن فرنسا ذهبت الى ايطاليا وزرت ميلانو وفلورنسا وروما ..

ولم يكن من السهل أن احمل القوم فى ايطاليا على أن يتحدثوا الى ـ الصحفى المصرى ـ بصراحة عما كان سيحدث لمصر لو نجحت جيوش المحور فى دخول مصر

فى صيف عام ١٩٤٢ ..

ولكن كان من السهل أن يتحدثوا بمنتهى الصراحة ، وبكثير من مرارة خيبة الامل عن سير الحرب وتطورها لو كان غزو مصر قد نجح وتمكنت جيوش المحور من اختراق استحكامات العلمين فى يولية أو فى سبتمبر عام ١٩٤٢ ، وكان روميل قام بهجومه الاول فى أول يولية. ثم شن هجومه الثانى والاخير فى شهر سبتمبر ، وبعدها فقد القائد الالمانى عامل المبادأة .. الى أن فاجأه القائد البريطانى مونتجمرى بالهجوم بعد شهر واحد .. أى فى اكتوبر من نفس العام ..

قال القوم فى روما : لو ان روميل كان نجح فى الوصول الى الاسكندرية ودلتا النيل والقاهرة لكانت الحرب قد انتهت بانتصار دول المحور بعد عام واحد ، أى فى عام ١٩٤٣ ، ذلك انه كان مقررا طبقا للخطة العامة التى وضعتها أركان الحرب المشتركة من الايطاليين والالمان أن ينفصل قسم من الجيوش المحورية ويذهب جنوبا الى صعيد مصر والسودان والحبشة . ويسترد اريتريا والصومال .. الخ وهدفه الاخير الوصول الى جنوب افريقيا وتطهير « القارة السوداء » — أى افريقيا من البريطانيين وانشاء قواعد للغواصات الالمانية والايطالية فى موانىء افريقيا الجنوبية والشرقية .. والعمل على قطع طريق بحار الجنوب أى طريق رأس الرجاء الصالح الى الهند واستراليا . وهذا طبعا بعد أن يكون طريق قنال السويس قد أقفل هو أيضا فى وجه الاسطول البريطانى

ومعنى هـــذا خنق مواصلات بريطانيا مع استراليا والشرق الاقصى والهند وبورما اللتين كانتا يومئذ تحت التاج البريطانى ..

كانت هذه مهمة الجيش الذى ينفصل عن جسم جيوش

المحور الرئيسية .. وبقيت مهمة الجيش الرئيسي .. كانت مهمة هذا الجيش أولا القضاء على مقاومة البريطانيين فى دلتا النيل.. وكانوا يقدرون صعوبة هذه المهمة بسبب اضطرارهم للهجوم أثناء فيضان النيل وتعدد قنوات شبك الرى فى الدلتا واستفادة الانجليز منها فى دفاعهم و«تعويق» زحف المحور.. ولكنهم كانوا واثقين من طرد البريطانيين تماما من الدلتا وقناة السويس مع حلول الخريف ..

وبعدها كانت مهمة هذا الجيش الرئيسي أن ينطلق عبر قناة السويس الى فلسطين ـ التى كما يؤكدون كانت ستسقط فى لمحة عين ـ ومن بعدها سوريا ولبنان والعراق

وكان المحور يعتمد الى حد كبير على «صداقة العرب» وعلى انتفاضهم وقيامهم بثورات فى مؤخرة البريطانيين ، تعرقل حركاتهم وتعوق انسحابهم ..

ولا أريد أن أسهب هنا فى وصف خطة المحور ولا فى الاحاطة بتطورات الحرب وسيرها لو كان روميل قد نجح فى غزو مصر ..

وأكتفى بأن أذكر فى عبارات وجيزة بعض التطورات الحاسمة فى سير الحرب التى كان مقدرا أن تقع ..

١ ـ الوصول الى ايران وقطع خط امداد وتموين روسيا بالذخائر والمهمات وهو الخط الذى أنشأه الامريكيون والبريطانيون من خليج العجم الى القوقاز..

٢ ـ انضمام تركيا الى المانيا وايطاليا ضد الحلفاء . وهذا أمر كان مقطوعا به . فقد أبدت تركيا منذ اليوم الاول للحرب.. أبدت صداقتها لألمانيا.. وراحت تنتظر « الوقت المناسب » لكى تدخل الحرب الى جانب ألمانيا. وقد فسر فون بابن سفير ألمانيا يومئذ فى انقره عبارة

« الوقت المناسب » هذه فى أحد تقاريره السرية فقال : أن الاتراك ما زالوا – حتى عام ١٩٤٢ – غير واثقين من انتصار ألمانيا ، وانهم يفضلون أن يتريثوا قبل أن ينحازوا الى جانبها خوفا من سوء المصير ومن أن يصيبهم ما أصابهم فى الحرب السابقة « بعد هزيمة ألمانيا فى عام ١٩١٨ » .. ولكن نجاح جيوش المحور فى دخول مصر وطرد البريطانيين منها ومن فلسطين وسوريا ولبنان والعراق .. ثم الوصول الى ايران .. كل هذا كان كفيلا باقناع الاتراك بأن « الوقت المناسب » قد حان .. وكان دخول تركيا الحرب بعد قطع خط تموين روسيا من الجنوب –كان كفيلا بقلب ميزان المعركة فى الجبهة الشرقية ضد روسيا .. ولقد كانت الجيوش الروسية تعانى يومئذ من الشدائد فى القوقاز .. وفى محاصرة ستالينجراد وموسكو ولينينجراد ..

٣ – القيام بحركة كماشة من الجنوب الشرقى والغرب ضد الجيوش الحمراء .. الى آخره ..

لهذا لم يكن كثيرا أن يؤمل المحور فى النصر النهائى ووضع حد للحرب فى عام ١٩٤٣ ..

***

كان موسولينى يطمع فى دخول الاسكندرية والقاهرة فى موكب يرد التاريخ القهقرى الى عصر أمجاد روما ومواكب قوادها الغزاة وعودتهم من ميادين القتال معقودة حول رؤوسهم أكاليل الغار ..

وهنا عكف « الدوتشى » على وضع نظام وترتيب « موكب النصر » الذى سوف يسير على رأسه .. فى شوارع الاسكندرية والقاهرة ..

وأصدر أوامره أن يرسل جواده الاصيل الابيض الملون

الى بنى غازى . ومنها الى العلمين .. لكى يمتطيه الدوتشى فى اليوم الموعود . ووقفت طيارة حربية خاصة على قدم الاستعداد فى مطار روما لكى تحمل موسولينى ــ عند الساعة المرتقبة ــ الى أبواب الاسكندرية.. حيث ينتظره موكب النصر وجواده الابيض الاصيل ..

حتى قائمة الطعام ، الذى سيقدم فى المأدبة الكبرى أعدها الدوتشى بنفسه !

وكان فى نيته أن يقيم مأدبة عشاء وحفلة ساهرة فى الاسكندرية .. ومأدبة أخرى وحفلة ساهرة فى القاهرة

وقد تم الاتفاق بينه وبين السلطات الالمانية على أن يكون فندق مينا هاوس هو مقر القيادة الايطالية فى القاهرة ..

وكانت قائمة الطعام الذى سيقدم فى مينا هاوس فى اول يوم يصل فيه موسولينى وقواده الغزاة كما يلى :

حساء سمك النيل ..

دجاج الفيوم ..

حمل مشوى على الطريقة البدوية ..

وحلوى ألف ليلة ..

وفاكهة الموسم « بطيخ ، وعنب ، ومانجو » ..

قهوة شرقية ..

والى هذا الحد كانت الآمال كبيرة والثقة فى النصر لا ريب فيها ..

النهاية

وانتقل الآن الى الفصل الاخير من حياة احمد محمد حسنين ..

كان حسنين باشا بعد حادث ٤ فبراير عام ١٩٤٢ ، لطمة اصابته هو بالذات .. لطمة لكرامته ولسياسته ولطمة لواجبه نحو العرش ونحو مصر ..

وأقسم حسنين يومها على أن يثأر لنفسه وللبلاد من رجلين عدهما مسئولين عن هذه اللطمة ، وهما : مايلز لامبسون سفير بريطانيا ، ومصطفى النحاس رئيس الوفد .. ورئيس الوزراء ولقد حاول حسنين باشا فى عام ١٩٤٣ ، أن يقيل مصطفى النحاس ووزارته ، ولكن الانجليز لم يمكنوه .. فقد بادر يومئذ السفير البريطانى فى مصر وأنذر فاروق ان الحكومة البريطانية تعلنه أن لا تغيير فى الوزارة No change وفى الاوضاع القائمة فعلا. وكانت حجة الانجليز يومئذ انهم وحلفاءهم قادمون على فتح جبهة جديدة فى جنوب أوروبا ــ أو بطن أوروبا السفلى ــ حسب تعبير ونستون تشرشل ..

جبهة جديدة ينفذون منها الى قلعة هتلر فى وسط أوروبا .. ومن هنا فانهم ــ أى الانجليز ــ لايسمحون بأى تغيير فى مصر مخافة وقوع رد فعل أو قلقلة خلف خطوطهم .. أى فى مصر ..

واستكان حسنين وتظاهر بالرضا والتسليم ..

ولكنه لم يسكت .. بل أخذ يراقب سير الحوادث ويتحين الفرص. وانتهت معركة افريقيا باندحار الجيوش الالمانية وأسر مئات الالوف منها فى تونس والجزائر ومراكش ولا أدخل فى التفاصيل ..

ونقل الحلفاء ـ بريطانيا وأمريكا ـ جيوشهم من افريقيا الى جزيرة صقلية .. ومن هذه الى ايطاليا ..

واستسلمت ايطاليا فى سبتمبر من نفس العام ١٩٤٣ وفى يونية ١٩٤٤ أنزل الحلفاء جنودهم فى نورماندى بشمال فرنسا ..

وبدأ تحرير القارة .. ودك قلعة هتلر من الجنوب والشرق والغرب ، ودخل الحلفاء باريس فى اغسطس .

وكانت الجيوش الروسية قد حررت دول البلطيق وجزءا من بولنده وزحفت نحو النمسا الى آخره .. الى آخره ..

وكما قلت : ليس فى نيتى أن أدخل فى التفاصيل .. ولكن بدا يومئذ واضحا كل الوضوح ان نصر الحلفاء أمر مؤكد .. وان الحرب قد دخلت فى دورها الاخير وان الحلفاء يمسكون بزمام الموقف .. وان البريطانيين لم يعد أمامهم ـ أو وراءهم فى مصر ـ ما يخشون منه على سير الحرب ..

وانتهز حسنين الفرصة وواتاه الحظ ان مايلز لامبسون سافر فى اجازة قصيرة الى جنوب افريقيا ..

وضرب حسنين ضربته المفاجئة وكانت مسرحية مثيرة ومن فصولها :

تعليمات سرية الى الدكتور احمد ماهر بألا يغادر داره فى يوم الاحد ٨ أكتوبر بل يبقى فيها ينتظر رسالة من جلالة الملك فاروق ، وأوامر سرية الى حكمدار بوليس

القاهرة ومدير ادارة الامن العام بأن تكون قوات الامن على استعداد لحفظ النظام وقمع أية حركة تقوم للاخلال بالامن والنظام ..

وكانت هذه الاوامر السرية صادرة مباشرة من السراى لأن السراي كانت مصدر جميع السلطات ..

جرى كل هذا والوزراء ورئيسهم ـ وكانوا فى رمل الاسكندرية ـ لايعرفون شيئا .. ثلاثة أو اربعة فقط من الصحفيين من خصوم الوفد هم الذين كانوا على علم بما يعده احمد محمد حسنين رئيس الديوان ..

وفى صباح يوم الاحد ٨ أكتوبرعام ١٩٤٤ استقل حسن يوسف بك وكيل الديوان الملكى قطار الصباح من الاسكندرية الى القاهرة ..

ودخل عربة البولمان فوجد أمامه محرم باشا وزير الاشغال فابتسم وحياه ولكنه جلس الى مائدة بعيدة عن المائدة التى كان يجلس اليها وزير الاشغال ..

ولعله ـ حسن يوسف بك ـ خشى أن يقرأ عثمان محرم باشا شيئا ما فى وجهه .. شيئا ما يكشف سر سفره فى الصباح الباكر الى القاهرة .. ذلك ان وكيل الديوان كان يحمل فى جيبه أمرا ملكيا صادرا الى الدكتور أحمد ماهر بتشكيل الوزارة ..

وأمرا ملكيا آخر الى مصطفى النحاس باقالة الوزارة ووصل حسن يوسف الى القاهرة وأنهى مهمته فيها ثم عاد بالسيارة الى الاسكندرية ..

وفى الساعة الخامسة بعد ظهر نفس اليوم الاحد ٨ اكتوبر .. وحسب التعليمات والاوامر .. وطبقا للخطة المسرحية التى وضعها حسنين باشا ..

غادر الدكتور أحمد ماهر داره ، الى دار رياسة مجلس الوزراء وصعد توا الى غرفة رئيس الوزراء وأمر السعاة

والحجاب ان يفتحوا امامه الابواب .. وأعلنهم انه رئيس الوزارة الجديد ..

وفى نفس اللحظة ـ وطبقا للأوامر والتعليمات ـ فتح المعتقل أبوابه وخرج منه مكرم عبيد ..

خرج من المعتقل وذهب مباشرة الى وزارة المالية التى عين وزيرا لها فى الوزارة الجديدة ..

وفى نفس الساعة ـ الساعة الخامسة ـ كان حسن يوسف يصعد الى الطابق الثانى بفندق سيسيل بالاسكندرية حيث كان يقيم مصطفى النحاس.. ويسلم رفعته خطاب الاقالة ، وكان أمين عثمان قد أقبل على فندق سيسيل لزيارة مصطفى النحاس .. فقيل له ان الوزارة أقيلت وكانت فى يده سلسلة ذهبية يعبث بها ويلفها على أصابعه ثم يعود ويفردها.. وتوقف فى طريقه وسقطت السلسلة من يده .. ولكنه خرج وارسل برقية الى احمد حسنين يقول له فيها ـ باللغة الانجليزية ـ « أهنئك لقد ربحت الجولة الاخيرة » ..

ذلك لأنها كانت حربا أو مباراة بين الرجلين : رجل الانجليز أمين عثمان ، ورجل القصر أحمد حسنين ..

وكانت المباراة حول مصطفى النحاس هل يبقى رئيسا للوزارة كما يريد الانجليز ؟ أو يخرج كما يريد القصر؟ وقد انتصر رجل القصر أحمد حسنين ..

***

وأمشي سريعا بين الحوادث الى أن أصل الى عام ١٩٤٦ وكانت الوزارة البريطانيـــة يومئذ من حزب العمال . وكان وزير الخارجية ارنست بيفن ..

وعرف حسنين كيف يوجه صديقه عبد الفتاح عمرو سفير مصر فى لندن الى استغلال صداقته مع مستر بيفن وكان أن استدعت وزارة الخارجية البريطانية سفيرها

مايلز لامبسون من مصر ..
وهكذا بر حسنين بوعده أو بقسمه وثأر لنفسه من الرجلين : مايلز لامبسون ، ومصطفى النحاس ..
ثم لقى منيته بعد ذلك بأسبوعين اثنين ، وكان موته ــ رحمه الله ــ مفاجأة مثيرة كما كانت حياته سلسلة من المفاجآت المثيرة ..

***

وكان امضي سهرة يوم الاحد ١٧ فبراير عام ١٩٤٦ فى مسكنى مع بعض الاصدقاء ومنهم أم كلثوم .. وغنت أم كلثوم « سلوا قلبى » وحمل حسنين مقعدا صغيرا جلس فيه بين يدى أم كلثوم وكان ينصت لها بكل جوارحه وامتدت السهرة حتى مطلع الفجر .. يوم الاثنين وشيعته الى باب المصعد وكانت هذه آخر مرة أراه فيها ..

وفى يوم الثلاثاء ١٩ فبراير كان حسنين مدعوا لتناول الغداء عند أسرة صديقة فى المطرية .. ولكن تراكم الاعمال ابقاه فى مكتبه بقصر عابدين الى الساعة الثالثة بعد الظهر وراى ــ رحمه الله ــ انه تأخر كثيرا عن الموعد فاعتذر لأصحاب الدعوة بالتليفون ..
واستقل سيارته عائدا الى داره بالدقى وكانت السماء تمطر ، وبينما كانت سيارته تجتاز كوبرى قصر النيل فى طريقها الى الدقى اقبلت سيارة لورى بريطانية من الجهة المضادة .. وانزلقت عجلات السيارة البريطانية بفعل المطر .. ولفت اللورى نصف لفة على الكوبرى وصدمت سيارة حسنين من الخلف صدمة شديدة ..
وسمع سائق السيارة صوت حسنين باشا خلفه وهو يقول : « ياساتر .. ياساتر يارب .. »
والتفت السائق خلفه فرأى الدم يسيل من فم حسنين باشا .. وأوقف السائق السيارة ، ونزل منها يصيح

ويطلب المساعدة .. ومرت مصادفة فى نفس اللحظة سيارة وزير الزراعة أحمد عبد الغفارباشا صديق حسنين وزميله أيام الدراسة فى اكسفورد ..

واسرع احمد عبد الغفار وحمل صديقه الى مستشفى الانجلو أمريكان القريب من مكان الحادث ..

ولكن حسنين كان أسلم الروح .. فنقلوه الى داره..

***

وطار الخبر الى القصر .. وأسرع فاروق ـ وكان يرتدى بيجامة وفوقها « روب دى شامبر » وفى قدميه شبشب ـ أسرع بملابسه هذه واستقل احدى سياراته الى دار حسنين فى الدقى ..

ووقف فاروق لحظة أمام جثمان حسنين ، رائده واستاذه ومربيه ثم رئيس ديوانه ..

ثم قال : «مسكين ياحسنين» وسأل بعدها عن مفاتيح مكتب حسنين.. وتناولها ودخل غرفة المكتب وأغلق وراءه الباب .. وكان فاروق يبحث عن اية مذكرات يكون حسنين قد كتبها .. وعن عقد زواجه بأمه الملكة نازلى .. وعن أية أوراق هامة أخرى قد يكون تركها وراءه ..

***

وبعد وفاة حسنين بأسبوعين أو ثلاثة أسابيع ذهب فاروق يزور أمه نازلى فى قصرها الذى ورثته عن أبيها فى الدقى .. ودخل عليها فى قاعة القصر الكبرى .. وتسمرت قدماه عند الباب ..

فقد راى أمامه فى صدر القاعة صورة لاحمد محمد حسنين بالحجم الطبيعى وقد جللت بالسواد ..

وأمام الصورة ـ وعلى الارض ـ جلست أمه «الملكة» نازلى وحولها سيدات حاشيتها وخادمات القصر ،

وجميعهن متشحات بالسواد ..

وعلى جانبى القاعة الكبيرة جلس نحو عشرين شيخا يتلون الاوراد ويدعون بالرحمة للراحل الكريم ..

توقف فاروق لحظة عند باب القاعة .. وقد عقدت الدهشة لسانه ، ثم مشى الى حيث كانت تجلس امه وقال لها وهو يشير بيده الى الصورة والى السيدات ، والمشايخ

قال : ايه ده كله ؟ وعلشان ايه ده كله ؟ مات .. خلاص مات .. فلزوم ده ايه ؟

وانتفضت نازلى واقفة على قدميها وانفجرت فى ابنها تصيح : ده ؟.. ده اللى عملك راجل.. ده اللى حافظ لك على عرشك .. بكره راح تشوف يجرى لك ايه ؟.. بعد موت حسنين .. الى آخره .. الى آخره ..

وهز فاروق كتفيه ساخرا وانصرف ..

***

وان هى الا اسابيع معدودة حتى غادرت نازلى مصر الى أوروبا للعلاج والراحة كما زعمت ..

ولكنها غادرت مصر وفى نيتها الا تعود .. وكان منها ما يذكره القراء .. وكان كذلك ما كان من فاروق .. وكيف استهتر الى أبعد حدود الاستهتار وطغى وبغى.. ثم كانت الثورة التى طوحت به وحطمت عرشه ..

ولعله تذكر يومئذ وهو يوقع وثيقة تنازله عن العرش قول أمه : « بكره تشوف راح يجرى لك أيه بعد موت حسنين ؟ » ..

فهـرس



انجلترا :

THE ARABIC PUBLICATIONS
DISTRIBUTION BUREAU
7, Bishopsthrope Road
London S.E. 26
ENGLAND.

البرازيل :

M. Miguel Maccul Cury.
B. 25 de Maroc, 994
Caixa Postal 7406,
Sao Paulo, BRASIL.

هذا الكتاب

يقدم الكاتب الكبير محمد التابعى فى هذا الكتاب صفحات مجهولة ومثيرة فى السياسة المصرية قبل ٢٣ يوليو . وقد عاش محمد التابعى هذه الحياة وعرف أسرارها ، حيث كان واحدا من ألمع الصحفيين والكتاب المتصلين بهذه الحياة عن قرب

والصفحات التى يكشفها التابعى هنا هى جزء هام من تاريخنا ، ومن خلال هذه الصفحات نعرف كيف كانت مصر تحكم ، وكيف كان هناك طبقة سياسية تتصارع فيما بينها صراعا عنيفا محوره المصالح الشخصية لا المصالح العامة . ولقد كان النظام السياسى القديم كله يعانى من هذا المرض الاساسى .. مرض البعد عن الشعب ومشاكله ، والاقتتال حول المناصب والثروات المختلفة حتى ولو كان الشعب غارقا فى المحن الوطنية والاقتصادية والسياسية

ان هذا الكتاب يعتبر وثيقة تاريخية على غاية من الأهمية والقيمة .. انه وثيقة للباحثين والدارسين يستطيعون أن يكتشـ
الخبايا التى لم ... أحد يعرفها ، حيث انها كانت
ومن وراء أستار كثيفة . وهذا الكتاب أيضا وثيقة
جميعا يعرفون من خلالها صورة واضحة عن فترة تاريـ
مصر . وقد أتيح للحقـــائق التى يكشفها هذا الكتاب
الاستاذ التابعى، عميد المدرسة اللامعة فى الكتابة الصحفيـ
جعلت من الصـــحافة أدبا رفيعا قريبا من قلــــ
عرفوا التابعى وأحبوا أسلوبه وتابعوا رحلته الصحفية



١٥ قرشا